



كلية التربية بالفرقة
قسم أصول التربية



محاضرات في تاريخ تربية الطفل
الفرقة الثانية شعبة طفولة
إعداد قسم أصول التربية

رؤية الكلية

تسعى الكلية إلى مساعدة الجامعة في تحقيق أهدافها الاستراتيجية من خلال أن تكون واحدة من الكليات المتميزة والمنافسة داخلياً وخارجياً في التعليم وخدمة المجتمع والبحث العلمي من خلال تحقيق مستوى رفيع من الأداء وتقديم خريج متميز يقابل الاحتياجات المتعددة لسوق العمل المحلي والخارجي.

رسالة الكلية

تهدف كلية التربية بالغردقة إلى التميز من خلال :

- إعداد المربين والمعلمين المتخصصين والقادة في مختلف التخصصات التربوية.
- تنمية القدرات المهنية والعلمية للعاملين في ميدان.
- التربية والتعليم بتعريفهم بالاتجاهات التربوية الحديثة .
- إجراء البحوث والدراسات في التخصصات التربوية المختلفة بالكلية .
- نشر الفكر التربوي الحديث وإسهاماته لحل مشكلات البيئة والمجتمع .
- تبادل الخبرات والمعلومات مع الهيئات والمؤسسات التعليمية والثقافية.
- تنمية جوانب شخصية الطلاب ورعاية الموهوبين والمبدعين.

رؤية البرنامج

تميز برنامج بكالوريوس الطفولة والتربية تعليمياً وبحثياً ومجتمعياً،
وقدرته على المنافسة محلياً وإقليمياً وعالمياً في مجال رياض الأطفال

رسالة البرنامج

يسعى برنامج بكالوريوس الطفولة والتربية إلى إعداد خريجات متميزات
تعليمياً وبحثياً ومهنياً، وامتالكهن الكفايات الخاصة بمجالات التعامل
مع الأطفال معرفياً وتطبيقياً، للإسهام في تنمية المجتمع والتكيف مع
متطلبات سوق العمل، وذلك من خلال توفير بيئة تعليمية داعمة
للتميز والتنمية المستدامة.

الفصل الأول

نشأة وتطور رياض الأطفال

الفصل الأول

نشأة وتطور رياض الأطفال

مقدمة:

لابد لكل فرد أن يعمل في الحقل التربوي أن يكون لديه قدرة من المعرفة بتطور مفهوم التربية عبر العصور التاريخية الطويلة لان فهم معنى التربية ومتابعة مراحل التطور التي مرت به منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر يساعد على تكوين أطار نظري لدى المربين فيستند إلى الأسس التاريخية للنظريات التربوية .

إن وجود البعد التاريخي أو الأصول التاريخية تساعد العملية التربوية في معرفة :-

- ما ورثته الأمم من الماضي وما أعدته للحاضر وكيف تخطط للمستقبل.

- مواجهة المشكلات التربوية المختلفة في ضوء معالجة المشكلات القديمة المماثلة

- دراسة المفاهيم التربوية التي كانت متبعة قديماً والنظر في نتائجها.

- دراسة حركة المجتمع وتفاعلاته وتأثيره على التربية .

إن معرفة التاريخ للتربية لا ينحصر بما دونه المؤرخون، وذلك لأن تطور التربية وتاريخها الطويل لا نهاية له ويتعدى الكتب والمجلدات بل أنه كان قبل ظهور الكتابة لان العملية التربوية بدأت مع بدأ الحياة الإنسانية .

ويسعى هذا الفصل إلى التعرف على كيف نشأت رياض الأطفال وتطورها عالمياً، بداية من تربية الطفل في العصور القديمة إلى عصرنا الحالي.

تربية الطفل في المجتمعات البدائية

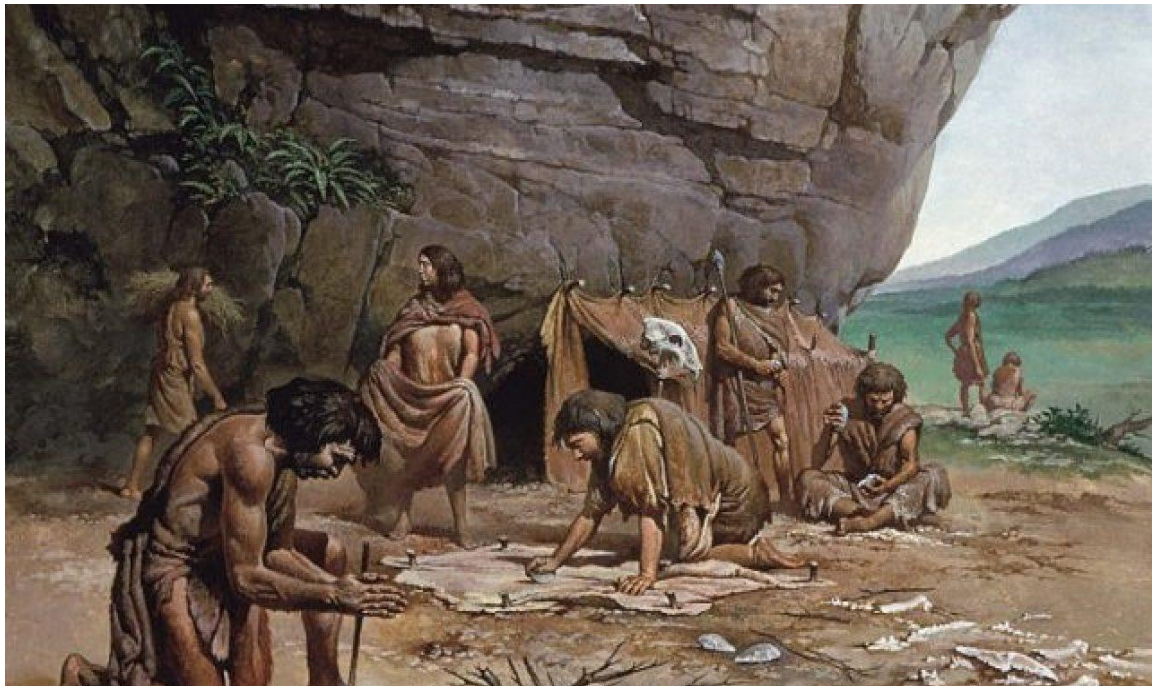
كانت التربية في الثقافات القديمة آلية تدريجية هدفها تمكين الطفل من العيش مع جماعته؛ وبذلك كانت تربية غير مقصودة، تتم بمشاركة الوالدين والأقارب، فالحاجة الطبيعية عندهم لا

تدعو إلا إلى ما يُلقنه الأهل إلى أطفالهم، فيلاحظ هؤلاء الصغار من أعمال ذويهم؛ فيتعلمون ما يؤهلهم ليكونوا أعضاء مقبولين في المجتمع.

الظاهر أن المدارس - بشكلها النظامي - ظهرت في وقت من التطور الثقافي تحتم فيه نقل التراث المكتوب إلى الأجيال الآتية، وكان فيه تعلم الكتابة أمراً ضرورياً، ويلوح أن هذه المدارس كانت مقصورة على فئات خاصة، أما الأغلبية فكانت الحياة مدرستهم والخبرة معلمهم وحواسمهم أدوات العلم، وما أروع تلك المناهج التي تعلموها؛ فهي فعلاً من البيئة في محتواها وطرائقها، وقد كان الأطفال يُقبلون عليها بشوق لأن ما يتعلمونه كان محسوساً مفيداً وهادفاً.

سمات التربية البدائية :

١. تمثل يقظة العقل البشري وإحساسه بضرورة نقل الخبرة من جيل إلى آخر يحتاج إليها
٢. كانت بسيطة في محتوياتها وتجري بصورة غير مقصودة ، إذ كان الأطفال يتعلمون ما تعلم أهلهم أو أفراد قبيلتهم بالتلقين والمحاكاة.
٣. تتميز العملية التربوية بالتنوع أي أن المجتمع البدائي كان يقوم بعملية التربية ، نظراً لعدم وجود مؤسسات تربوية مسؤولة كالمدرسة .
٤. تدريب الطفل في سن معين بصورة متدرجة ومرحلية .



واعتمدت التربية القديمة على :

- أ. التربية العملية وهي التي تقوم على تنمية قدرة الإنسان الجسدية اللازمة لسد حاجاته الأساسية للحصول ضروريات الحياة كالحصول على المأكل والمأوى.
 - ب. التربية النظرية وهي التي تقوم على إقامة الحفلات والطقوس الملائمة لعقيدة الجماعة المحلية وأنشطة العبادة والنواحي الروحية في الحياة .
- يشمل هذا المحور التربية في عدد من الأمم السابقة، وهي: (بلاد الرافدين ومصر القديمة- الصين- اليونان- الرومان).

١. التربية هي الوسيلة الفعالة لتنشئة الطفل في ظل أسرة متماسكة.
٢. حق الطفل في الميراث لتأمين متطلبات حياته.
٣. التأمين القانوني لحقوق اليتيم من الناحية المالية.
٤. الاهتمام بالأُم وضمَان حقوقها، ومحاسبة المعتدين عليها، خاصة الحامل للحفاظ على صحة الجنين.

أ) تربية الطفل في مصر القديمة:

كانت الأسرة في مصر القديمة هي المسؤولة عن تربية الطفل في سنواته الأولى، حيث تقوم بالتنشئة الاجتماعية له، وتعليمه المشي، والكلام، وطريقة الأكل، وبعض المبادئ الدينية و الخلقية الأخرى. وقد عرف الأطفال اللعب؛ وكان للبنات الذمى وللأولاد لعب على شكل التمساح، ويظل الأطفال في حضانة أسرهم حتى سن الخامسة فيدخلون المدرسة فيتعلمون مبادئ الكتابة والحساب والقراءة.

وكان الفراعنة يعلمون أطفالهم الحكمة، و الفضيلة، والطاعة، عن طريق احترامه لمعلميهم، والانصياع لأوامرهم، والالتزام بما يتعلموه، حتى يكتسبوا القيم الخلقية والاجتماعية، وكان

العقاب أمراً مألوفاً في تربية الطفل عندهم إذا ما أساء الأدب.

و يمكن تلخيص أهم ملامح النظرية التربوية للطفل في وادي النيل بما يأتي:

١. الأسرة هي المسؤولة عن تربية الطفل في السنوات الأولى من حياته.
٢. صياغة الطفل وتشكيله مثل الأواني الفخارية.
٣. الاعتماد على العقاب لفرض الطاعة والانقياد.
٤. الاهتمام بالناحية الخلقية والكتابة والقراءة والحساب والموسيقى واللعب.



(ج). تربية الطفل في الصين القديمة:

كانت الأسرة الصينية هي المسؤولة عن تطبيق تعليمات ومبادئ تربية الأطفال قبل ذهابهم إلى المدرسة، عن طريق تلقينهم العقائد الدينية، وتبجيل الآباء، وطاعتهم وخدمتهم، وإذا ما أخذ الطفل طريقه للمدرسة؛ فإنه يخضع لنظام صارم، فيحضر مع مطلع الشمس، ويدرس حتى مغيبها؛ ليتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وشيئاً من كتابات (كونفوشيوس)* وبعض الشعر، وكانت اللغة التعليمية لغة مينة، ليست لها علاقة بما هو خارج المدرسة، خاصة وأن المعلم كان يلجأ إلى تحفيظهم عن ظهر قلب وملوحاً بالعصا دائماً.

ومما يلاحظ أيضاً أن التربية الصينية للطفولة اتسمت بالمحدودية؛ إذ توجهها التقاليد المتوارثة، ولا تُكوّن لدى الطفل المرح والسعادة الطفولية والتفانيّة في التعبير، كما أنها لم تكن تبعث على التربية الجسمية، والوجدانية، والفنية، واستمتاع الطفل باللعب والترفيه، وإنما تتسم بالجدية وعدم اللهو، والحرص على العمل الدؤوب المتواصل.

ويمكن ذكر بعض ملامح النظرية التربوية الصينية للطفل بما يأتي:

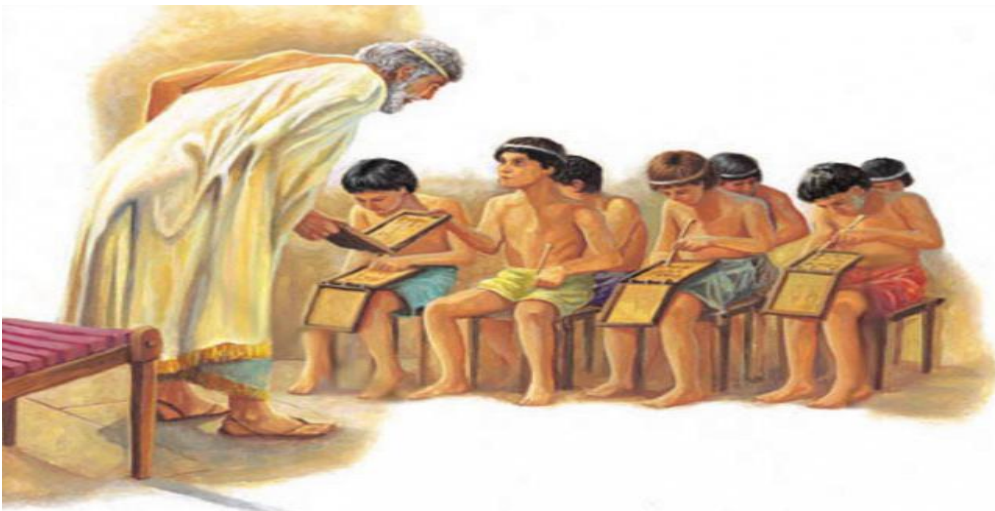
١. تغليب الطابع الديني والخلقي في تربية الطفل.
٢. الأسرة هي المسؤولة الأولى عن تكوين الجانب السلوكي للطفل مع إهمال بقية الجوانب.
٣. هدف التربية هو تحقيق الفضائل الخمس (الرفق- العدل- النظام- التآني- الولاء).



د) تربية الطفل في اليونان:

شخص اليونانيون - بصيغة أو بأخرى - أن هناك مرحلة تسبق مرحلة التعليم النظامي (Preschool)، ويبدو أنهم شملوا بهذه المرحلة من تقل أعمارهم عن سبع سنوات. وتعد التربية في مقاطعة (أسبارطة وأثينا) أنموذجاً للتنشئة الاجتماعية السائدة لتربية الطفل في ذلك الوقت.

اهتمت (أسبرطة) بتربية الطفل منذ اليوم الأول لولادته، فتقرر ما إذا كان يستحق الحياة أو الموت؛ بعرضه على مجلس من المسنين، فإذا أنسوا فيه ضعفاً أو هزلاً تركوه في العراء ليتحمل ويقاوم، ويعودوا له بعد مدة زمنية معينة؛ فإذا كان ميتاً، فخير للدولة أن يموت بدلاً من أن ينمو فرداً ضعيفاً، أما إذا وجدوه حياً فيأخذوه ويرسلوه إلى أمه لتربيته تربية خشنة قاسية.



لقد كان على الأسرة (الأسبرطية) أن لا تقيد نمو الطفل أو تعيق حركته؛ كما كان عليها أن تبتعد عن تدليله، إنما تعامله بخشونة فتتركه يبكي دون استجابة لبكائه، أو تتركه في الظلام بمفرده؛ وذلك من أجل إذكاء روح الشجاعة، و التحمل البدني عند الطفل.

أما (أثينا) فقد هدفت إلى تكوين تناسق بين روح مرهفة تحس بالجمال، و تُقدّر الأدب وجسم رشيق قوي، أي إلى تكوين الرجل الكامل عقلاً وجسماً وذوقاً، وعلى الوالدين في بواكير الطفولة مسؤولية كبيرة، فعليهما تقع تربية الطفل في سنواته الأولى تربية فنية متنوعة؛ فكانت الأغاني والموسيقى من وسائل تدليله، كما تُتلى عليه القصص الأسطورية، و تُعطى له الألعاب كالذمي والكرات، ومع هذه المرونة إلا أن الأسرة الأثينية كانت تقسو على أطفالها مستخدمة الضرب - إذا ما لزم الأمر - بغية التهذيب.

هكذا تبدو تربية الطفل الأثيني، أنها سعت إلى تحقيق النمو المتكامل جسماً وعقلياً وذوقياً، ما عدا الجانب الروحي المتعلق بالعالم الآخر، عن طريق الألعاب، والنحو والرياضيات والموسيقى والرسم. بينما توجهت التربية الأسبارطية إلى تحقيق النمو الجسمي للطفل بدرجة أساسية، ولم تول الجانب العقلي والفني والاجتماعي فرص كافية للاهتمام بقدر ما كان للجانب الجسمي؛ لغرس بذور التفوق العسكري، و النزعة الحربية من خلال التدريبات الرياضية المستمرة.

هـ) تربية الطفل في الرومان:

اتسمت رعاية الطفولة لدى الرومان بإعطاء الأسرة دورها في تربيتها، إذ يظل إلى سن السابعة من عمره يتلقى التعاليم الخلقية، والعادات السلوكية من خلالها، وكان اعتقادهم بأن الطفل في هذه السن يتميز بقوة الذاكرة، خاصة إذا ما رضع من مرضعة فصيحة، وتم تلقينه من أبوين متعلمين؛ مما يؤهله لأن يكون مواطناً صالحاً مثقفاً وخطيباً موهباً، مع تأكيد التربية الرومانية على البعد الجسمي؛ لأن هدفها هو إيجاد الخطيب الصالح والجندي المقتدر.

كما تميزت التربية الرومانية في هذه المرحلة بالناحية العملية؛ من ممارسة الخطابة والإكثار من الأسئلة للأطفال، وإعطائهم المكافآت، والتدرج مع الطفل في تعليمه القراءة والكتابة، مع عدم الإسراع في ذلك أكثر مما ينبغي.

وتكون المجتمع من طبقتين : النبلاء و عامة الشعب ، وكان الحكم ملكيا ، وفيه يتم انتخاب الملك عن طريق مجلس الشيوخ . ثم أصبح نظام الحكم جمهورياً يرأسه قنصلان ، وبعد ذلك تحول إلى النظام الإمبراطوري .

الدين : كان للدين الروماني أثر عظيم في عقلية الشاب الروماني بعكس الدين عند اليونان وذلك للفرق الكبير بين الدينين رغم تشابههم العام ، فقد كانت ديانة الرومان وثنية ، عبروا عن الآلهة بتمثيل أقاموها في المعابد تمثل مظاهر الحياة المختلفة . وقد كانت آلهة الرومان قوى خفية لا ترحم ولا تعرف الشفقة ، وكذلك اهتم الرومان باكتساب رضاها بإقامة المراسم المهيبة الجليلة عكس اليونان تماماً. وهكذا نرى أن الشاب الروماني أقل خلاعة وأكثر اتزاناً من الشاب اليوناني ولكثرة خوف الرومان نشأت عندهم مراسم عديدة في جميع المناسبات العادية يتوخون بها التودد للآلهة . فقد وضع الدين لهم طرقاً يجب إتباعها في حياتهم العملية ، وخوفهم من الآلهة عودهم احترام الواجبات .



عصور التربية الرومانية : يقسم تاريخ التربية الرومانية إلى قسمين كبيرين : التربية الرومانية القديمة، والتربية الرومانية الجديدة .

التربية الرومانية القديمة (٣٥٧-٠٥ ق م) وتقسّم إلى عصرين فرعيين

العصر القديم الذي يمتد من (٣٥٧- ٠٥٢ ق م) وعصر الانتقال الأول الذي يمتد من (٠٥٢- ٠٥ ق م).

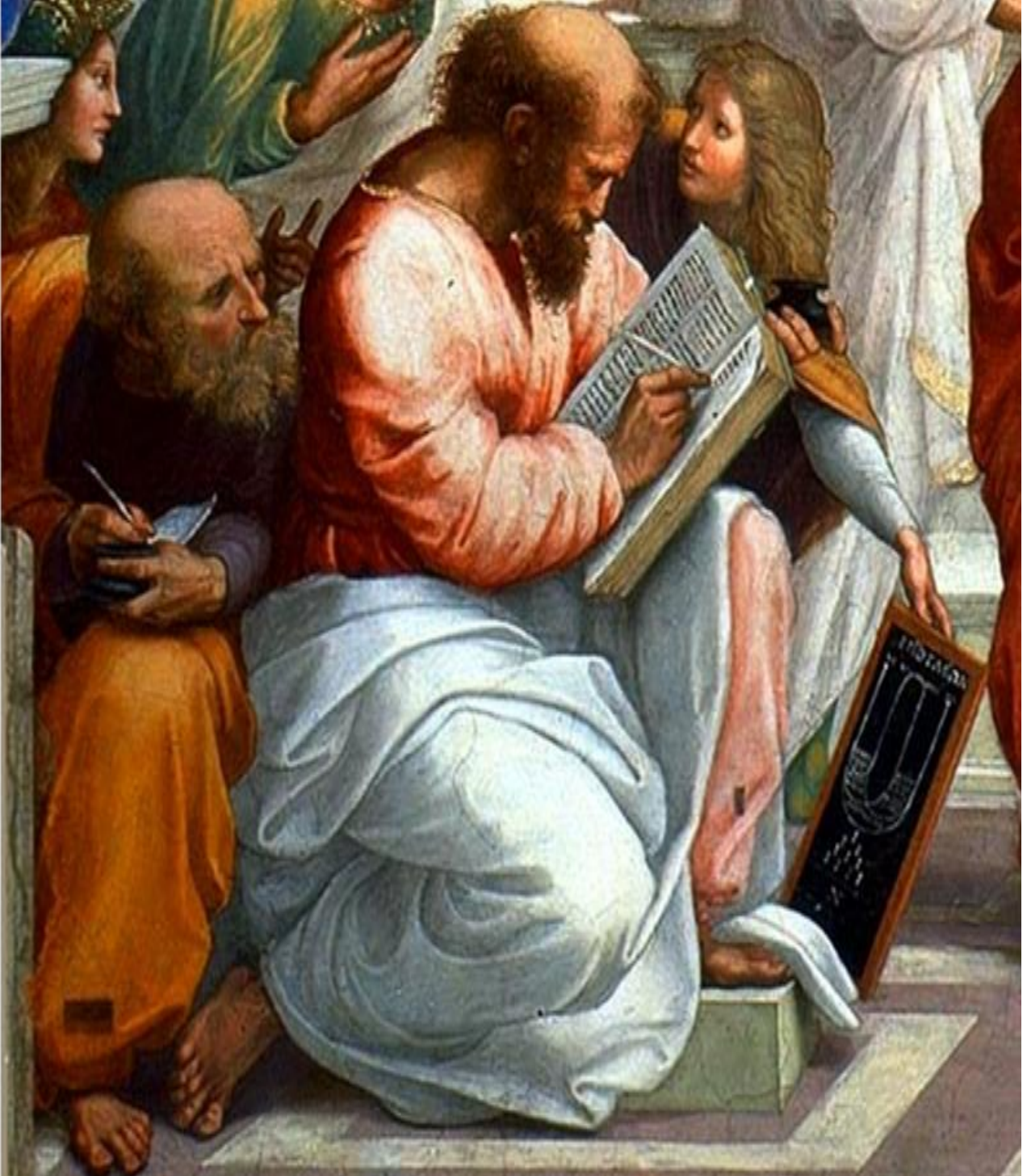
العصر القديم:- (٣٥٧- ٠٥٢ ق م) : عصر المواطنين أو عصر التربية الرومانية الأولى .

لا يوجد في أوائل هذا العصر مدارس يدخلها الأطفال وإنما كان البيت هو المدرسة والمعهد التهذيبي الوحيد ، فكانت الأم تتعهد الطفل منذ صغره وتشرف على تربيته ، وكان الطفل يرافق أباه للتعلم وهذا يبين دور الأسرة في المراحل المبكر من حياة الطفل حيث كانت التربية تتصف بالبدائية فالأسرة هي التي كانت تشرف على تربية الأولاد وتعمل على إعدادهم لحياة القبيلة بكل عاداتها وتقاليدها وقيمها كما تعمل على تدريب الأطفال منذ نعوم أظفارهم على احترام الآلهة والوالدين والقوانين .وظهرت في أواخر هذه الفترة المدارس الأولية(مدارس اللعب) *ludi*

وكانت بأعداد قليلة وغايتها تعليم القراءة للتمكن من حفظ الألواح الأثني عشر ثم اهتمت بتعليم القراءة والكتابة والحساب إلى جانب حفظ الألواح.

عصر الانتقال :-

دخلت المبادئ والأفكار والعادات اليونانية إلى روما تدريجياً من أواسط القرن الثالث قبل الميلاد إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد . وكثرت في بداية هذا العصر المدارس الأولية



(مدارس الأدب) كما تم نقل الأوديسة إلى اللاتينية وأصبحت تدرس في مدارسها الأولية. ثم دخلت مدارس النحو ومدارس الخطابة اليونانية إلى روما ولكنها لم تنتشر الانتشار الكافي . وأخيرا تحولت هذه المدارس إلى مدارس لاتينية إلا أن مجلس الشيوخ عاكسها وأمر بإغلاق المدارس وطرد المعلمين.

التربية الرومانية الجديدة (عصر الإمبراطورية ومن ثم عصر الانحطاط)

وتقسم إلى عصرين : العصر الإمبراطوري أو الزهو والمعاهد ، والثاني عصر الانحلال والاضمحلال.

العصر الإمبراطوري (٠٠٢-٠٥ ق م) حيث أصبح نظام المعاهد وطيد الأركان وازداد الإقبال على الثقافة اليونانية . ولكن المدارس الأولية بقيت على حالها ولم ترتق وبقيت العلوم تدرس بها بذات الشكل البسيط . وحلت اللغة اللاتينية عوضا عن الألواح الإثنا عشر للتدريس ،

وأصبحت مدارس النحو مدارس رسمية يدرس بها إما النحو اليوناني أو النحو اللاتيني (ويشمل النحو دراسة الأدبيات والتاريخ والعلوم) وغاية المدارس إتقان القراءة البليغة والإنشاء الحسن المتين.

أما مدارس الخطابة فكانت تماثل ما عرف عند اليونانيين بمدارس السفسطائيين، وغايتها الخطابة والإلقاء لمن نوى الاشتغال بالسياسة وهي مهنة محتكرة من قبل طبقة الأعيان، وبالإضافة للخطابة فقد كان الشبان يدرسون الفلك والهندسة والفلسفة والموسيقى .

ومن أهم التربويين في روما كان **كون تليان**، وهو يرى (بأن تشرف مرضعات فاضلات حكيمات على تربية الأطفال ويؤكد أن يكون نطقهم سليما وكلامهم موزونا وصحيحا لأن هذا الأمر يؤثر تأثيرا كبيرا على الطفل فالطفل كالصوف الأبيض إذا ما صبغ فإنه لن يستعيد بياضه الأول) كما كان له رأي في الخطباء بأنهم يجب أن يكونوا :-

١- عارفين للعلوم.

٢- متقنين للغة.

٣- حسن اختيار الألفاظ.

٤- دارسين للعواطف البشرية، وعارفين لطرق إثارتها.

٥- والا هم أن يكون الخطيب فاضلاً شهماً حتى يكون خطيباً مجيداً.

مناهج المدارس الرومانية ودرجاتها :-

السن 7- 12 :

درجة التعليم /التعليم الأولي وتكون الدراسة في المدارس الأولية ، أما العلوم التي يتلقاها الطلبة فهي القراءة والكتابة والحساب

السن من 12- 16:

فدرجة التعليم هي الثانوي واسم المدرسة هي مدرسة النحو وتكون العلوم التي يتلقاها الطلبة هي الصرف والنحو والأدبيات

السن من 16- 18:

تكون درجة التعليم هي العلمي ومدارس هذه الدرجة هي مدارس الخطابة وتدرس علوم النحو والخطابة والجدل والحقوق.

السن من 20- 25:

درجة التعليم العالي وتدرس في الجامعات وعلومها الحقوق والطب وفن البناء والرياضيات والخطابة والنحو.

وعندما ظهرت الديانة المسيحية وأصبحت الدين الرسمي للدولة في أواخر القرن الرابع الميلادي ظهرت المدارس المسيحية (يلتحق بها الطلاب من سن (٨١-٠٢) وفيها يتعلمون تعليماً عالياً في المعتقدات واللاهوت المسيحي، وكان هذا السن في الماضي يلتحق أصحابه بالمدارس الرياضية لدراسة التدريبات المتقدمة.

وهكذا فإن أهم آراء وأفكار الرومان هي:-

- ١- تخريج أجيال مدربة على فنون القتال والحرب
- ٢- البلاغة في الخطابة والفصاحة في البيان والإقناع .
- ٣- إعداد النشء لمعرفة واجبات حياتهم العملية وفهمها.
- ٤- الاهتمام بالنواحي المهنية والإعداد المهني والاستعداد للحرب .

٥- تكوين المواطن الصالح ثم الجندي الصالح .

ومن أهم الفضائل التي سعت التربية الرومانية إلى غرسها لدى الناشئة هي التقوى والطاعة، ولعل للتربية الرومانية دورا هاما في تخليد ممارسة العقاب البدني لأن المعلمين كانوا قساة غلاظا يمارسون أشد أنواع العقاب البدني على عكس الأثينيين الذين اعتمدوا على جذب المتعلمين وترغيبهم.

أما في عصر الانحطاط والتدهور (٠٠٢ م - ٩٢٥ م) : فقد اتسم هذا العصر بالفساد والانحلال وجمعت السلطة بيد الحكومة الملكية فاستنزفت ثروات الشعب وفسد الموظفون وانتشرت الرشوة حتى بين القضاة ، وفرضت الضرائب لتسليح الجيش الكبير الذي استنفذ تجهيزه الخزائن وقوت الشعب وزادت الطبقة الأرستقراطية الفاسدة، وتقلصت الطبقة الوسطى وقل عدد المزارعين وتركت الأرض بلا استغلال وهذا كله انعكس على التربية والتعليم ، فتغلبت النواحي الشكلية . إذ أصبح البيان والبلاغة أهدافاً لا وسائل ، وطغى المظهر على المضمون، فكان التلاميذ يرسون الكلمات المنمقة ويتخيرون الغريب الشاذ منها على حساب المعنى، واقتصر تعلم الأخلاق على حفظ حكم ومواعظ وكتابة موضوعات إنشائية عن الأخلاق .

ويبدو أن المدارس الأولية قد اختفت في هذه المرحلة من تاريخ التربية الرومانية ، وهذا راجع إلى حالة البؤس والذل الذين وصلت إليهما طبقة الشعب التي كانت تدخل هذه المدارس ، أما مدارس النحو والخطابة فقد استمرت بصورة شكلية يتعلم فيها أبناء الطبقة العليا . وفي عهد القياصرة سيطرت الدولة سيطرة كاملة على التربية ، وبلغت هذه السيطرة مداها في عهد الإمبراطور جستنيان المسيحي عام ٩٢٥ م عندما أصدر أمراً بإغلاق جامعة أثينا الوثنية .

وقد برز عدد من المربين الرومان ومن أشهرهم كونتليان الذي ذكرناه سابقاً إضافة إلى شيشرون وسنيكا . وأبرز هؤلاء المربي الروماني كونتليان (٥٣-٥٩ م) الذي ولد في اسبانيا ، ثم قدم روما ودرس فيها . فنبت في الخطابة وتعاطى المحاماة مدة ثم تركها ، وأسس مدرسة فيها تولى إدارتها بنجاح مدة عشرين سنة ، ومنحه الإمبراطور فسبازيان لقب أستاذ الخطابة وكتابه الوحيد (أسس الخطابة) أو (المؤسسة الخطابية) يحتوي على آرائه التربوية ، وأهمها : عدم ضرب الأطفال لأن الضرب للعبيد ، وأن تكون المرضعات من خيار النساء أدباً وطهارةً وأن يكون المدرس من ذوي الاقتدار في فرعه ، وأن يتعلم الطفل منذ الصغر لغة أجنبية ، وأن يتعلم كذلك صور الحروف الهجائية وأسماءها في الوقت نفسه . وإرسال الأطفال إلى المدارس العامة للاحتكاك بالأطفال الآخرين ، واعتبار فن الخطابة أسمى الفنون ، واعترف بوجود الفروق

الفردية بين الأطفال ، وطالب بالتبكير في تعليم الأطفال ، والاهتمام بطريقة الحفظ والتقليد في التدريس . وبعكس ما كانت تؤمن به التربية القديمة الشرقية كانت التربية عند اليونان والرومان تؤمن بالتجديد والابتكار ، ونمو الفردية الإنسانية .

وهنا يمكن أن يتلمس الباحث ملامح تربية الطفل في العصر القديم:

١. إن الاهتمام بالطفولة في العصور القديمة، بلغ درجة كبيرة وصلت إلى حد التشريع القانوني في بلاد الرافدين، واقترانها بالحكمة الدينية في مصر القديمة، وأصبحت موضوعاً جوهرياً في منظومة القيم الخلقية الصينية، والعناية الفائقة بها من الناحية الجسدية في كل من أسبارطة والرومان، وهدفاً ثقافياً في أثينا اليونانية، وهذا يقود إلى القول: إن هدف تربية الطفل كان حصيلة تفاعل مجموعة عوامل ثقافية متداخلة في نسيج المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، آمنت بها تلك المجتمعات وخصوصاً العوامل السياسية.

٢. غياب التربية المؤسسية للطفولة في سن ما قبل المدرسة في هذا العصر؛ وإنما أسندت تربية الطفل في هذا العمر إلى الأسرة التي لعبت دوراً أولياً و جوهرياً في رعاية الطفولة في تلك الدول، مع تفاوت بسيط في مقدار تدخل الدولة في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل، كما هو الحال في أسبارطة اليونانية.

٣. اختلاف البرامج والفعاليات التربوية لتلك الدول في تربيته للطفولة، كلٌ بحسب تصورهما الاجتماعي لطبيعة الطفولة، وما يرتجى منها مستقبلاً؛ مع ما يتوافر لتلك المجتمعات من معارف وما بها من معتقدات وما تمارسه من قيم.

٤. اتفاق هذا العصر في نظرته إلى الطفل كونه رجلاً صغيراً؛ و بالتالي فالطفولة مرحلة لا تختلف عن مرحلة الرشد إلا بالفارق الزمني فقط.

٥. على الرغم من أن تربية الطفل في سن ما قبل المدرسة في هذا العصر، لم يكن عن طريق الخبرة التعليمية المباشرة، وإنما كان عن طريق الخبرة غير المباشرة (التقليد و المحاكاة)، إلا أن ذلك لا ينطبق على الأطفال كافة، فأطفال الفئات الاجتماعية الميسورة (أبناء الملوك والأمراء ورجال الدين) الذين كانت تربيتهم مقصودة، من خلال أنشطة وموضوعات تعليمية كالموسيقى والشعر وتعلم مبادئ القراءة والحساب والفضائل الخلقية.

التربية العربية للطفل قبل الإسلام:

أعطى العرب منذ القدم مكانة كبيرة للطفولة، و نالت في نفوسهم منزلة عالية، فحظيت بنظرة فريدة في تربيتهما والعناية بتنشئتهما؛ فكانت حقاً فلذات أكبادهم؛ ولهذا حاول عرب الجزيرة تهيئة بيئة طبيعية، كمحيط يتعلم فيه الأطفال بصيغة تلقائية، وبالأخص عرب الحضر؛ فكانوا يرسلون أطفالهم في مرحلة الطفولة المبكرة إلى البادية، حيث الهواء الطلق النقي، والأفاق الواسعة والقطرة السليمة، والفروسية البارعة، واللينة العذبة والفصحى، و الشجاعة الأدبية، ويختارون لهم مرضعات صالحات فصيحات؛ لينشأوا في أجواء البادية على القوة والحيوية و الطلاقة والجرأة.

كان هدف التربية هو إعداد الفرد العربي؛ للقيام بمتطلبات الحياة المعيشية، وإكسابه الخبرات في شؤون التجارة، والزراعة، ورعي الإبل والمواشي، و في أعمال الحرب، وصناعة أدواتها، والتدريب على فنونها، و الدفاع عن النفس.

تربية الطفل في الإسلام:

جاء الإسلام بمنهج حياتي متكامل للدين والدنيا، ولجميع أنظمة المجتمع، وجوانب شخصية الفرد المسلم، يستند على منظومة إيمانية خلقية تربوية هادفة، تلازم الإنسان منذ أن كان نطفة في رحم أمه إلى أن يحين أجله، ولحظة موته وخروجه من هذه الدنيا.

أكد هذا المنهج على أهمية السنوات الأولى من عمر الإنسان، وأحاطها بالرعاية الشاملة، عبر مراحل نموها المتواصل، وتطورها الزمني حتى قبل أن يولد الإنسان؛ إذ شدد هذا المنهج و رعّب في حسن اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين و الخلق القويم، عند تفكير الشاب وشروعه في الزواج، وفي هذا المعنى يروي أبو هريرة □ حديثاً عن النبي □ أنه قال: (تُنكح المرأة لأربع؛ لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)*.

حرص الإسلام على إيجاد مجموعة الأجواء النفسية الهادئة، والتغذية الصحية، والرعاية الاجتماعية السليمة للأم في مرحلة الحمل؛ حفاظاً على صحتها وصحة الجنين، ومن مظاهر هذا الاهتمام أن التربية الإسلامية بينت كيفية التعامل مع الوليد منذ لحظة ولادته؛ فيؤدّن في أذنيه، ويقام الصلاة ويحنك ويقص شعره في اليوم السابع ويعق عنه، ويختار له اسم جميل، و يحاط بالحنان والعطف والمودة والرحمة. (٩٨ : ٣٨٩١ : ص ٧٣)

يعد القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، المصدران الرئيسان - فضلاً عن المصادر الفرعية الأخرى، كالأجماع والقياس والاجتهاد - الذين يشتق منهما التصور الإسلامي التربوي

لمرحلة الطفولة، فهناك العديد من الآيات القرآنية، التي تحمل في مضمونها العديد من الدلالات والمعاني التربوية، في معرض اهتمامها بمرحلة الطفولة المبكرة، كقوله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم). وقوله تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخير أملاً).



وفي سيرة الرسول شواهد عديدة حاملة لمعنى الرعاية الصادقة لهذه المرحلة، وفيها لمحات تربوية ونفسية مليئة بالحنان والعطف على الأطفال؛ فقد كان كثيراً ما يداعب الأطفال ويتلطف معهم، وكان يقضي من وقت النبوة الثمين وقتاً للعب مع حفيديه الحسن الصغار

والحسين ويقبلهما وقال الذي قال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم. فقال □: (من لا يرحم لا يُرحم)* ، وهناك العديد من التوجيهات النبوية التربوية لمرحلة الطفولة، التي كانت عند مستوى إدراكها، وملبية لإشباع حاجاتها بأساليب سارة، ومراعاتها لجميع جوانبها، مع تركيزها على حاجة هذه المرحلة للعب، بل والمشاركة مع مشاعرها أثناء اللعب.

و يمكن الإشارة إلى بعض الأسس الجوهرية للتعلم في مرحلة الطفولة المبكرة المستخلصة من السيرة النبوية:

(أ) مداعبة الأطفال. (ب) احترام شخصية الطفل. (ج) العطف والرفق.

(د) الرياضة البدنية. (هـ) الرسم والأشغال. (و) تربية الحيوانات.

(ز) الاهتمام بالجمال.

كما يظهر اهتمام التربية الإسلامية في مدى ما تلقى من مسؤولية كبيرة على عاتق الأسرة في إكساب الطفل المعايير السلوكية التي أقرّها الدين والمجتمع الإسلامي، ومن تلك المعايير أن يُعلّم الطفل آداب الطعام، والمجالس، والحديث، وتحية الآخرين، وأساليب الاستئذان.

مراحل تطور التربية الإسلامية :-

١-الطور الأول :- نمو الإسلام في عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

٢-الطور الثاني :- عصر الفتوحات منذ أبي بكر وحتى نهاية عهد الأمويين .

٣-الطور الثالث :- تكوين الحضارة العربية وامتزاج الثقافات مع امتداد الدولة الإسلامية في عهد العباسيين حتى ظهور الأتراك السلاجقة في القرن ١١ م .

٤-الطور الرابع :- بدأ مع الأتراك السلاجقة وحتى سقوط بغداد على يد المغول في القرن ٣١ م .

و في مسار تطور التعليم بصورة عامة، نجد بعض مظاهر أشكال التعليم الأولى - الكتابية - المتناثرة بقلة قبل الإسلام، ثم أصبحت أكثر انتشاراً في ظل الإسلام، وقد دعا إلى وجودها ضرورات التوسع في نشر الدين، و تعليم اللغة العربية، وانتقال حال العرب من البداوة إلى الحضرة، فضلاً عن حث الدين الإسلامي على العلم والتعليم.

ازداد إقبال الأطفال عليها - خصوصاً من كانت أعمارهم بين الرابعة والخامسة - و كان التعليم

فيها على نوعين:

١. تعليم القراءة و الكتابة، ومكانه في منازل المعلمين للأولاد دون سن السادسة.

٢. تعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي، ومكانه في المساجد للأولاد الأكبر سناً.

ازداد عدد الكتاتيب في القرن الثاني الهجري حتى أصبح في كل قرية كُتَّاب، ويذكر (ابن خلدون) في مقدمته، أن ما يدرسه الصبيان يختلف من قطر إسلامي إلى قطر آخر، ولكن يلوح أن الدراسة اشتملت على القرآن، وأحاديث الأخبار، وبعض الأحكام الدينية، و الشعر، ومبادئ الحساب، وبعض قواعد اللغة العربية، هذا إلى جانب تعلم القراءة والكتابة، والخط الذي كان له مدرسون مختصون.

وإذا ما تم احتواء أفكار وآراء العلماء و المربين المسلمين - من أمثال ابن سحنون (٢٠٢ - ٦٥٢ هـ)، و القابسي (٤٢٣ - ٣٠٤ هـ)، و ابن سينا (٠٧٣ - ٨٢٤ هـ)، والغزالي (٠٥٤ - ٥٠٥ هـ)، و ابن جماعة (٩٣٦ - ٣٣٧ هـ)، وابن خلدون (٢٢٧ - ٨٠٨ هـ) في ميدان تربية الطفولة المبكرة - نلمح أبعاد التصور الإسلامي للعملية التربوية في الطفولة المبكرة، ويمكن الإشارة إلى ثلاثة أبعاد لهذا التصور:

١. البعد الروحي الأخلاقي: ويشتمل الاهتمام بالقيم السماوية ومنظومة الفضائل الحميدة التي من شأنها تعزيز نمط السلوك القويم وتعديله نحو الخيرية مع الله تعالى والمجتمع وذات الطفل.

٢. البعد التكاملي: ويشتمل الاهتمام الشامل لجوانب شخصية الطفل الروحية والجسمية والاجتماعية والعقلية، فضلاً عن الموازنة بين متطلبات الحياة الدنيا والآخرة وهذا ما افتقرت إليه تربية الطفل في كل العصور التاريخية.

 <https://www.youtube.com/watch?v=5oyqmTbUdSQ>

٣. البعد الاجتماعي: ويشتمل الاهتمام بعملية التنشئة الاجتماعية و تحقيق دينامية عمليات التفاعل بين الأطفال بما ينسجم و عادات المجتمع وتقاليده الاجتماعية والمخطط الآتي يوضح ذلك.

وهذه الأبعاد النظرية للتربية في هذه المرحلة، هي محصلة مشتقة من منطلقات فلسفية إسلامية كبرى، حول طبيعة الإنسان و المجتمع والمعرفة، وهي منطلقات عامة يمكن تطبيقها على أي مجتمع، وتشمل قطاعات جزئية، تنضوي تحتها بصورة متداخلة، والمخططات الآتية توضح ذلك.

وفي ضوء ذلك استشراف أساس نظري إسلامي للتربية في رياض الأطفال؛ و بالتالي التوصل إلى منهج يمكن تعليمه للأطفال، وكيفية ذلك التعلم، و الغاية منه، والطرائق المؤدية إليه، وإمكانية التحقق من حصوله في إطار من المنطلقات الإيمانية الهادية التي جاء بها الدين الإسلامي، وزكاها العقل وعززتها الخبرة الإنسانية.

مع ذلك فإن آراء هؤلاء المفكرين المسلمين التربويين في مختلف الأزمنة، لا تمثل بالضرورة الأسس النظرية التربوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ فهي آراء واجتهادات صادرة عن بعضهم؛ لا تمثل إلا وجهة نظرهم البشرية.

يلاحظ مما سبق أن الطابع الديني، كان الغالب على تربية الأطفال في هذه المدة؛ حيث كانت المبادئ الدينية من الأمور الأساسية التي يهتم بها المربون في مرحلة الطفولة المبكرة؛ لكن لم تكن هناك مدارس رياض أطفال بالمعنى الصحيح لهذه الرياض، لا عند العرب المسلمين، ولا عند الأوروبيين. ولكن الاهتمام بتربية الأطفال وإعدادهم للمراحل التالية، كان واضحاً عند العرب المسلمين بشكل خاص، حيث كانت الكتاتيب تقوم بهذه المهمة، فضلاً عن دور الأسرة، وذلك لما أولته الشريعة الإسلامية من حقوق راعت حاجات هذه المرحلة مثل حق الرضاعة والنفقة والتربية والتعليم والنسب والإرث.

أهداف التربية الإسلامية

١- هدف ديني :- (علوم الدين والشريعة)

٢- هدف دنيوي :- الإعداد للحياة ومتطلباتها ويتشابه في ذلك مع التربية الحديثة وعلومه الطب والهندسة والفيزياء والرياضيات والفلك..... الخ

٣-هدف العلم من أجل العلم :- طلب العلم لذاته . ومن هنا فقد كانت التربية الإسلامية متفوقة .

ملامح التربية الإسلامية

١-التربية الإسلامية مسؤولية فردية (الفرد مطالب بتربية نفسه)

٢-تربية شاملة للجسد والروح والعقل

٣-متدرجة مع الإنسان حسب مراحل نموه

٤-متكاملة لا تقتصر على زمان ومكان

٥-تربية عملية :- تربط العمل بالعلم والنظري بالتطبيقي .

٦-كل إنسان فيها معلم ومتعلم ، الصغير يتعلم والكبير يعلم والعكس

٧-تربية قوامها الحرية والانفتاح وتعطي دوراً للجماعة

معاهدها:-

أول مدرسة ظهرت عام ٩٥٤ هجري في بغداد على يد الوزير السلجوقي نظام الملك . أما قبل ذلك فأماكن الدراسة هي :-

١-الكتاتيب : ظهرت قبل الإسلام واستمرت بعده للقراءة والكتابة .

٢-القصور : تعليم ابتدائي .

٣-حوانيت الوراقيين : ظهرت عند العباسيين لغرض تجاري وأصبح ملتقى للعلماء والطلاب .

٤-منازل العلماء : مثالها دار الأرقم .

٥-الصالون الأدبي : في العصر الأموي واستمرت في العباسي للنقاش والحوار في كل العلوم والفنون والآداب

٦-البادية : مواطن اللغة .

٧-المسجد : لشرح تعاليم الدين (مسجد قباء وهو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم) ثم منها جامع المنصور ، دمشق ، عمرو بن العاص والأزهر .

٨- المكتبات.

أقدم خزائن الكتب مكتبة خالد بن يزيد بن معاوية وهدفها العلم .

٩- الخوانق والزوايا والربط والبيمارستانات.

١٠- المدارس.

ظهرت في القرن الرابع بمدينة نيسابور المدرسة البيهقية ثم ظهرت مدرسة الوزير نظام الملك

أساليب وطرق التدريس:-

١- سن الدراسة غير محدد.

٢- هناك ربط بين سن الدارس وما يتلقاه من علوم .

٣- طريقة التعليم تلقين وحفظ .

٤- التعليم متدرج.

٥- لا يخلط بين علمين مختلفين في وقت واحد .

٦- التعليم العالي أسلوبه النقاش والحوار وطرح الأسئلة.

٧- تم أخذ الفروق الفردية بعين الاعتبار .

الثواب والعقاب :-

كان الضرب معروفاً ، وكذلك الثواب المادي والمعنوي .

مراحل التعليم :-إبتدائي في الكتاتيب ، وجامعي حوانيت الوراقين والبيمارستانات والصالونات

وجامعي وابتدائي في المساجد.

المناهج :-

١- مناهج دينية أدبية / للفقهاء والنحو وعلوم الكلام والعروض .

٢- مناهج علمية أدبية (علوم طبيعية وعلوم رياضية تشمل المنطق والفلسفة) .

و يمكن تلخيص أسس التربية العربية الإسلامية للطفل بما يأتي:

١. تربية تكاملية للروح والعقل و الجسد.
٢. تربية متوازنة بين متطلبات الدنيا والآخرة.
٣. تربية عملية لا تكتفي بالجانب النظري.
٤. تربية فردية تحث على الفضائل و تربية جماعية تقود إلى التعاون.
٥. تربية لضمير الإنسان ليكون رقيباً على السلوك والأفعال.
٦. تربية للفطرة وإعلائها، و وضعها على خط الاعتدال والوسطية.
٧. تربية مستمرة لا تبدأ ولا تنتهي عند مرحلة عمرية معينة.
٨. تربية أصيلة معاصرة مفتوحة على الأساليب الحسنة كلها في التوجيه و التعديل.

آراء بعض الفلاسفة والمربين المسلمين في تربية الطفل:

الغزالي (٨٥٠١-١١١١م) :



نشأته: ولد أبو حامد محمد بن محمد أحمد الغزالي في مدينة طوس بخراسان في بلاد فارس حيث تعلم فيها مبادئ العلوم، وقد نشأ نشأة دينية في أسرة فقيرة معدمة، وتلمذ على يد (الجويني) في نيسابور، فدرس علوم الجدل وأصول الفقه والحديث والمنطق والحكمة

والفلسفة، كما درس العلوم والمذاهب الدينية المختلفة بالإضافة إلى الفلسفة اليونانية. برع الغزالي في علمه وقوة جدله وقدرته على المناقشة، مما دعا نظام الملك إلى تعيينها لتدريس في المدرسة النظامية التي أسسها في بغداد عام (١٠٩١م)، ولم يستمر طويلاً في التدريس بهذه المدرسة فقد تحول إلى طريق الصوفية، وأعد نفسه إعداداً دينياً فأصبح إماماً متصوفاً ومرشداً دينياً. له عديد من المؤلفات من بينها (إحياء علوم الدين) الذي شمل معظم آراءه في التربية ، توفي في طوس مسقط رأسه عام (١١١١م) .

أهم آراءه وفلسفته التربوية :-

حضيت مرحلة الطفولة باهتمام الغزالي ورعايته ، فتناولها بالبحث و الدراسة من جوانبها المختلفة ، ورأى أنها تمتد منذ بدء خلق الجنين في بطن أمه إلى أن يولد وبيبلغ سن الرشد ويمكن إيجاز آراءه في في تربية الطفل على النحو التالي:

١- إن الغاية من التربية هو تحقيق الكمال الإنساني الذي يهدف إلى تحقيق سعادة الفرد في الدنيا وخلصه في الآخرة، وتقريبه من الله تعالى، فقد رأى أن هدف التربية الأسمى هو التقرب من الله والاستعداد للحياة الآخرة .

٢- حرص الغزالي على تعليم العلوم التي تحقق صلاح النفس و تنشر الفضيلة.

٣- دعا إلى تربية الأطفال تربية دينية خلقية تعتمد على التقشف و الابتعاد عن ملذات الحياة ومباهجها.

٤- أكد أهمية معرفة نفسية الأطفال معرفة دقيقة لما لذلك من تأثير قوى في عملية التربية.

٥- ضرورة مراعاة عقل الطفل واستعداداته الذهني عند تقديم المعارف والمواد الدراسية له.

٦- مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، حيث يختلف كل طفل عن الآخر من حيث القدرات والاستعدادات .

٧- ركز على مسئولية الوالدين ودورهما في تربية الأطفال وتنشأتهم فالطفل عند الغزالي " أمانة في عنق والديه وقلبه الطاهر جوهرة نقية خالية من كل نقش فإن عود الخير نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه ومعلمه ومؤدبه وإن عود الشر وأهمل شقى ، وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه و الوالى له " وللغزالي نصائح وإرشادات في تربية

الطفل نذكر منها الآتى :

- أن تتولى حضانة الطفل ورعايته امرأة صالحة متدينة .
- عدم توقف الوالد عن رعاية ابنه وإرشاده عندما يشب بل عليه أن يستمر فى مدح الفضائل و ذم النقائص أمامه .
- أن لا يتعود الطفل على التدليل و الرفاهية .
- أن يبتعد الطفل عن العبث و المجون و الفساد .
- شغل أوقات فراغ الطفل بالقراءة و الإطلاع .
- أن يمنع من كثرة الكلام وعليه أن يتدرب على حسن الاستماع .
- أن يعود الطفل على احترام من هم أكبر منه سنا .

أما تطبيقاته التربوية فكانت على النحو التالى :

- 1- اتباع أسلوب المدح و التكريم على كل ما يقوم به الطفل من أفعال حسنة .
- 2- تعويد الطفل على المشى و الحركة و الرياضة ، ففيها فوائد لنمو الطفل الجسمانى .
- 3- السماح للطفل باللعب، حتى يستريح من تعب الكتب ، وفى ذلك يذكر الغزالى " أن منعه من اللعب وإرهاقه فى التعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكائه وينغض عليه العيش
- 4- مكافأة الطفل على الأفعال المحمودة وعدم الإكثار من العقاب حتى لا يتعود الطفل عليه ، فلا يصبح له تأثير فيما بعد .
- 5- أهمية اتباع المعلم لأسلوب الشفقة و الرحمة مع الأطفال واعتبارهم أبناء له .
- 6- أهمية ممارسة الأطفال العبادات كالصلاة و الصوم مما يؤدي إلى تنشئتهم نشأة دينية .
- 7- أن تتسم أخلاقيات المعلم وسلوكه بالصفات الحميدة فصلاح المعلم ذاته شىء مهم وضرورى وله أثر قوى فى تربية النشء .

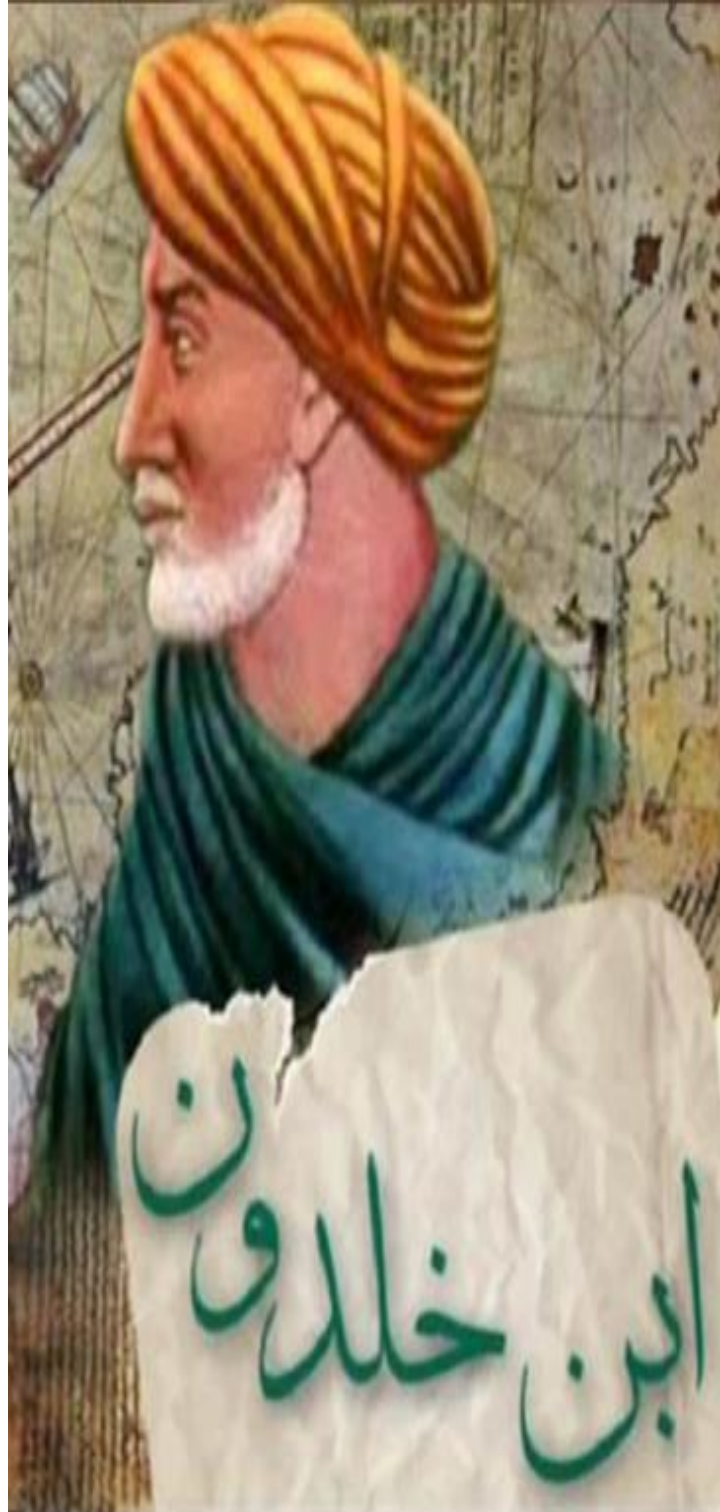
كما ركز الغزالى على عملية إعداد المعلم الذى يتولى مهمة تعليم الأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة ، وأعطاه أهمية بالغة لكى يتمكن معلم الطفل من استغلال ميوله واستعداداته فى عملية التعلم ويهيئ له الظروف المناسبة التى تبعده عن الفساد و الشر وتحميه من

أصدقاء السوء .

ابن خلدون :

نشأته :

ولد عبد الرحمن بن خلدون فى تونس من أسرة عربية الأصل يعود نسبها إلى بنى كنده - درس فيها الفقه و الحديث و علوم اللغة و العلوم الفلسفية - كما أخذ واستفاد فى



دراسته للعلوم الفلسفية من بعض حكماء المغرب والأندلس إلى أن استقر في عام ٢٨٣١ في مصر ، فنولى فيها مهمة القضاء المالكي كما مارس التدريس في الأزهر إلا أنه تركه ليتفرغ للدراسة والتأليف . ومن أشهر مؤلفاته كتاب " العبر وديوان المبتدأ و الخبر و المشهور في هذا المؤلف ، مقدمته المعروفة - بمقدمة ابن خلدون - وقد ترجمت إلى معظم لغات العالم ، وعلى الرغم من كونه أشهر من وضع أسس علم الاجتماع الحديث - إلا أن كتاباته لا تخلو من بعض الآراء التربوية وبالأخص فيما يتعلق في تربية الصغار وتعليمهم - توفي في عام ١٠٤١م بمصر.

أهم آراءه وفلسفاته التربوية:

- مراعاة عقل الطفل واستعداده في عملية التعلم وأكد أن تقديم المادة العلمية للمتعلمين لا بد أن يتدرج ويتناسب مع مستوى نموهم العقلي و النفسى.
- الاعتماد على الأمثلة الحسية عند بدء عملية التعلم، فالمحسوسات ضرورية ولازمة في تفهيم المتعلمين وتسهيل الأمر عليهم، وخاصة في البداية لأن الطفل في السنة الأولى من الدراسة يكون بطيء الفهم قليل الإدراك.
- أهمية إمام المعلمين بطرق التدريس الجيدة فالمعلم إذا ما جهل طرق التدريس الصحيحة فإنه يعرض على المتعلم مسائل يصعب عليه منهجها واستيعابها ومن ثم فإن عملية التعلم لا تتحقق، ومن هنا أوصى بضرورة اختيار المعلم للطرق المناسبة مع استعداد المتعلم وتقبله للدرس.
- أن الشدة على المتعلمين مضره بهم، وفي ذلك يقول " إن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد ومن كان مرباه بالعسف و القهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر وضيق على النفس ، ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث "
- ٥- إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كما في التعليم حيث يؤكد على أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب و الفضائل تارة علما وتعلما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكما وأقوى رسوخا.

٦- العلوم على صنفين: علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقهاء

وعلم الكلام، وكذلك الطبيعيات والإلهيات من الفلسفة أما العلوم الأخرى فهي وسيلة لهذه العلوم كاللغة العربية والحساب وغيرهما للشرعيات كالمنطق والفلسفة.

أما تطبيقاته التربوية فكانت على النحو التالي:

١- التدرج فى عملية تقديم العلوم حتى تكون تلك العلوم سهلة ومفيدة حيث يؤكد على أن " تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا، إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا، وهذا يعنى أن يقوم المعلم بشرح الأشياء والدروس للمتعلمين شيئا فشيئا وبراعى فى ذلك عقل المتعلم واستعداده.

٢- الإكثار من الرحلات والزيارات الخارجية لأنها ضرورية فى عملية التعلم ، فالمتعلم يكتسب الكثير من معارفه ومعلوماته من خلال اتصاله المباشر بالأشياء فالتجربة أو الخبرة المباشرة هنا تكون أكثر رسوخا وعمقا فى نفس المتعلم.

٣- الابتعاد عن القسوة وسوء معاملة الأطفال فالتشدد فى تأديب المتعلم، وتعنيفه بقسوة فيه مضرة وإساءة له، وأوصى معلم الصغار - مؤدب الصبيان إن لا يزيد فى ضربهم إذا ما احتاجوا إليه عن ثلاثة أسياط وهو المقدار الذى عينه للشرع.

4- الاعتماد فى تأديب الصغار على القدوة الحسنة، فإن الصغار عادة ما يتعلمون الكثير من الأشياء عن طريق التقليد، والمحاكاة أكثر مما يستفيدون من أسلوب النصح والإرشاد.

٥- عدم مطالبة المتعلمين باستحضار وحفظ الكثير من المسائل والمصطلحات التى يصعب عليهم فهمها وحفظها وأوصى بتقديم السهل و البسيط من التعليم حتى يسهل على المتعلمين التحصيل وأكد أهمية المحاور و المناظرة لا كثرة الحفظ لأن قبول العلم والاستعداد لفهمه ينشأ تدريجيا و بالإكثار من الأمثلة الحسية .

٦- إن لا يخلط المعلم على المتعلم علما معا _ فإنه حينئذ نادرا ما يستفيد من أحدهما لأن فى ذلك تقسيم وتشتيت للبال. فيصعب على المتعلم فهم أو إدراك أى شىء. كما أوصى بأن لا نطول على المتعلم فى الفن _ العلم الواحد أو الكتاب الواحد لأن ذلك يؤدى إلى النسيان و الملل. وبعد أن استعرضنا الآراء و الأفكار التى جاء بها بعض الفلاسفة والمربين العظام والذين أسهموا فى إرساء مبادئ وأسس التربية لمرحلة ما قبل المدرسة _ رياض الأطفال _ بالإضافة لإسهامات علماء النفس أمكن وضع الركائز الأساسية لهذه المرحلة من حيث :

- صياغة أهداف هذه المرحلة .

- وضع برامج ومناهج تتفق مع خصائص طفل المرحلة ومطالب نموه
- تحديد الطرق و الأساليب المناسبة لتطبيق تلك البرامج.
- إعداد المعلمة القادرة على تفهم طبيعة العمل فى المرحلة.
- تصميم المبانى وتجهيزها بشكل علمى سليم.

ومن الجدير بالذكر أن الأهداف والطرق و الأساليب التى جاء بها هؤلاء الفلاسفة وغيرهم من التربويين وعلماء النفس التى تبلغ من القدم أكثر من نصف قرن، إنها بنيت على مفاهيم نفسية وآراء تربوية وتطبيقات تدريسية تختلف كثيرا عما هو موجود حاليا، إلا أنها مازالت تعتبر من المصادر الاساسية لأسس تربية الطفل فيما قبل المدرسة حيث أن هناك العديد من رياض الأطفال التى ما زالت تتبع حتى يومنا هذا طرق فروبل أو منتسورى أو ديكرولى، بالرغم من التغيرات التى طرأت على أهداف التربية وأغراضها فى العصر الحديث بمعظم دول العالم المتقدمة فى مجال تربية طفل ما دون سن السادسة.

تربية الطفل في العصور الوسطى

يمكن تاريخياً - بصورة تقريبية - تحديد هذه المدة من عام (٩٢٥) م عندما اغلق الإمبراطور (جيسنتيان) أكاديميات أثينا، وحتى بداية حركة النهضة الأوروبية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وهي مدة طويلة اختلفت الآراء التاريخية حول بدايتها ونهايتها، غاصت أوروبا فيها في سبات عميق، وشبه صحوة أحياناً أخرى. (٩١١ : ٤٧٩١ : ص ٥٠١).

أ) تربية الطفل في أوروبا المسيحية:

تتصف التربية المسيحية في أنها تؤكد على أهمية الجانب الديني في مرحلة الطفولة، محملة بذلك الأسرة دورها في تنشئة الطفل حتى سن السابعة، ليوصل دراسته في المعاهد الدينية - وهي دور ملحقة بالكنائس - ويمارس الرهبان دور المعلمين، وقد اهتمت هذه المعاهد بالجانب الروحي، والخلقي في شخصية الطفل، وهذا ما أكدت عليه تعاليم الديانة المسيحية التي جاءت

مناهضة لما كانت عليه التربية الوثنية في اليونان والرومان، ومع ذلك كانت التربية المسيحية للطفل تنسم بالكبت والقسوة، بعيداً عن الفرح والبهجة، والاهتمام بحاجات الأطفال.

مرحلة الطفولة في أوروبا - ولفترات طويلة - بمثابة نقص في الفطرة الإنسانية، وطبع شيطاني فالطفل كالبهيمة يعيش حياة دنيئة وشريرة، ولن يتخلص من هذه الوحشية إلا إذا دخل في مسلك تأديبي قاس، يقوم فيه الكبار بتهديبه بالتكاليف الدينية، والتمارين الرياضية، والمجاهدات النفسية لخلعه من متطلبات طفولته، وإدخاله إلى عالم الكمال والطهارة، عالم الكبار.



وهناك ملامح بارزة ميزت العصور الوسطى وعكست نفسها على التربية في هذا العصر :-

١- **النظام الإقطاعي** :- ظهر هذا النظام في أوروبا بعد وفاة جس تتيان بعدة قرون عندما أجز ملوك الفرنجة أراضي الدولة للقادة وكبار الموظفين ، وعندما ضعف الملوك أصبحت هذه الأراضي تتوارث لأبناء من كان قد استأجرها . كما وترافق ذلك مع عبودية من يفلح الأرض لمن يملكها ، ووصل الأمر إلى بيع الأرض لمن يفلحها .

٢- **البابوية** :- إذا كان الأباطرة الشرقيين بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية قد تملكوا السلطتين الدينية والدينيوية فقد لعبت الكنيسة دوراً كبيراً في الإمبراطورية الرومانية الغربية وفرضت سلطتها على كل العالم المسيحي ووجهته. ومن أهم الباباوات ذوي النفوذ والسلطة كان داما سوس (٦٦٣ م - ٤٨٣ م) ، وسركيوس (٤٨٣ م - ٩٩٣ م) الذي تنسب إليه أولى المراسيم البابوية . وفي الفترة التي تسلم فيها البابا ليو العظيم ما بين (٥٤٤ م - ١٦٤ م) الكنيسة تم الاعتراف بسيطرة البابوية على جميع كنائس الغرب . أما في عهد البابا جري جوري الأول (٥٩٥ م - ٤٠٦ م) فقد داننت كل الكنيسة الغربية لنفوذه .

٣- الرهبنة والأديرة :- الراهب هو من قطع وعداً بالناسك طوال حياته، وكانت الرهبنة التي تتم في الأديرة ذات تعاليم تربوية، وأداة لتهديب الأفراد في الغرب المسيحي ، وكانت ذات اتصال وثيق بالنهضة الأوروبية بما شملته أبحاثها من علوم الدين والفنون وعلوم نظرية وعملية، ويعتبر بطرس وأنطونيوس مثالين للرهبنة ، كما اعتبر القديس بنديكت المنظم الحقيقي وواضع قوانينها عام ٩٢٥م.

٤ - الفروسية :- ظهرت مع النظام الإقطاعي وتحول نظام الفروسية إلى نظام تربوي بما قدمه إلى الطبقات الراقية من مبادئ وتعاليم انقسم إلى مرحلتين :-

أ-المرحلة الأولى (من سن ٧ - 14) يخدم فيها الغلام في بيوت العظماء .



ب- المرحلة الثانية (14- 21) يتعلم الغلام مبادئ الحب والحرب والدين ومرافقة الفرسان وفي نهايتها يقسم الغلام في احتفال ديني على الدفاع عن الكنيسة ، وحماية الفقراء والنساء والدفاع عن أمن البلاد .

٥- **الحروب الصليبية** :- هي أهم الحركات التي أثرت على الأحداث في العصور الوسطى ما بين العام (٦٩٠١ م – ١٩٢١ م) وأهدافها متنوعة ما بين التوسع الاستعماري والاقتصادي وهي ٨ حملات ، ٤ ضد المشرق العربي (القدس وفلسطين) ، وواحدة ضد مصر وأخرى ضد القسطنطينية والأخيرة ضد شمال إفريقيا وأدت إلى احتكاك الغرب بالمسلمين والاستفادة من النهضة العلمية والأدبية عند المسلمين مما شكل رافعة للنهضة الأوروبية .

٦- **ظهور الجامعات** :- ظهرت أواخر القرن الحادي عشر في إيطاليا (سالرنو قرب نابولي عام ١٠٥١ م) ثم نابولي شمال إيطاليا وباريس عام ١٠٨١ م ولغة التدريس اللاتينية ، وظهور الجامعات مهد للنهضة الأوروبية الكبرى ، وسبب ظهورها انتشار الثقافة العربية ومرورها عبر الأندلس وعبر الاحتكاك في الحروب الصليبية بين العرب وأوروبا.

أثر الديانة المسيحية على التربية:-

ظهرت المسيحية كرد فعل على الفساد الذي ساد الإمبراطورية الرومانية ، وقد قاومه الحكام حتى القرن الرابع الميلادي في عهد الإمبراطور قسطنطين حين اعترف بالدين المسيحي ديناً رسمياً مع الديانات الوثنية الأخرى التي بدأت بالاضمحلال .

وسادت الثقافة المسيحية قروناً طويلة تدير شؤون المجتمع وتروض النفس استعداداً للحياة الأخرى كإحلال مكان الفلسفة الرومانية الأخلاقية التي اهتمت بالفعل ، فحل محلها الاهتمام بالسلوك وصارت التربية نمطاً سلوكياً ترويضاً مستقبلياً . وقد ساد بداية هذه الفترة الجهل لأن الكنيسة لم تقدم نظاماً تربوياً بديلاً لكثرة الحروب ولطبيعة الديانة الجديدة الصوفية في بدايتها فساد الظلام العصور الوسطى حتى مهدت الحروب الصليبية ونظام الفرسان والرهبنة والجامعات إلى ظهور النهضة الأوروبية وما لحقها من نهضة تربوية .

حركة إحياء العلوم الأولى :- نهضة شارلمان (١٧٧ م -٤١٨ م)

حيث كان شارلمان أول من أنشأ المدارس وأعاد إحياء الوضع الفكري والخلقي عبر الكوين الذي اعتبر أول وزير للمعارف عرفته فرنسا ، وأسس مدرسة القصر التي تعلم فيها شارلمان وأبنائه وبناته ، وكانت طريقة التدريس الطريقة الحوارية واستخدم العقاب البدني من قبل المدرسون

الذين كانوا قساة . ولكن هذه النهضة انتهت بوفاة شارلمان وأغلقت المدارس وحلت محلها القلاع والحصون ، وكان من ابرز أتباع شارلمان جير بير دورياك المعروف لاحقاً بالبابا سلفستر الثاني الذي درس العربية بالأندلس.

الحركة المدرسية:-

عرفت بالنهضة الثانية ، واتسمت بالحركة الفكرية التي سادت منذ القرن ١١ إلى القرن ٥١ ودعيت بالفلسفة المدرسية ، وأهدافها:-

١- عامة :- للدفاع عن المسيحية عن طريق العقل والمنطق الصوري (محاكمات المنطق الكلامية).

٢- تهييبية:- لتنمية قوة المناقشة والجدل والبحث عن المعلومات والمعارف المنسقة .

وكان لهذه الحركة المدرسية دور في إنشاء الجامعات (والحركة المدرسية نوع من الفاعلية العقلية)

وأهم مدارسها:-

١- المدرسة التنصيرية التي علمت المسيحية في الغرب.

٢- المدرسة الاستجوابية التي علمت المسيحية في الشرق.

٣- مدارس الكهنة التي أعدت رجال الدين للمراسم الكهنوتية.

٤- مدارس الأديرة.

٥- مدارس الإخوة (مدارس الرهبان الشحادون الفرنسيون والدومينيكان).

٦- مدارس الأوقاف .

يتضح مما سبق أن التربية المسيحية تجاهلت حاجات الطفولة في هذه المدة، وتعاملت مع الطفل وكأنه رجل صغير، لا يختلف عن الرجل الكبير، إلا في مقاييس الحجم والوزن البدني، وكان الفرق بينهما في العمر الزمني فقط؛ ولأجل هذا الفارق يظل الطفل عند النصرانيين يخضع لتدريبات قاسية ومتلاحقة؛ كي يغدو رجلاً كبيراً.

عصر النهضة والإصلاح الديني

العوامل التي أدت لعصر النهضة في أوروبا:

١- الثورة الاقتصادية :- قامت في القرن ٢١ وظهرت معها الطبقة الوسطى العاملة ، وتتألف من التجار وأرباب الحرف ، لتصبح الطبقات في المجتمع أربع طبقات وهي الطبقة الوسطى وطبقة النبلاء (المحاربون) ، وطبقة رجال الدين ، وطبقة الفلاحين، وكان لظهور الطبقة الوسطى أثر كبير في ثورة الإصلاح وتحطيم دعائم المجتمع الأوروبي القديم .

٢- أدى النمو الاقتصادي إلى ظهور قوى اجتماعية جديدة وكسر قبضة الإقطاع الحديدية وظهر نزعة عقلية متمردة على الفكر القديم ، وشهدت هذه الفترة هجرة العقول إلى فرنسا لما قدمته من دعم معنوي ومادي لهم .

٣- ظهور نزعة عقلية جديدة طالبت بالتوفيق والموائمة ما بين مطالب الإيمان ومطالب العقل الإنساني، وكان من أوائل من دعا إلى هذه النزعة ايبيلارد (٩٧٠١-٢٤١١ م) ونادى بتحرر العقل من رباط العقيدة، وأكد أن العقيدة لا يمكن أن تحيا حياة قوية بغير علم ومعرفة.

٤- التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي كانت قد بشرت بثورة الإصلاح التي حدثت في الفكر الأوروبي.



ومن أهم رموز هذه الثورة روجر بيكون (٤١٢١ - ٤٩٢١) الذي هاجم المنهجية المنطقية والميتافيزيقية ونادى بالمنهج التجريبي ، ويعتبر بيكون رائد الطريقة التجريبية التي كانت من أسباب النهضة الأوروبية .

٥- اختراع الطباعة :- اخترعت عام ١٤٤١ م مما ساهم في طباعة ونشر الكتب والدراسات ، وهذا شجع المطالعة وانتشار المعرفة .

٦- ظهور الدول العصرية :- ترافق النمو الاقتصادي مع تغييرات اجتماعية، وتعليم جديد لخدمة الواقع الجديد .

لقد شكلت النقاط الست السابقة الأرضية لظهور الجامعات مما كون الحركة الفكرية والفنية التي سميت بالإصلاح.

المدلول التربوي للنهضة (معنى النهضة التهذيبي):-

أولاً:- إحياء فكرة التربية الحرة:- كان اليونان من صاغ فكرة التربية الحرة وتبناها الرومان بعدهم ، وهي العلو الحرة التي تليق بالرجل الحر ، وتدربه على الفضيلة والحكمة كما عرفها بولس فرجيريروس في كتابه عام ٤٧٣١ م

١-العنصر الجسماني .

٢- عنصر الاقتدار العملي في شؤون الحياة المختلفة .

٣- العنصر البديعي الجمالي ، الذي أهملته العصور الوسطى المظلمة.

ثانياً :- التربية الإنسانية الضيقة :- أطلق على محتوى التربية الحرة الذي كان قوامه اللغات والآداب القديمة الإنسانية ، وقد تم التوسع لهذه الغاية في دراسة آداب اللغات القديمة ، وأصبحت غاية التربية تعلم اللغات والآداب بدلاً من الحياة نفسها، وأصبح الاهتمام بصورة الآداب أهم من مضمونها وضاق معنى التربية واقتصر على العناية باللغات وتعلمها ، ومن أشهر المربين الإيطاليين في عصر النهضة (بترارك) الذي ظهر في القرن السابع عشر الذي شجع المطالعة العالمية القديمة، ورفض التربية الجامدة .

وكذلك المربي الإيطالي (فيتورينو دافلتر) الذي ظهر ما بين العامين ٨٧٣١ - ٦٤٤١ م ، وسمي المدرس العصري الأول .

ثم المربي الإنكليزي (روجر إسكام) الذي ظهر ما بين العامين ٥١٥١ - ٨٦٥١ م ، وهو أول من كتب في التربية باللغة القومية ، وعارض العقاب البدني ، واشتهر بطريقته في الترجمة المزدوجة (أي ترجمة النص من اللاتينية إلى الإنكليزية ثم العودة إلى ترجمته إلى اللاتينية).

أما في ألمانيا فقد كان أشهر المربين الإنسانيين (إراسموس) وظهر ما بين العامين ٧٦٤١ - ٦٣٥١ م وعلم الآداب القديمة في أكثر من جامعة أوروبية ، ومن أقواله :- إذا حصلت يوماً على مال فأول ما أفعله شراء الكتب اليونانية ومن بعدها بعض الملابس الضرورية.

ومن أهم آراءه - اعتبار الأم المربية الطبيعية للطفل، وأن لا يطلب من الطفل قبل السابعة إلا اللعب واكتساب الآداب والأخلاق وبعد ذلك يدرس اليونانية واللاتينية معاً مع التركيز على النحو . وعدم إهمال التربية الدينية ، والاهتمام بالتربية الأسرية وعدم التمييز بين البنات والأولاد واستبعاد العقاب البدني واستبدله بالتشويق والغراء.

الإصلاح البروتستانتي :

بينما اتجهت النهضة في إيطاليا اتجاهاً أدبياً وعنيت بالآداب وركزت على الفرد ، نجدها في ألمانيا تنحو منحاً دينياً ، حيث عنيت بالآداب المسيحية ، واهتمت بالإصلاح الاجتماعي والديني والخالقي . فقد كان رجال الدين المسيحي متففين على إصلاح المفاصل التي حصلت داخل الكنيسة ، لكنهم اختلفوا حول مفهوم الدين وطبيعة العقل البشري نفسه .

تربية الطفل في العصور الحديثة

لقد كانت تربية الطفل قبل هذا العصر تمتاز بالقسوة و الشدة عند اليونان والرومان في العصر القديم، أما في العصر الوسيط فقد كان الاعتقاد سائداً بأن طبيعة الطفل شريرة فاسدة يجب قمعها؛ وهذا أدى إلى الرهبة والزهد، و كانت المدرسة بوجه عام (سجن الطفولة)؛ الأمر الذي دفع العديد من الفلاسفة و المفكرين التربويين إلى إعادة النظرة نحو الطفولة المبكرة بصورة أفضل، واتفقت آراء هؤلاء بأن لهذه المرحلة مواصفاتها ومتطلباتها وخصائصها النمائية، التي تختلف عن بقية المراحل العمرية اللاحقة، التي ينبغي الاهتمام بها، و دراستها دراسة علمية بعيداً عن المعتقدات السائدة في المجتمع.

وبرز اتجاه فلسفي جديد على مساحة الفكر الإنساني في أوروبا، وقد تبلور التطور الفكري العام في ظهور فلسفة التنوير، وهي تمثل أول دعوة عقلانية تأخذ بالعقل معياراً للتقدم في

أوروبا الوسطى*، لتقف وجها لوجه أمام الديانة المسيحية المحرفة، ممثلة بالمذهب السكلائي،



وهي مجموعة تعاليم مختلطة لأفكار الفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس. (٣٠١: ٠٧٩١: ص ١٤١)، ومذهب القديس المسيحي توما الأكويني (Toma Al-Akiweni) واجتهادات رجال الدين النصراني، رافضة بذلك النظرة التقليدية لذلك المذهب في الإنسان والمعرفة والمجتمع، ومحاولة إعادة صياغة تركيبية جديدة، أساسها الإيمان القائم على العقل و التجربة والعلم، الأمر الذي أدى إلى زيادة التحرر لدى العديد من الحركات الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والعلمية كحركة التطهير ومذهب التقوى، فظهرت حركة تربوية تؤكد الاهتمام بالطفولة وتربيتها، وفق أسس جديدة تنادي بتوفير البيئة التربوية المناسبة لهذه المرحلة. (٥٣: ١٧٩١: ص ٥٤).

ويتفق الباحث مع رأي الباحثة (سناء الكبيسي) من أن الأدبيات التي عالجت التطور التاريخي لرياض الأطفال في العصر الحديث يشوبها نوع من التداخل والتكرار، سواء في المسميات، أو تواريخ نشأة رياض الأطفال، و ضمناً لإثراء هذا الجانب، وتحاشياً للتكرار والتداخل في هذا العصر، الذي اتسم بالتسارع نحو الاهتمام بمرحلة الطفولة، وبروز العديد من المفكرين لهذه المرحلة، ومن ثمَّ نشوء رياض الأطفال بالصورة المتعارف عليها الآن تم تقسيم هذا العصر إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى (المرحلة الفلسفية النظرية): وتشتمل على أبرز الفلاسفة الذين ساهموا إسهاماً نظرياً في تطور الفكر التربوي لمرحلة الطفولة المبكرة، و أرسو المبادئ والأسس التربوية لها، وكان لأفكارهم الأثر القوي على من جاء بعدهم، ويمكن الإشارة إلى ثلاثة من هؤلاء الفلاسفة:

١. جون أموس كومينوس (J. A. Comenius، 1671-1592) م.

٢. جون لوك (J. Locke، 1704 – 1632) م.

٣. جان جاك روسو (J.J.rousseau، 1778 – 1712) م.

وليس هناك ضرورة للخوض في توضيح إسهامات هؤلاء الفلاسفة كلُّ على حده في مجال تربية الطفل؛ فهذه الإسهامات موجودة في جميع الأدبيات التي تناولت التربية في مرحلة ما قبل المدرسة، ويكتفي الباحث بإبراز أهم المنطلقات الفلسفية العامة، التي غلبت على مبادئهم نحو تربية الطفل في سنواته الأولى، ومن هذه المنطلقات:

١. التربية تبدأ بالحواس وتقوم على الأنشطة الحسية.

٢. تكاملية وشمولية مظاهر النمو عند الطفل بالذات الناحية الجسمية.

٣. الطبيعة هي مصدر المعرفة ووسيلة التربية.

٤. الإحساس الداخلي ومعطيات التجارب الخارجية هما مصدر المعرفة عند الطفل.

٥. اللعب التلقائي وحرية الحركة.

٦. محاكاة الأنشطة للبيئة الواقعية.

٧. الخيرية الفطرية في طبيعة الطفل.

٨. التعزيز الإيجابي للطفل.

المرحلة الثانية (المرحلة التجريبية العملية):

وتشتمل على أبرز المربين الذين حاولوا الافادة من تلك المبادئ والأسس النظرية المتعلقة بمرحلة الطفولة، ساعين إلى تطبيقها على أرض الواقع من خلال افتتاح مدارس تجريبية، ويمكن الإشارة إلى ثلاثة من هؤلاء المربين:

١. جون هنري بستالونزي ((J. H. Pestalozzi، 1827 – 1746)) م.

٢. جين فريدريك أوبرلين ((J. F. Oberlin، 1826 – 1740)) م.

٣. روبرت أوين ((R. Owen، 1858 – 1771)) م.

حيث وضع (بستالونزي) الأفكار التي عبر عنها (روسو) موضع التنفيذ في مدارس رياض الأطفال التي أنشأها في " ستانز " و " بروجورف " و " إفردون " بسويسرا.

أما (أوبرلين) فقد حوّل قاعات الكنيسة في إحدى مقاطعات فرنسا إلى مدارس أولية، تؤوي أطفال البيئات الفقيرة في سن ما قبل المدرسة، و وضع لهم منهجاً تربوياً؛ اشتمل على الألعاب المتنوعة، وتقطيع الصور، وحياسة الأقمشة، ودراسة الطبيعة، وتعلم اللغة عن طريق الأناشيد والغناء، وتدريبهم على زراعة بعض النباتات، و القيام بالنزهات، مع تأكيد المنهج على التربية الفنية والتوجيه الخلفي.

ونهج (روبرت أوين) في بريطانيا المنهج نفسه الذي سار فيه سابقوه؛ فأنشأ مدارس طفولة لأبناء عمال المصانع البريطانية.

يلاحظ أن برامج تربية الطفل في هذه المرحلة غلب عليها طابعٌ، لم يكن واضحاً بقوة في المراحل السابقة، يتمثل في توافر:

١. الحماية الصحية المقدمة للأطفال من خلال وجبات غذائية ضرورية لهم.
٢. الاهتمام بالأعمال اليدوية والأشغال الحرفية، بعيداً عن الموضوعات الشكلية في التعليم، من مقررات معدة سلفاً، وجداول، وحصص مفروضة ومحددة لموضوعات بعينها.
٣. الرعاية الإنسانية ومشاعر الحب والمودة الصادقة للأطفال، من خلال تكوين علاقات عاطفية وحميمية، تتسم بالثقة بين المعلم والأطفال.

ويبدو أن السبب في ظهور هذا الطابع راجع إلى العوامل الاقتصادية، و الاجتماعية، التي مرت بها بعض الدول الأوروبية " بريطانيا وفرنسا " كالثورة الصناعية، وظاهرة الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة، مما أدى إلى خروج المرأة إلى سوق العمل في المصانع والمدن الكبرى، وما ترتب على ذلك من إهمال في أحوال الأطفال وضياع حقوقهم، جراء مزاوله أعمال لا تتناسب ومستوى أعمارهم؛ فكانت هذه المدارس لإيواء أطفال العمال و الفقراء واليتامى وأبناء البيوت المحطمة، الذين يعانون من حرمان صحي وعاطفي مبكر.

المرحلة الثالثة (المرحلة التأسيسية): تشتمل على أشهر المفكرين والمؤسسين لرياض الأطفال وتبدأ من عام (٧٣٨١) م، الذي تأسست فيه أول روضة للأطفال بالمفهوم المتعارف عليه في هذا الوقت، وتمتاز هذه المرحلة بتزايد البحوث و الدراسات التربوية و النفسية حول الطفل، ومن رواد هذه المرحلة:

١. فريدريك فروبل ((F. Frobel، 1852 – 1782)) م.
٢. جون ديوي ((J. Dewey، 1952 – 1859)) م.
٣. ماريا منتسوري ((M. Mantsorry، 1953 – 1870)) م.
٤. جان بياجيه ((J. Piaget، 1980 – 1896)) م.

وتعد هذه المرحلة من أخصب المراحل التاريخية في أوروبا الحديثة، اهتماماً بالطفولة المبكرة - مع كونها نتيجة طبيعية ومنطقية للمراحل التاريخية السابقة - وبالتالي ساعد ذلك على تعدد الاتجاهات التربوية والنفسية في تربية الطفل قبل سن السابعة، مستهدفة توفير أفضل البيئات التربوية الملائمة لتربيته، من خلال توافر تهيئة الفرص التعليمية المرتبطة بخبرات الطفل،

والتفاعل الاجتماعي مع أقرانه، و تنمية السمات الشخصية له، ويمكن تصنيف هذه الاتجاهات التربوية بحسب الفكر الفلسفي الذي اعتنقه رواد هذه المرحلة:

أ. الاتجاه النفسي المثالي، ممثلاً بـ (فروبل).

ب. الاتجاه الاجتماعي التجريبي، ممثلاً بـ (ديوي).

ج. الاتجاه الحسي، ممثلاً بـ (منتسوري).

د. الاتجاه المعرفي، ممثلاً بـ (بياجيه).

إن نظرة فاحصة لهذه الاتجاهات توحى بأن بعضها، وإن كان يختلف عن بعضها من ناحية، ويتفق معها من ناحية أخرى، لكن جميعها تتفق في الروح العامة؛ بمعنى قد تختلف في الوسائل، ولكنها تتوحد في الغايات البعيدة، وهكذا يكون الفرق في الدرجة بين هذه الاتجاهات للاعتبارات المتعلقة بنفسية الطفل، وعقليته، وحواسه، وبين الاعتبارات المتعلقة بطبيعة المجتمع.

أولاً: الاتجاه النفسي المثالي:

المدخل الرئيس لهذا الاتجاه هو الكشف عن القدرات الهائلة الكامنة داخل الطفل، وذلك من خلال دراسة ميوله واهتماماته، مع اعتبار أن النمو نتيجة نشاط الطفل نفسه، من خلال تجاربه وخبراته الذاتية، ولأن الطفل وليس المادة التعليمية هو محور العملية التعليمية.

ويُعد (فردريك فروبل) الممثل الأول لهذه الاتجاهات التقدمية، وإليه ترجع تسمية المدارس التي تضم أطفالاً بين الثالثة والسادسة بـ (رياض الأطفال). أما عن الفكرة الجوهرية في فلسفته لهذه المرحلة فهي أن الأطفال بطبيعتهم مبدعون وقادرون على النشاط الخلاق المبدع، إذا ما أُعدت لهم البيئة المناسبة، وتركت لهم حرية اللعب والنشاط، وإن الحقائق الكبرى كامنة في الطفل نفسه، وبالتالي يصبح هدف تربيته هي توثيق علاقة الطفل بالله تعالى، والطبيعة، والإنسان؛ لينمو روحياً، وجسماً، و عقلياً متكاملًا من خلال النشاط الذاتي كما احتوى منهجه عدداً من الفعاليات؛ كالأنشطة العملية من ورق وصلصال ورسم وحياسة، إلى أنشطة فنية كالغناء والقصص، وأنشطة معرفية كالقراءة و الكتابة والحساب، وأنشطة دينية وخلقية؛ فضلاً عن الهدايا والألعاب الأخرى.

انتشر هذا المنهج بفلسفته في أنحاء من أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية؛ ليظهر تأثيره العميق في مجال تربية الطفل، بسبب تركيزه على الجوانب الخلقية والتدريبات اليدوية؛ ولهذا يعد

(فروبل) الرائد الأول في محاولة ابتكار مناهج وبرامج مناسبة و ممتعة للطفولة، ومع ذلك فقد لقي منهجه المعتمد على الخبرة النفسية بعض النقد، من ذلك مثلاً:

- ١) إن منهجه هندسي، فلا ينبغي للطفل أن يتعلم غير الكرة والمكعب والاسطوانة، والمفردات المتعلقة بها، فالحياة مفعمة بأشياء غير هندسية؛ فيجب أن لا نحرم الطفل منها.
- ٢) إن منهجه يجبر الطفل على طول الجلوس في الصف أثناء تشكيل الأشياء، وتدريب الحواس، وعمل الأشكال الفنية، وهذا لا يحقق الهدف الذي من أجله أنشئت الرياض لطول بقائه في الصف، مما يعرقل نمو نواحي من شخصيته.



ثانياً: الاتجاه الاجتماعي التجريبي:

وجوهر هذه الاتجاه التربوي، هو التفاعل المستمر بين الإنسان بعدّه ذاتاً قابلة للتطور والنمو بصورة مستمرة من ناحية، وبين البيئة الاجتماعية المحيطة به من ناحية أخرى، مع التسليم بأن النمو هو سلسلة من الخبرات المتجددة؛ من خلال إعادة تركيبها بصورة صحيحة، ليحدث التغيير المنشود.

ثالثاً: **الاتجاه الحسي الحركي:** يعتمد هذا الاتجاه على مبدأ هام، هو أن للطفل منذ لادته وحتى سن السادسة من عمره (حواساً) تتأثر بدرجة كبيرة جداً بالمنبهات الخارجية المحيطة، أكثر من أي مرحلة أخرى في حياته؛ ولهذا فإن إحاطة الطفل بمنبهات حسية تثير عنده الرغبة في التعلم، والاستكشاف عن طريق تدريب هذه الحواس بعيداً عن الحفظ الصم الذي يعوق عمليات النمو.

تعد الطيبية والمربية الإيطالية (ماريا منتسوري) من مؤيدي أفكار هذا الاتجاه - إن لم تكن من مؤسسيه - فقد تابعت ما جاء به سلفها ونقحت طرائق (فروبل)، ودعمتها بمعرفتها بطب الأطفال؛ الأمر الذي مكنها من تطوير وابتكار منهج تربوي لتعليم أطفال الروضة الخبرات المتخصصة، ويمكن الإشارة إلى بعض جوانب هذا المنهج.

الأسس النظرية لمنهج منتسوري:

١. تدريب الحواس القائم على تنمية الملاحظة المنظمة هو الأساس في النمو العقلي.
٢. التربية الذاتية والتعليم على وفق القدرات و الميول.
٣. التعليم الفردي ومراعاة الفروق الفردية بين الأطفال.



٤. النزعة الاستقلالية للطفل تساعده على النمو السليم.

٥. حرية الطفل في العمل والتعلم.

٦. إعطاء اللعب قيمة وظيفية في عملية التعلم.

٧. الضغط و الشدة يعيقان التعلم التلقائي.

٨. التوجيه وعدم التدخل المباشر من قبل المربية مع توافر الوسائل التعليمية.

وبذلك تكون طرائق (منتسوري) هي:

النشاط الحرفي، وتدريب الحواس، وتعليم القراءة والكتابة.

في ضوء هذه الطرائق العامة جاءت استراتيجيات تنظيم المكان في هذا المنهج، مؤكدة على أهمية التهيئة البيئية وإعدادها، بحيث يزود الأطفال بـ مواد وأجهزة وأدوات خاصة محددة؛ توزع عادة على أركان ثلاثة هي:

١. ركن الحياة العملية (النشاط الحركي).

٢. ركن المواد الحسية (تدريب الحواس).

٣. ركن المواد الأكاديمية (تعلم القراءة والكتابة).

حيث يتم ممارسة أنشطة كل ركن، من خلال تفاعل الطفل المباشر مع المواد المتوافرة بالركن. (٦٨: ١٠٠٢: ص ٥٦)

رابعاً: الاتجاه المعرفي:

يعد العالم السويسري الشهير (بياجيه) من أبرز الممثلين لهذا الاتجاه، الذي عُني بدراسة النمو العقلي في مراحل الأولى، والأسس التي تحكمه، وما يتعلق ببنية الذكاء، وكيفية تطورها انطلاقاً من الأشكال المعرفية البسيطة إلى الأشكال العليا المعقدة.

أهداف المنهج المعرفي في رياض الأطفال:

(١) تمكين الطفل من التفكير الاستقلالي والابتكاري.

(٢) تكوين صورة إيجابية لذات الطفل.

- (٣) تمكين الطفل من التفاعل السوي والتعاون مع الآخرين.
- (٤) تدريب الطفل على تحمل المسؤولية الشخصية.
- (٥) تزويده بالمعلومات الصحيحة عن البيئة.
- (٦) إكسابه مهارات التعلم الأساسية من قراءة وكتابة وحساب.



محتوى المنهج المعرفي:

يشتمل محتوى هذه المناهج على مجموعة من مجالات التفكير للخبرات الآتية:

١. التفكير السمعي: الانتباه والتمييز بين الأصوات.
٢. التفكير البصري: تمييز الاختلاف والتشابه بين الأشياء.
٣. التفكير اليدوي: الإحساس باللمس واستخدام اليد.
٤. التفكير التصوري: نقل الرسوم إلى أشغال معينة.
٥. التفكير المنطقي: التصنيف والتتابع والتسلسل.
٦. التفكير المكاني: تحديد المواقع والاتجاهات.

٧. التفكير الاجتماعي: تفهم مشاعر الآخرين.

طرائق التعليم في المنهج المعرفي:

هناك مجموعة من الأساليب التي يجب مراعاتها عند تنفيذ أنشطة ومحتوى المنهج المعرفي، وهي:

١. تفعيل دور الطفل ودمجه في بيئة غنية بموارد وفرص تعلم.

٢. استخدام الحوار المسرحي والتمثيلي للتعبير عن المشاعر.

٣. تصوير الأشياء ورسمها وتلوينها.

٤. القيام بالرحلات والنزهات إلى البيئة المحيطة.

٥. توظيف اللعب في التعلم.

نشاط

وضح مراحل تطور تربية الأطفال عبر العصور المختلفة



الفصل الثاني

آراء وجهود المربين والفلاسفة
في تربية طفل ما قبل المدرسة

الفصل الثانى

آراء وجهود المربين والفلاسفة فى تربية طفل ما قبل المدرسة

بستالوزى

نشأته :

ولد جون هنرى بستالوزى فى مدينة زيورخ بسويسرا عام (٦٤٧١) ، وقد توفى والده الطبيب وهو فى الخامسة من العمر ، فتولته والدته برعاية رقيقة يسودها الحب و العطف الشديدين ، مما كان له أثر كبير على خلقه وطباعه ومن ثم على فكره الفلسفى و التربوى فيما بعد ، درس اللاهوت والحقوق ، ولكن سرعان ما انصرف عنهما واتجه للتربية ، وأعجب كثيرا بكتاب إميل لروسو ، أسس مدرسة لأبناء الفقراء فى نيوهوف (٥٧٧١) ، واستمرت حوالى (٨١) سنة ، ثم أشرف فى عام ٠٥٨١ على إدارة مدرسة (فردون) التى طبق فيها طرقه التربوية ، وقد اشتهر وذاع صيته فلجأ إليه المربون من كل مكان للاستفادة من نظرياته وتجاربه فى إدارة المؤسسة . قامت آراءه الفلسفية على إن التربية الحديثة هى السبيل للإصلاح لخالص البشرية من آثام المجتمع ، ولهذا لقب بالمصلح الاجتماعى، من أشهر مؤلفاته التربوية كتاب "كيف تقوم جيرترود بتدريس الأطفال" ، و" كتاب للأمهات " ، وينصح من هذين الكتابين أن بستالوزى أعطى الأسرة دورا مهما فى تربية الأبناء وتنشئتهم، ولذلك ركز على مايقوم به الوالدان تجاه الصغار . توفى فى نيوهوف عن عمر يناهز الحادية والثمانون .

أهم آراءه وفلسفته التربوية :

بعد بستالوزى من اهم من أسهم فى تزويد التربية بأفكار عن الطفولة، وعن تربية الطفل فى هذه المرحلة ، بل كان لأفكاره وآراءه الأثر الأكبر فى تفكير وآراء العديد من الفلاسفة الذين جاءوا بعده ، ويمكن تلخيص أهم أفكاره ومبادئه فيما يلى :-

١- إن عمل التربية هى إنماء للقوى الكامنة فى الفرد وذلك عن طريق تهيئة الفرص لاستغلال كفاءته المختلفة .

٢- تعمل التربية على استغلال القدرات التي زود الله بها الطفل و السماح لها بالتعبير عن نفسها ، لكي يتاح لها النمو الصحيح و المتزن ، ومن أجل فهم طبيعته الخاصة .

3- إن التربية هي النمو العضوي للطفل نموا شاملا متكاملا (عقليا ، جسميا ، أخلاقيا) انطلاقا من مبدأ الانسجام و التوازن بين هذه المظاهر مجتمعة .

٤- إن القوى الداخلية للطفل تهيأ الدوافع للتعلم أكثر مما تفعله القوى الخارجية .

٥- إن الحواس هي الأساس في عملية تعليم الطفل و تربيته ولا بد أن تسعى التربية إلى تنميتها و العمل على تدريبها لكونها منافذ لاكتساب المعرفة لدى الطفل في السنوات الست الأولى .



٦- إن هدف التربية المبكرة ليس مد الطفل بأنواع المعرفة ، بل تنمية عقله وتفكيره

٧- التركيز على النشاط الذاتي للطفل وفاعليته في المواقف التربوية والتعليمية لضمان نجاح عملية التعلم .

٨- أهمية التأمل (الملاحظة) في عملية تعليم الطفل ، و التأمل هو العمل الطبيعي التلقائي للذكاء البشري ، وهو إدراك حي مباشر وليد اللحظة ، وعن طريقه يستطيع العقل أن يحصل على الحقائق دون مجهود كبير أو تردد .

٩- هناك ثلاثة أنواع من التأمل (حسي ، عقلي ، وخلقى) ، كما توجد تأملات للإحساسات الداخلية (الحق ، والخير ، الجمال) .

11- لا بد أن يكون للتربية الدينية و الخلقية أهمية خاصة ، فالطفل بحاجة ماسة إلى مثل هذا النوع من التربية بحيث تكون لها الأولوية في النظام التعليمي ، وعلى المعلم أن يكون قدوة حسنة

يحتذى بها .

12- أهمية تدريس الحساب فى مرحلة التعليم الاولى ، وذلك من أجل إعطاء الطفل فكرة صحيحة عن خواص الأعداد على أن يكون تدريس الحساب مقترنا بلعب الأطفال وبمظاهر أنشطتهم الأخرى .

13- إن حب الأم هى اللبنة الأولى فى تربية الطفل وتنشئته ، و لأسرة أهم مؤسسة اجتماعية تربوية للصغار ، لأنها مركز ومصدر لتوفير المحبة و الأمان لهم ، فالتربية تتم بالأمثلة الصالحة لا بالوصايا .

أما التطبيقات التربوية فكانت على النحو التالى :

١- يقوم أسلوب التدريس عند بستالوزى على مبدأ تحليل المعرفة إلى عناصرها الأولية البسيطة ليتمكن الأطفال من الفهم و التعرف على ما يحيط بهم ، فى نظام وعلى خطوات متتالية .

٢- اتباع الطريقة التأملية (الملاحظة) فى عملية تعليم الطفل وتربيته، وذلك للانتفاع من قدرات الطفل واستغلالها فى ملاحظة ما يحيط وما يرتبط به من مظاهر حياتية ، فالإدراك الحسى هو أساس عملية التعليم.

٣- أن يحرص المعلم على أن يتصف التأمّل (الملاحظة) بالتنشويق والاهتمام بالنسبة للطفل ، كما أنه يرى أن يكون الشيء الذي يتأمله محسوسا ، حتى يسهل تأمله ويتيسر ملاحظته ، أما إذا كان فكرة أو رأيا أو حقيقة غير محسوسة ، فإنه يؤجل ذلك حتى يصل الطفل إلى مستوى التطور الذهنى الذي يؤهله لذلك .

٤- التركيز على النشاط الذاتى للطفل ، بمعنى أنه لا بد أن يقوم التعليم على خبرة الطفل ، وملاحظاته بنفسه مستخدما فى ذلك حواسه المختلفة .

5- الابتعاد عن استخدام الطريقة اللفظية ، أى الشرح والتلقين ، فى عملية تعليم الطفل كلما أمكن ذلك عند بدء التعليم فالطفل الصغير يضطرب كثيرا كلما استعملت معه هذه الطريقة لأنها لا تتناسب مع مداركه ومستوى فهمه ويمكننا بعد ذلك فى المستويات المتقدمة الربط بين اللغة والمحسوسات أى ربط الكلمة بالشيء .

6- استخدام كل ما هو ملموس ومحسوس من الأشياء فى تعليم الأطفال ،بمعنى أن يكثر معلم

الأطفال من استخدام الوسائل و المحسوسات التى تعين الطفل على اكتساب المعرفة .

7- التدرج فى عملية تعليم الطفل ، من حيث البدء بالعناصر السهلة ، فالعناصر الصعبة ، ومن البسيطة إلى المركبة ، بمعنى أن يكون التدرج منطقيا ومستلسلا ، كما أنه لا يجب ان ينتقل المعلم من نقطة إلى أخرى إلا بعد التأكد من أن الطفل قد فهم النقطة السابقة وثبتت فى ذهنه .

8- لا بد وأن يتلاءم تقديم المادة العلمية للأطفال مع مراحل نموهم حيث أن لكل رحلة من مراحل النمو خصائصها التى ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار عند تقديم المعرفة أو المواد الدراسية .

9- تعويد الطفل على الجد و الاجتهاد ، وهنا على المعلم أن يدرك أن اجتهادالطفل لا يأتى إلا من خلال شعوره بالارتياح و السرور ، لأن فقدانهما يصرف الطفل عن الانتباه و الشرح .

10- تدريب الأطفال على ضبط النفس و المعاملة الطيبة و التعاون و حفظ الجميل مما يزيد الأطفال بمبادئ و أساليب التربية الخلقية .

11- الاهتمام بالرسم و الكتابة التى لا تخرج عن كونها جزء من الرسم ، بمعنى أن يبدأ الطفل برسم الخطوط المستقيمة و الزوايا و المنحنيات ، ويكون ذلك عن طريق التمرينات الدقيقة .

12- على المعلم الاهتمام بطرق التدريس و أساليبه التى تجعل المواد و الدروس تنساب إلى عقول الأطفال لذيدة شيقة ، وذلك بالشرح المبسطوالأسلوب السهل بعيدا عن السرد العقلى مع التأكيد على عملية النمو الشامل واحترام شخصية الطفل وتقديرها .

13- احتل كل من الغناء و التربية الرياضية مكانا هاما فى تربية الطفل ، وكان الهدف منهما التأثير فى المشاعر و فى التربية الخلقية .

14- وأخيرا يجب أن يكون للتعليم منزلة أو مكانة ثانوية بالنسبة للهدف الأساسى من تربية الطفل ، وهو النمو الشامل لقدرات الطفل الجسمانية و المعرفية و الحسية و الاجتماعية .

15- ركز على عملية إعداد و تأهيل معلمى الأطفال .

فروبل Froebel

نشأ فى إحدى قرى بروسيا ، وقد تميزت طفولته بالتعاسة و الشقاء نظرا لوفاة أمه ، وهو فى الشهر التاسع من عمره، وابتعاده عن والده رجل الدين ، الذى كان دوما مشغولا عنه ، واعتماده على الخدم فى تربيته وتنشئته مما عوضه إلى الحرمان فى طفولته ، وبعد زواج والده مرة أخرى عانى الكثير من زوجة أبيه فعاش منطويا على نفسه يكثر من التأمل فيما حوله ، ولم يعيش حياة سعيدة هائلة إلا فى منزل خاله حيث شعر بالحب والحنان و الحرية و الانطلاق وكان آنذاك فى الحادية عشرة من عمره ، فالتحق بمدرسة وكانت هذه الدروس الدينية شديدة التأثير عليه ، فاقبل عليها بنهم شديد ، إلا أن والده حرمه من التعليم لقله موارده المالية ، ونظرا لرغبة فروبل الشديدة فى مواصلة التحصيل و الدراسة اضطر إلى بيع قطعة أرض

ورثها عن والدته لينتقل من الالتحاق بجامعة بنيام عام (١٩٧١) وفيها درس العديد من المواد وقد تفوق فيها كثيرا ولكنه لم يتمكن من إتمام دراسته الجامعية فالتحق باحد الوظائف الكتابية فى الغابات ، وظل ينتقل من عمل لآخر حتى أصبح مدرسا فى مدينة فرانكفورت ، وبعد أن سمع عن (بستالوزى) وكيف أنه علم نفسه بنفسه ، وتأثر بذلك كثيرا فأصر على زيارته فى فيرون بسويسرا ليستزيد معرفة به بعد أن أنشأ معهدا يعمل فيه الفقراء و المحتاجين وتأثر فوبل خلال إقامته بالمعهد بأراء بستالوزى فأدرك قيمة الموسيقى و اللعب فى حياة الأطفال ، كما أنه أعجب بطريقة التدريس هناك حيث كان يوزع الأطفال عند تدريس مادة واحدة على فصول متعددة كل حسب قدراته ، وبعد أن عاد إلى مدرسته بفرانكفورت طبق فيها الكثير من الأفكار و الأساليب التى شاهدها بالمعهد وركز على الدراسة من خلال البيئة المحيطة بالأطفال ، وفى عام (٦١٨١) افتتح مدرسة خاصة به طبق فيها آراء بستالوزى التربوية ، حيث اعتمد على الموسيقى و اللعب والنشاط الذاتى للأطفال .

إلا أن هذه التجربة لم تستمر طويلا لسوء أحواله المادية وفى عام (١٨٤١) افتتح مدرسة خاصة للأطفال فى فلانكبورغ بألمانيا طبق فيها لأول مرة آرائه فى التربية ، درس فيها الموسيقى والغناء ، كما اهتم بالألعاب الرياضية و النشاط الذاتى للأطفال ، وتعتبر هذه المدرسة بمثابة أول روضة للأطفال فى العالم ، غلا أن الحكومة البروسية قاومت مثل هذا النوع من المدارس التى انتشرت فيما بعد ، فأصدرت فى عام (١٥٨١) قانونا يقضى بإلغائها إلا أنه سرعان ما ألغى قرار الحظر بعد وفاة فرويل بثمانى سنوات ، انتشرت بعد ذلك رياض الأطفال فى جميع أنحاء أوروبا و التى يرجع الفضل فى إنشائها إلى رائد الطفولة الأول فرويل . ومن مظاهر اهتمام فرويل بالطفولة أنه ألف كتابا أسماه (تربية الإنسان (The Education of Man) أهدها إلى الأمهات للاستفادة منه فى التربية.



أهم آرائه وفلسفته التربوية :

يرى فروبل أن طفولة الإنسان تمتلك استعدادات وقدرات خاصة يمكن الاستفادة منها ولكننا لا ندرك ذلك إلا فى وقت متأخر بعد أن تنقضى فترة الطفولة ، لذلك يؤكد أنه يجب أن يأتى الوقت الذى نجد فيه الأطفال وقد استطاعوا أن يحسنوا استغلال فترة طفولتهم ، ولن يتحقق ذلك إلا من شخص قادر على جعل الطفل يدرك ذلك جيدا فى الفترة المناسبة ، ولهذا فقد حذر من مضى الوقت دون أن نعلم إلى استغلال فترة الطفولة استغلالا حسنا . كما ربط بين هذا الاستغلال وبين وجود الشخص القادر المتفهم الذى يستطيع أن يساعد الطفل على تنمية هذه الاستعدادات و القدرات لديه .

ويمكننا استعراض بعض مبادئه التربوية على النحو التالى :-

1- أن هدف التربية هو مساعدة الطفل على تفتح قواه الداخلية ، على أن تبدأ العمليات التربوية ابتداء من سن الثالثة أو الرابعة ، وترتكز على ميول الطفل الإرادية واحترام فريدته الخاصة .

2- إتاحة الفرصة لتحقيق النمو الشامل الذى لا يحدث إلا بأسلوب طبيعى هادئ كما أراد الله سبحانه وتعالى ، ومن ثم ينبغى ألا نجبر الأطفال على الأعمال التى لا تنبع من الذات لكى لا يكون ذلك ضد الطبيعة وضد الفطرة ، وبذلك يدعو إلى حرية الطفل وعدم التدخل فى توجيهه وتركه للطبيعة حتى لا يفسده المجتمع .

3- إن الأطفال الصغار طبيعويون بسطاء ، لأن الطبيعة الإنسانية خيرة منزهة عن الشر ، وأنها لا تحيد عن الصواب ، ولذلك أكد على ضرورة استغلال قدرات الطفل وإمكاناته لتحقيق النمو المتزن المتكامل .

4- يتميز الأطفال برغبة فطرية للحركة أو ما نطلق عليه نحن اللعب الذى ينتج عنه تفرغ الطاقة الكامنة فيهم ، واللعب وسيلة هامة لتربية الجسم، وتدريب الحواس واكتساب خبرات عقلية ، ومهارات بدنية وقيم خلقية وإدراك حقائق الحياة العظمى.

5- إن تربية الحواس وتدريبها هى الأساس فى تنمية عقل الطفل وجسمه ومشاعره ، وأحاسيسه ، وهى التى تجعله يتفهم الأشياء الخارجية المحيطة به فى حالاتها المتعددة وتحقق له النمو المتكامل .

6- النشاط الذاتى هو العنصر الأساسى المميز للحياة وقد وضعه الله فى كل فرد منا وعن طريقه يحقق الفرد طبيعته الخاصة ويكون به عالمه الخاص، ويتهيأ بواسطته للعالم الخارجى ، بمعنى أن يحقق الفرد من خلال نشاطه الذاتى الانسجام و التوافق بين عالمه الخاص والعالم الخارجى .

7- إن الطبيعة مجالا مناسباً لتربية الطفل لما يتوفر فيها من ظروف ملائمة تمكن الطفل من تعلم القوانين ودراسة الماهر الطبيعية المختلفة التى تكسبه محبة الطفل للخالق والإيمان به ،

ولذلك اهتم فرويل بالتربية الدينية ويرى أنها تقوى صلة الإنسان بخالقه ليخضع لأوامره ونواهيته ، كما أنها تؤدي إلى إمام الفرد و القيام بواجباته نحو ربه ونحو غيره من الناس ونحو نفسه ، وفي ذلك يرى ضرورة معاونة الأب لطفله منذ الطفولة ببث العقائد و الحقائق الدينية فى نفسه .

٨- فضل فرويل النساء عن الرجال فى تدريس الأطفال وتربيتهم وذلك لطبيعتهن الخاصة فى تحمل الأطفال ، كما أكد على ضرورة توفر المعلومات و الخبرات الكافية لدى مشرفى الصغار ومعلميهم ، لتوجيههم توجيهها سليما .

أما التطبيقات التربوية فكانت على النحو التالى :

١- التركيز على تهذيب الحواس ، وتدريبها لكونها أساسية فى تنمية عقل الطفل وتفكيره، فعلى المربين اتخاذ اللعب مجالا يمكن من خلاله تربية الحواس وتدريبها.

٢- أهمية (اليد) عند الإنسان ، ومن ثم ضرورة العمل على حسن استخدامها ، وعلى تدريب حاسة اللمس لتؤدي دورها على الوجه الأكمل ، ثم يلي ذلك تقوية حاسة البصر من خلال الألوان أولا ثم الأشكال بعد ذلك وتأتى بعد العين الأذن التى تبتهج عند سماع الأصوات وبذلك يمكن تقويتها من خلال الموسيقى و الغناء .

٣- التعلم عن طريق اللعب حيث أن الطفل كائن حى له قدرات جسمية وعقلية و نفسية مختلفة فى كل مرحلة من مراحل عمره ، لا يمكن تجاهلها وعلى مربى الأطفال معرفة طبيعة الطفل وفهمها فهما جيدا.

٤- تقدم المعرفة للطفل بطريقة سارة مشوقة مع إعطاء الطفل الفرصة للتعبير عن ذاته بالتمثيل والرقص والرسم والألعاب التمثيلية المفيدة.

٥- مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال بحيث يتم التعامل مع كل طفل وفقا لإمكاناته وقدراته التى تعود أصلا إلى عوامل فطرية بالإضافة على احترام فردية الأطفال ورغباتهم التلقائية وتحاشى وصفهم بصفة واحدة .

٦- الربط بين جميع المواد التى يدرسها الطفل بحيث تكون لكل مادة فى حد ذاتها لها قيمة بالنسبة لغيرها على أن ينطبق ذلك على الأنشطة التى يقوم بها الطفل من إدراك وإحساس وإرادة يؤدي فى نهاية المطاف إلى نشوء ارتباط يقود إلى النمو الشامل المتكامل .

٧- اتباع أسلوب التعاون بين الأطفال فتقوم معلمة الروضة بتعويد الأطفال على هذا

الأسلوب كاتجاه جماعى مطلوب من خلال أنشطتهم ومشاركتهم المختلفة ويرى فرويل أن عمل الأطفال متعاونين يقربهم من بعضهم البعض ويؤدى ذلك إلى تأخيرهم وتحابهم

٨- نهى عن التدخل فى عملية نمو الطفل كإجباره على القيام بأفعال خاصة لدفعه إلى سلوك معين ، فهو يرى أن نمو الإنسان والنبات يخضعان لقانون واحد ، فبينما ينمو النبات نموا سليما ورائعا لعدم تدخلنا فى عملية النمو ، نجد انحرافا فى النمو الشامل للأطفال ، ناتجا عن الممارسات الخاطئة فى التدخل فى هذه العملية .

٩- إن التربية الدينية والتربية الخلقية أساسيتان فى العملية التربوية لطفل الروضة مما يحتم على معلم الروضة التأكيد عليها .

١٠- نبه معلمى الصغار بأن طرقهم فى التدريس تحدد مدى الاستفادة منهم، كما أن علاقة المعلم بالأطفال و الفكرة التى يكونونها عنه تلعب دورا كبيرا فى عملية التعلم، وبناء عليه أكد على أهمية العلاقة الطبيعية بين الأطفال ومعلميهم.

١١- الاهتمام بأساليب اللعب (الهدايا) وجعل كل نشاط لعبة يقدمها الطفل باعتبارها مواد تعليمية تساعده على التعلم وهديّة من الخالق إليه ، ولقد صنف "فرويل" الهدايا على ما يلي:



اللعبة الأولى (الهدية الأولى) : وهى عبارة عن كرة ملونة بألوان الطيف، والألوان الفرعية الأخرى ، كما أنها تختلف من حيث المرونة والصلابة ومن خلال اللعب بهذه الكرة ، يتوفر مجال

لتنمية الحركات الجسمانية والحركات الدقيقة. بالإضافة إلى كل من حاسة اللمس و حاسة البصر ، كما أن اللعب بالكرة يساعد على التطور العقلى و اللغوى من خلال الألفاظ و الأنغام التى تصاحب حركة الكرة بإشراف معلمة الفصل .

اللعبة الثانية (الهدية الثانية) : تتكون من ثلاث هدايا من الخشب (كرة كبيرة ، مكعب ، إسطوانة) و الكرة الكبيرة ملونة باللونين الأبيض والأسود وهى استدارة كاملة وهى أكبر وزنا وتحتاج إلى مجهود أكبر فى قذفها ومهارة فى توجيهها ويلاحظ هنا أسلوب التدرج من الكرة الصغيرة إلى الكرة الكبيرة، فحركات الكرة الكبيرة أكثر دقة وتحديدًا من الكرة الصغيرة ، هذا وتصاحب حركات الكرة الكبيرة أيضا الألفاظ و التى تناسب الأطفال ، أما المكعب فهو غير مستدير وله زوايا وحواف بحيث ترمز الكرة إلى الحركة بينما يمثل المكعب السكون مما يتيح للطفل معرفة كثير من الحقائق و الزوايا والمسطحات و المساحة و العدد ، أما الأسطوانة الخشبية فتجمع بين السطح المتحد والدائرى.

اللعبة الثالثة (الهدية الثالثة) : وهى عبارة عن مكعب مقسم إلى ثمانية مكعبات صغيرة متاملة فى الشكل و الحجم و الوزن ، يساعد الطفل على إدراك الكل و الجزء و العلاقة بينهما ، وبالتالي يكتشف الطفل أن هذه الأجزاء الصغيرة يمكن وضعها فى صندوق خشبى ، كما يؤدى اللعب بهذا المكعب إلى فهم الطفل معنى التنظيم و التركيب و الترتيب و الطول والعرض والارتفاع .

اللعبة الرابعة (الهدية الرابعة) : وهى عبارة عن مكعب مقسم إلى ثمانية أقسام مستطيلة يستعملها الطفل فى البناء وهى تختلف عن المكعبات الصغيرة فى الهدية الثالثة ، ويختلف اللعب بهذه المستطيلات عن اللعب بالمكعبات والبناء بالمستطيلات يختلف عن المكعبات وذلك لاختلاف الأشكال الناتجة عنه ، ويمكن أن يكون الطفل من هذه المستطيلات شكلا كالكرسى أو الطاولة مثلا ، وتزداد خبرة الطفل بتنوع الأشكال ، ولا بد أن يعطى كل شكل يكونه الطفل اسما ، ويستحسن أن تنمى خبرة الأطفال بإمدادهم ببعض المعلومات الملائمة عن الشئ الذى يكونونه ، ولا بد أن تتم عملية البناء هذه فى ضوء تخطيط ثم تنفيذ تحت إرشاد المعلم وتوجيهه ، وعملية اللعب بالمكعبات أو المستطيلات يصاحبها دائما قصص وحكايات بل وأغانى وموسيقى تهدف جميعها إلى إبراز مظاهر الحياة و العلاقات فيما بينها .

اللعبة الخامسة (الهدية الخامسة) : وهى عبارة عن مكعب مكون من سبعة وعشرين مكعبا كبيرا ، يحاول الطفل توزيع هذه المكعبات إلى مجموعات ، كأن يكون أربع مجموعات ثم يعيد توزيعها أو تشكيلها بأشكال مختلفة أو يحاول أن يجد مجموعات متساوية ، يهدف هذا النوع من اللعب إلى تنمية قوة الملاحظة والدقة بالإضافة إلى الإلمام بمفهوم

المساحات .

اللعبة السادسة (الهدية السادسة) : وهى عبارة عن مكعب مقسم إلى ٧٢ كتلة تستعمل فى البناء بعضها متساو وبعضها غير متساو وفيها زوايا مختلفة ، وهذه اللعبة تكون أشكالا أكثر تعقيدا منها فى الهدية السابقة مما يؤدي إلى اكتساب أعمق للخبرات وإدراك أبعاد لمفاهيم العلاقات والأحجام.

اللعبة السابعة (الهدية السابعة) : وهى عبارة عن أقراص خشبية ملونة بألوان الطيف ، وهى الألوان الرئيسية مع إضافة اللونين الأبيض و الأسود، وهى ذات أشكال مختلفة فمنها قائم الزاوية، ومنها المثلث المتساوى الأضلاع، ومن خلال اللعب بها يعمل الطفل لمدرجات ومفاهيم أعمق مما فى اللعب الأولى.

اللعبة الثامنة (الهدية الثامنة) : وهى لعبة مكونة من عصى وقصاصات الورق من النوع الذى يستعمل فى الأشغال اليدوية ، بينما تهدف اللعب السبعة الأولى على تنمية علاقة الطفل بمظاهر العالم الخارجى ، تهدف هذه اللعبة إلى تنمية مواهب الطفل وإظهار مهارته بالإضافة إلى تطوير حركات اليد الدقيقة من خلال السيطرة على حركات الأصابع و التوافق بين حاسة البصر و حركات اليد يقدم للطفل أعدادا من العصى متساوية الأطوال ، يتدرب بها على عملية العد ، ثم يقوم بعمل أشكال مختلفة باستعمال قطع من الفلين والأسلاك الرفيعة لربط العصى بعضها ببعض ، ثم يعطى مجموعة مختلفة الأطوال يحاول أن يكون منها أشكالا مألوفة كجسر أو سور حديقة أو زاوية يبدأ الطفل بعد ذلك فى قص الورق كأن يقص ورقة مربعة ويطويها لتصبح مستطيلا ثم يطويها مرة أخرى لتصبح مربعا أو يطوى المربع ليصبح مثلثا ، وهكذا يدرك الطفل بعض الحقائق المتعلقة بالأشكال الهندسية . من خلال ما سبق نلاحظ أن الطريقة الفروبلية أثر على المناهج التربوية ، ليس فقط من خلال الآراء والتطبيقات التربوية الجديدة، بل تعدت ذلك إلى تنظيم الأنشطة الطبيعية للطفل وإبراز أهمية اللعب والنشاط الجماعى فى تكون علاقات اجتماعية سليمة بين الأطفال .

 <https://www.youtube.com/watch?v=GiAH5YS73R0>

ماريا منتسورى Maria Montessori

نشأتها :

ولدت ماريا فى كيارافال فى مقاطعة مارسن بإيطاليا عام (١٧٨١٠) ، وقد أظهرت تفوقا بمادة الرياضيات فى دراستها الابتدائية ودرست الهندسة فى أحد المعاهد الفنية تم أكملت

دراستها العليا بكلية الطب وتخصصت فى طب الأطفال واسترعى اهتمامها الأطفال المتخلفين عقليا ، فعمدت إلى قراءة مؤلفات كل من "أتيارد وسيجان" بهذا الشأن وأطلعت على الأجهزة والأدوات التى خصصت من أجل تربيتهم ، كما أطلعت على آراء كل من " بستالوزى وفروبل " حول تربية الأطفال وتعليمهم وقامت بإجراء بعض التجارب لتعليم الأطفال ذوى الإعاقات العقلية بتطبيق بعض نظرياتها مما أسفر عن نتائج إيجابية لمست تقدما فى استجابة الأطفال للتعليم بشكل جيد.



أهم آراءها وفلسفتها التربوية :

اهتمت منتسورى بدراسة الطفل دراسة علمية تقوم على أساس ملاحظة سلوك الأطفال وتفكيرهم فى بيئة حرة ، واهتمت بقراءة الفكر التربوى عند بستالوزى وفروبل كما ذكرنا ، فجاءت بقوانين ومبادئ جديدة لم تكن معروفة من قبل هى بمثابة فلسفة خاصة بها فى كيفية تربية الأطفال وتعليمهم ولعل من أهمها ما يلى :-

1- تستند التربية عند منتسورى على مبدأ " التربية الذاتية " أى تربية الفرد نفسه بنفسه وتؤكد منتسورى أن مدارس الطفولة هى مؤسسات يكون فيها النمو بجوانبه المختلفة أشد وأكثر نشاطا، ولهذا فإن هدف التربية فيها هو مساعدة هذا النمو على الانطلاق بشكل طبيعى.

2- أكدت منتسورى أن نو المواهب و الاستعدادات عند الأطفال تتم فى جو من الحرية فالنشاط الحر للطفل هو الأساس فى تكوينه الطبيعى، وعن طريقه ينمو الطفل ويرتقى فى

نموه، وبناء عليه لا بد أن يكون الطفل حرا فى تعليمه، و الحرية هنا لا تعنى الفوضى و اللامبالاة، بل هى مرتبطة بنظام تروى وطريقة لتدريب الأطفال على الانضباط وتعويدهم الاعتماد على أنفسهم.

٣- رأت منتورى أن تعليم الطفل لا بد أن يكون فرديا ، بمعنى أن يقوم كل طفل بما شاء من الأعمال وفقا لرغباته وميوله ، دون أن يتقيد بما يقوم به أقرانه من الأطفال ، وتؤكد منتورى أن الارتباط بأعمال ، يعنى أن الطفل لم يعد حرا لنيل ما يشاء، ولا يكون التعليم مشتركا إلا فى بعض الدروس مثل دروس الغناء و الموسيقى و السكوت (الصمت).

٤- إن لتربية الحواس أهمية فى تربية الطفل وتطعيمه وهى من المبادئ الأساسية فى التربية الفكرية عند منتورى ، فهى ترى أن الحواس تساعد على تنمية العمليات العقلية وعلى تطور جوانب النمو الأخرى . " إن نمو الحواس يتقدم ويولد الأعمال العقلية الرقيقة ويكون هذا النمو عند الطفل من سن الثالثة إلى سن السابعة فى مرحلة نشوئه الأولى " .

5- إن المعلمة عند منتورى هى مرشدة فقط ، تترك الطفل يفعل ما يشاء بناء على مبادئ الذاتية و الحرية و الفردية التى اعتمدها منتورى فى عملية تعليم الطفل ، لذا فإن دورها ينحصر فى توفير الأجهزة و الوسائل التى تثير اهتمام الطفل وانتباهه ولا يجوز لها أن تتدخل فى أعمال الطفل وشئونه ، وإنما ملاحظته واكتشاف حاجاته وميوله بوعى وحكمة .

أما التطبيقات التربوية فكانت على النحو التالى :

قامت منتورى بإعداد برنامجا خاصا يهدف إلى تنمية جميع جوانب نمو الطفل (العقلية ، الجسمية ، الحسية و الاجتماعية)، وقد تم توزيع محتويات هذا البرنامج على ثلاث مستويات عمرية تنفذ باتباع الطرق التالية :-

- طرق لممارسة الحياة اليومية لعمر الثلاث سنوات .
- طرق لتدريب الحواس لعمر الأربع سنوات .
- طرق لتعلم القراءة و الكتابة لعمر الخمس سنوات .

ويمكن تناول الطرق السابقة بشئ من التفصيل على النحو التالى :-

أولا ممارسة حياتية :

قامت باتباع بعض الطرق التى يتدرب الأطفال من خلالها على كيفية مواجهتهم للحياة

والقيام بالممارسات العملية فيها، متبعة في ذلك أسلوب الحرية أى أن يقوم الطفل بهذه العمليات بمفرد، وذلك على النحو التالى: -

- تدريب الأطفال على غسل أيديهم ووجوههم بأحواض صغيرة.
- تدريب الأطفال على تنظيف الأظافر والأسنان وتمشيط الشعر
- التدريب على خلع الملابس ولبسها وكذلك فك الأربطة وربطها.
- القيام بعمليات التنظيف والترتيب لحجرات الدراسة.
- العناية بالحيوانات والطيور وحديقة المدرسة.

ثانيا تدريب الحواس:

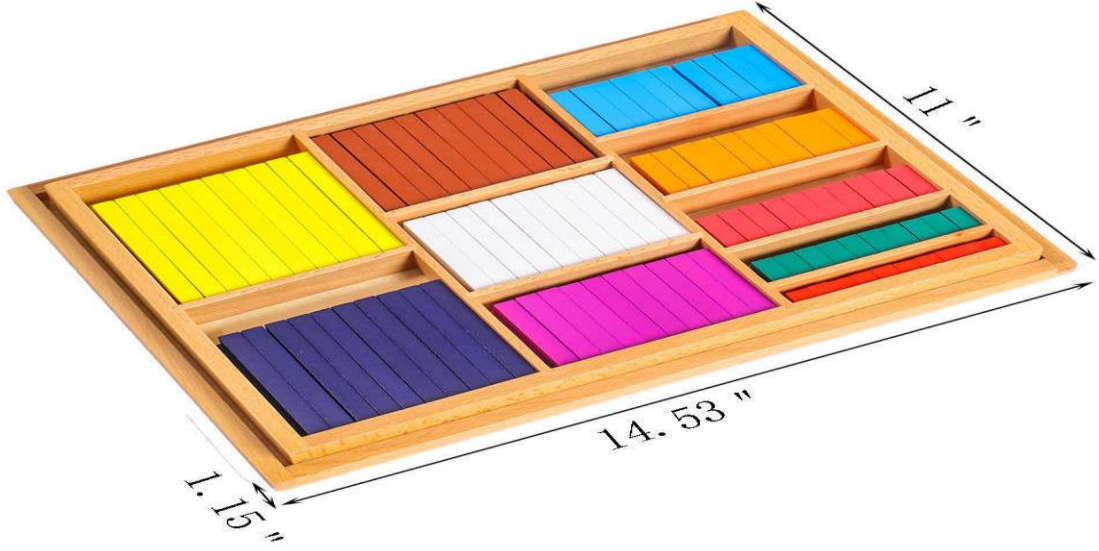
ركزت على تنمية الحواس وتدريبها كأساس للتعلم، فابتكرت من أجل ذلك مجموعة من الأجهزة والمواد التعليمية لتحقيق هذا الغرض من أجل تعليم الأطفال وإكسابهم الخبرات العقلية و الذهنية فى حدود الطاقات والقدرات التى يتمتعون بها.
وتتكون الأجهزة من المواد التالية:-

١- صندوق من الخشب به عشر فتحات مختلفة فى العمق و الشكل ، ولكل فتحة إسطوانة خاصة بها ، يقوم الطفل بإخراجها من الصندوق وإدخالها فى أماكنها وهو مفتوح العينين مرة ومغموض العينين مرة أخرى، ويتمكن الطفل بواسطة هذا الصندوق من إدراك الأشكال المختلفة وتمييز الأحجام واكتساب القدرة على دقة الملاحظة .

Logical thinking exercise



٣- قضبان من الخشب: ذات أطوال مختلفة تتراوح ما بين (١-10سم) ، وكل قضيب مقسم إلى عشرة أقسام متساوية لكل منها لون مختلف (أحمر ، أزرق، أصفر)، ومنه يتعلم الأطفال العد القياسي و المقارنة والألوان .



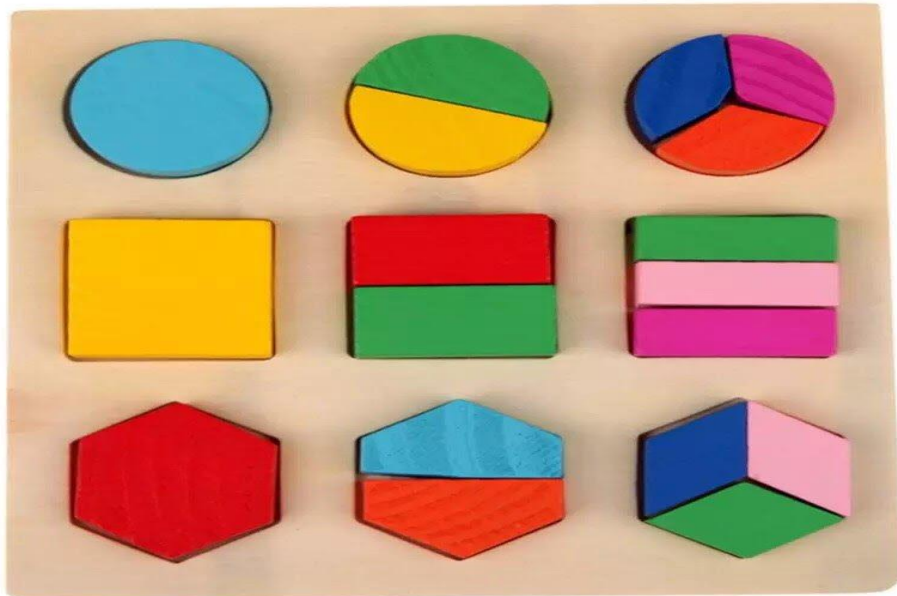
٣- أطر للتدريب على اللبس و الخلع و الربط و الحل : وهي عبارة عن ٩ أطر من الخشب عليها قطعة من القماش بها أزرار وعروات وأربطة يتدرب الأطفال بواسطتها على كيفية تزيير وفك الأزرار وربط أربطة الأحذية وفكها .



٤- البندول: وهو عبارة عن جهاز به كرات مطاطية تعلق بواسطة خيوط يقوم الأطفال بقذفها واللعب بها من أجل تدريب أذرعهم وأجسامهم وظهورهم.



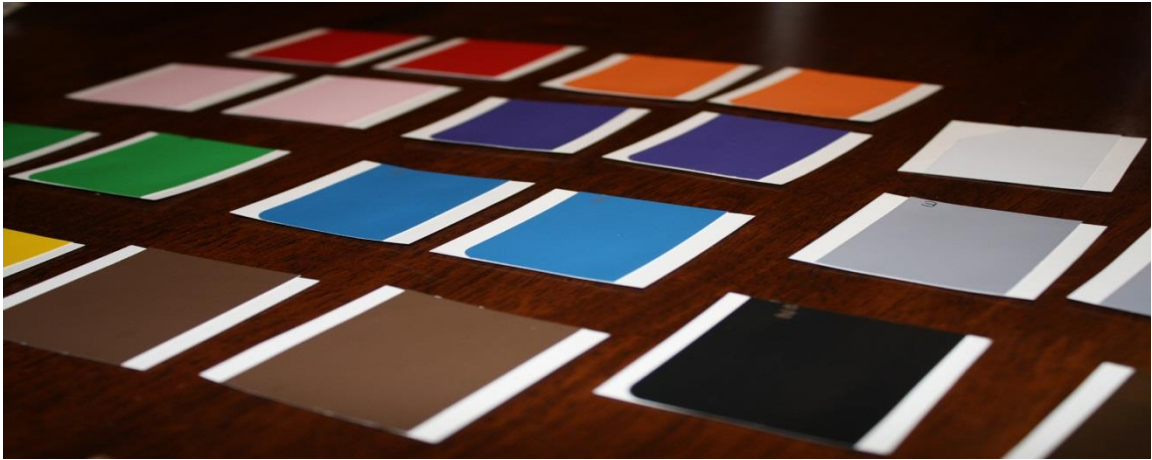
٥- الأشكال الهندسية المعدنية: وهي مجموعة من الأشكال لها فتحات هندسية يتدرب الطفل على وضعها في المكان المخصص لها على لوحة الجهاز التي صممت على ورق مقوى بألوان متعددة يحاول الطفل تصنيف هذه الأشكال كل على انفراد.



٦- المكعبات: وهي عبارة عن مكعبات خشبية مختلفة الأطوال والأحجام، يكون منها الأطفال أبراجاً متدرجة.



7- التدريب على اللمس: وهي مجموعة من الأوراق تتفاوت من حيث الخشونة والنعومة، يقوم الأطفال بلمسها والتعرف على الصفة الخاصة بها (ناعم، خشن، .. إلخ) .



٩- التدريب على الحرارة: وهي عملية نقل أيدي الأطفال بين الماء البارد والماء الحار والفاخر، ومن خلال عملية اللمس يدرك الطفل الفرق بين درجات الحرارة.

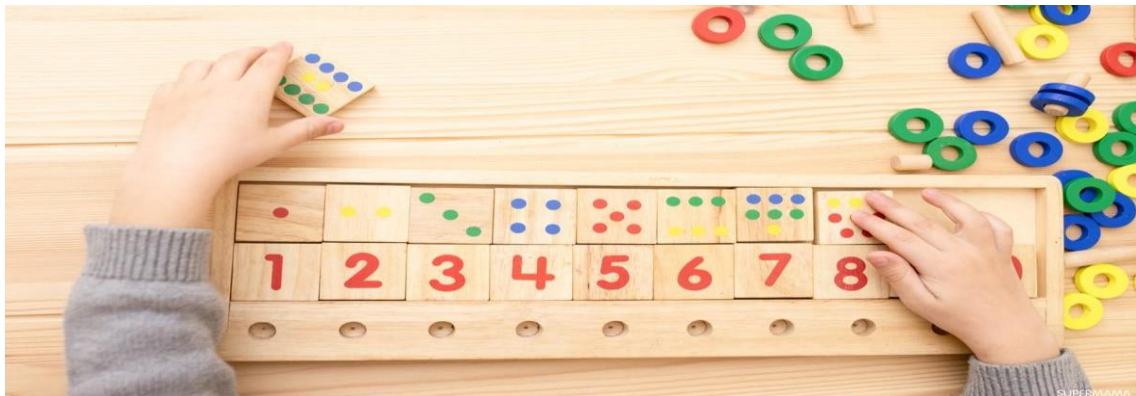


ثالثا تعليم القراءة و الكتابة :

تأتى مرحلة تعلم هاتين المهارتين (القراءة و الكتابة) عند منتسورى بعد تربية الحواس، وتبدأ مهارة تعلم القراءة أولا لسهولة تدريب العضلات وتشكيلها فى هذه السن ، يتم ذلك على نماذج من الخشب كتبت عليها الحروف الهجائية بصورة بارزة ، وهنا تستخدم حاسة اللمس ، بحيث يطلب من الأطفال المرور بأصبعهم فوق الحروف فيتعلمون كيفية نطقها بصوت واضح ثم التدريب على كتابتها فى الهواء أو على الرمل أو بالصلصال وعلى السبورة ثم بالكراسات ويكرروا هذا العمل عدة مرات وعيونهم مغلقة أو مفتوحة حتى ترسخ صورة الأحرف فى عقولهم ، أما المرحلة الثانية فيتم التعلم فيها من خلال حاسة البصر بعرض الحروف على الأطفال وهى مكتوبة على الورق ، وهنا تبدأ مرحلة القراءة التى تستخدم فيها حاسة السمع وتستمع الطريقة الصوتية فى تعلمها ، وتبدأ القراءة بأسماء الأشياء المعروفة الموجودة فى حجرة الدراسة التى تسهل على الطفل عملية القراءة من خلال معرفته بكيفية نطق الحروف مسبقا بحيث يعطى الطفل بطاقة كتبت عليها اسم الشيء فيعتمد على ترجمة العلامات المكتوبة إلى أصوات من خلال معرفته السابقة بنطق الحروف ، وهنا تدرجه المعلمى على سرعة القراءة ، وفهم مدلول الكلمة فيضع البطاقة بجوار الشئ الذى يحمل الاسم وهكذا اتبعت منتسورى الطريقة الجزئية فى تعلم القراءة .

أما تعلم الحساب فيتم من خلال العد على جهاز خشبى له قضبان عشرة ذات خرز ملونة ومنه يتعلم الطفل الجمع و الطرح بصورة بسيطة باستغلال ميل الطفل لهذه العمليات ورغبته فى تعلمها .

وهكذا قدمت " منتسورى" أفكارا وآراء قابلة للتطبيق مما كان سببا فى تقدم الفكر التربوى فى عصرها فى العصر الحديث.



ابن سينا

يعد ابن سينا من بين المفكرين والعلماء المسلمين الذين قدموا للتربية آراء قيمة تربوية وتعليمية وساهم في وضع مبادئ التربية الإسلامية، إذ يرى في التربية خلق إنسان صالح من جميع جوانبه العقلية والجسمية والخلقية وإعداده إعداداً مناسباً لتعلم مهنة تناسبه فيصبح مشاركاً من خلالها في بناء مجتمعه وتقدمه، هذا إلى جانب اهتمامه بالطفل منذ لحظة ولادته مبيناً مدى أهمية السنوات الأولى من حياته في تشكيل شخصيته معطياً بهذا صورة رائعة للمربين المسلمين، وكان هدف التربية لديه يتمثل في:

-التربية خلق إنسان صالح من جميع جوانبه العقلية والجسمية

-إعداداً مناسباً لتعلم مهنة تناسبه فيصبح مشاركاً من خلالها في بناء مجتمعه

- اهتمامه بالطفل منذ لحظة ولادته مبيناً مدى أهمية السنوات الأولى من حياته في تشكيل شخصيته معطياً بهذا صورة رائعة للمربين المسلمين الذين أولوا الطفل مكانة وعناية خاصة، وهو بهذا قدم آراء تربوية قيمة وتقدمية فكانت آراؤه التربوية متميزة ومتطورة تحمل بين ثناياها قيمة علمية في عصره لا نظير لها.



وقد تركزت آراء وأفكار ابن سينا التربوية في الجوانب التالية:

أولا التربية الخلقية:

اهتم ابن سينا بالجانب الخلقي وبضرورة أن ينشأ الطفل نشأة دينية صحيحة، مبيناً ذلك في قوله (إن الطفل إذا فطم عن الرضاعة بدأ بتأديبه ورعاية أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة وتفاجئه الشيم الذميمة¹) فابن سينا يؤكد على الاهتمام بالتربية الخلقية للطفل، من سنواته الأولى متمشياً في ذلك مع منهج التربية الإسلامية، التي تهتم بتربية الطفل التربية الصالحة خلقياً ودينياً، لأن هذا النوع من التربية كفيل بتحقيق جانب الخير في الطفل وحثه على مكارم الأخلاق.

إن الطفل إذا تمكنت منه الأخلاق والعادات السيئة كان من الصعب إزالتها، لذا يجب تعويد الطفل الأخلاق والعادات الحسنة منذ الفطام، وهو بتعليمه الإعتماد على النفس ومراعاة العدالة والصدق في القول والوفاء بالوعد يكتسب العادات الخلقية الحسنة كما يرى ابن سينا ضرورة إبعاد الطفل عن أي تأثير ضار من المحيطين به قد يؤثر على نفس الطفل وأخلاقه فالإنسان في نظر ابن سينا ليس خيراً أو شريراً وإنما يكتسب ذلك من البيئة المحيطة به، إن التربية الخلقية عند ابن سينا تتم

عن طريق تهيئة ظروف مناسبة للطفل، لاعتن طريق التلقين لكي يكون بعيدا عن جميع الإنفعالات النفسية الضارة كالخوف والحرمان والغضب إلى غير ذلك، التي من شأنها التأثير على نفسيته، ومن ثم على عاداته وتصرفاته وهذه الحالة تتحول إلى خلق أو عادة تصاحب الطفل يصعب معالجتها فيعتاد الكذب والخوف والعدوان، ويصبح متقلب المزاج.

وقد ربط ابن سينا بين الأخلاق والصحة البدنية والنفسية للطفل وضرورة مراعاة هذه الأخلاق قائلا في ذلك: يجب أن يكون وكذا العناية مصروفة إلى مراعاة أخلاق الصبي فيعدل، وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو غم أو سهر بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهي ويحس إليه فيقرب إليه وما الذي يكرهه فينحي عنه وجهه، وفي ذلك منفعتان إحداهما في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير ذلك ملكة لازمة، والثانية لبدنه فكما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج فكذلك إذا حدثت عن العادة استتبع سوء المزاج المناسب لها ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن معا.

وهذا ما ذهب إليه جون لوك* فيما بعد تأثرا بابن سينا الذي اهتم في تربية الطفل بجانبين وهما "التربية الخلقية والتربية الجسدية واعتبر أن العقل السليم في الجسم السليم وأن للتربية الجسمية وتقوية البدن سلامة للعقل والنفس والجسد وغرس للقيم الاجتماعية والخلقية".

ويبحث ابن سينا على وجود القدوة الحسنة في تربية الطفل الخلقية قائلا في هذا "أن يكون مع الصبي صبية حسنة آدابهم مرضية عاداتهم لأن الصبي عن الصبي ألقت وهو عنه أخذ وبه أنس5" فهو بذلك يؤكد على أثر القدوة الحسنة والعادات المرضية، إضافة إلى أثر التقليد في تربية الطفل خلقية سليمة

فالطفل في اجتماعه مع غيره من الأطفال، يتعلم أفعالهم ويتبع سلوكهم، ويقلدهم من تلقاء نفسه، لأنه يميل بطبعه إلى تقليد ومحاكاة كل ما يراه ويقع تحت حسه أو سمعه فالمحادثة تهيئ عقله وتعدده للمناقشة والتفكير وتمهد له الطريق للفهم والاستيعاب وتخلق له المجال للتعبير، ما يزيد من معرفة الطفل الفكرية واللغوية. أما الشعر العربي فكان وسيلة من وسائل التربية الخلقية عند ابن سينا فهو يساعد على تكوين الأخلاق الفاضلة، بشرط أن يتعلم منه الطفل ما قيل في الأدب ومدح العلم واصطناع المعروف والحث على مكارم الأخلاق ليحقق عنده جانب الخير.

وابن سينا في هذا الجانب قد أثر في غيره من التربويين كالقاسمي* مثلا(الذي أكد على تكوين العادات الحسنة منذ الصغر، وإلى وجوده مع أطفال آخرين لما في ذلك من فائدة تعود على الطفل)2، وكذلك بياجيه الذي قال: (إن الحياة الاجتماعية التي يمارسها الأطفال فيما بينهم تعتبر عاملا هاما في تكوين حياتهم الأخلاقية)3.

وبناء على ما سبق ترى اهتمام ابن سينا بالتربية الخلقية للطفل منذ صغره حتى لا تتمكن منه الأخلاق والعادات السيئة فيصعب تلافيها أو علاجها وهو بمراعاته لهذه المسائل يدل بوضوح على مدى عناية المربين المسلمين بتحلي الطفل بالأخلاق الحميدة.

والدين الإسلامي يحث المسلمين على التحلي بمكارم الأخلاق، لذا كان اهتمام المربين المسلمين بالتربية الخلقية من أولوياتهم التي تمثل الغرض الأول من التربية الإسلامية وتهدف إلى إعداد أفراد صالحين نفسيا وجسميا، وما جاء به ابن سينا في واقع الأمر لم يكن إلا تأثرا بما أكد عليه الدين الإسلامي. وإلى جانب اهتمامه بالتربية الخلقية اهتم ابن سينا بدور اللعب في حياة الطفل وما يمثل من أهمية في سنواته الأولى.

ثانيا اللعب:

يمثل اللعب جانباً هاماً في حياة الطفل إذ اهتمت التربية الإسلامية بهذا الجانب بما يمثله من أهمية وفعالية لتشكيل شخصية الطفل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يلاعب الأطفال يحسن مداعبتهم ويرأف بهم، وفي القرآن الكريم ما يؤكد على أهمية دور اللعب في حياة الطفل. وما يبين أهمية اللعب ما جاء في قصة سيدنا يوسف.

ولهذا دعا ابن سينا إلى منح الطفل حريته للعب لما له من أهمية ودور فعال في حياته، فعن طريقه يمكنه اكتساب المهارات الحركية والبدنية المتنوعة، فإذا بدأ الطفل في المشي والجري وأخذ في التقدم في السن فإن حظه في الحركة والنشاط يجب أن يزداد في رأى ابن سينا الذي يقول: (إذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يطعم شيئاً يسيراً ثم يطلق له اللعب الأطول. (إلا أنه أوصى بالتقليل من اللعب والرياضة شيئاً فشيئاً عند سن الرابعة عشر حتى يتسع له الوقت لتحصيل علومه بدون أن يشعر بالضيق أو الملل وأن يقبل على تعلم العلوم والمعارف المختلفة بنوع من الجدية.

ابن سينا نادى بضرورة ترك الطفل يلعب بحرية وهو من خلاله يستطيع فهم ما حوله ويمكنه التعبير عن نفسه وعن انفعالاته ويستطيع الاحتكاك والاندماج مع غيره من الأطفال والتفاعل معهم، فاللعب وسيلة هامة من وسائل نمو الطفل عقلياً وجسدياً لما تمتاز به هذه المرحلة من نشاط وحركة وتقليد ومحاكاة الآخرين ويكتسب من خلاله الخبرة والمعرفة، فاللعب عند ابن سينا كان من أجل اللعب والترويح عن النفس. كما بين ابن سينا رأيه في كيفية تعليم الطفل العلوم المختلفة وما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند تعلم هذه العلوم.

ثالثاً: تعلم العلوم

يعتبر تعلم العلوم لدى الأطفال من الضروريات بالغة الأهمية، ويرى ابن سينا في ذلك أن يكون منهج تربية الأطفال من عمر (3-5) سنوات هو تعليم الرياضة والموسيقى، ويحث على ضرورة التحريك اللطيف للطفل في المهد لتقوية مزاجه، بجوار الموسيقى والتلحين حيث يقول: "بمقدار قبول الطفل لذلك يكون مستعداً بعد ذلك للرياضة والموسيقى إحداهما بيدنه والأخرى بنفسه" فالموسيقى ترفه حسه وترقي مشاعره وجدانياً "وكما هو معروف فإن ابن سينا كان عالماً بهذا الفن كمؤلف ومؤدي له فكان خبيراً بما تحدثه الموسيقى في نفس الطفل من اللذة والطرب وفي الوقت ذاته تمرن الطفل على إدراك ما في النغمة من حدة وثقل، وإتفاق وتنافر".

أما عن ضرورة اللعب والرياضة في هذه المرحلة فيقول "إذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة" كما أن تعليم الرياضة يختلف حسب عمر الطفل وقدرته، "من الرياضة ما هو قليل وما هو كثير وما هو شديد وما هو ضعيف ومنها ما هو سريع ومنها ما هو بطيء... وأما أنواع الرياضة فالمنازعة.. وسرعة المشي والرمي عن القوس والرمح

وركوب الخيل... ومن أصناف الرياضة اللطيفة اللينة الترحج في الأراجيح وركوب الزواريق." ولذلك فالرياضة والموسيقى هي أهم ما يتعلمه الطفل في المرحلة ما بين (3_5) سنوات إلى غير ذلك من أنواع الرياضة التي يفضل ابن سينا أن يتعلمها الطفل في كل المراحل التعليمية التي يمر بها، وبعدها يستعد الطفل لتلقي التعليم الأول في المرحلة القادمة التي فضل ابن سينا تأخيرها في حياة الطفل إلى مرحلة معينة من النضج (حتى تشتد مفاصل الصبي ويستوي لسانه ويتهيأ للتلقين)

ورأى أن سن السادسة هي سن مناسبة لبداية التعليم ويؤكد ذلك بقوله: (إذا أتى عليه من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم إلى المؤدب والمعلم 7). أما منهج المرحلة الأولية أي من سن السادسة إلى سن الرابعة عشر فينبغي أن تكون البداية بتعليمه القرآن الكريم ومعرفته أمور دينه، ثم يروى الشعر أي يحمل على روايته بحفظه عن ظهر قلب عن طريق السمع والتلقين والرواية حتى يقال

إنه راو للشعر ونظرا لصغر سنه ينصح ابن سينا أن يبدأ بالرجز لأنه أسهل وحفظه أمكن وبيوته أقصر ووزنه أخف على السمع ثم يتدرج بعد ذلك من الشعر السهل القصير والخفيف إلى القصيدة من الشعر، والقصيدة عبارة عن ثلاث أبيات فصاعداً أو ستة أبيات فصاعداً،¹ ويقول ابن سينا في ذلك: "ينبغي البدء بتعلم القرآن، بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسمياً وعقلياً، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء، ويلقن معالم الدين، ثم يروى الصبي الشعر، ثم القصيدة لأن رواية الرجز وحفظه أيسر، إذ أن بيوته أقصر ووزنه أخف" مبتدئاً بالرجز

والشعر الذي يرغب ابن سينا في أن يتعلمه الصبي هو شعر يحث على بر الوالدين ويمدح العلم ويذم الجهل بأي شعر يحتوي في مضمونه على الأدب ويفيد في تهذيب الصبي، وبعد ذلك يمكنه أن يلم بأصول ومبادئ اللغة العربية بما فيها من نحو وإملاء وخط وصرف وأن يتعلم التعبير الشفوي والكتابي ليقراً قراءة صحيحة ويتعلم الكلام بلغة صحيحة ويكتب بدون أي خطأ.

إن ابن سينا قد أراد أن يتعلم الصبي القراءة والكتابة باعتبارهما الوسيلتين الضروريتين لتحصيل العلم وكسب المعرفة، إلى جانب تعليمه القرآن وأصول الدين بما فيه من عادات وعقائد وأخلاق، وفي الوقت ذاته يكون قد نال نصيبه من الرياضة واللعب كوسيلة من وسائل التربية البدنية والاجتماعية.

وفي رأي ابن سينا حول ما تمثله الموسيقى من أهمية في تربية الطفل فكان متفقاً فيه مع أفلاطون* وأرسطو* (الذين أكداً هما أيضاً على أهميتها في التربية الروحية والفكرية والخلقية).

وبناء على ما سبق يتضح أن هذه الآراء التي أكد عليها ابن سينا قد أستمدتها من مبادئ التربية الإسلامية التي تسعى إلى تربية شاملة لجميع جوانب الطفل، مع الاهتمام بالفروق الفردية ومراعاة قدراته العقلية في تلقي العلوم ومراعاة الفروق الفردية هي من تنادي به التربية الحديثة، ولم يكن بجديد ما جاء به ابن سينا بالنسبة لتعليم الأطفال الأنشطة الرياضية المتنوعة، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) رواه مسلم. 1 إلى جانب قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (علموا أولادكم السباحة والرماية، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً).

رابعاً: تعلم المهن والصناعات

لقد أوصى المربون المسلمون ومن بين هؤلاء ابن سينا بضرورة مراعاة ميول الطفل وقدراته في تحديد مستقبله، إذ يقول (إذا فرغ الطالب من تعلم وحفظ أصول اللغة نظر إلى ما يرغب أن تكون صناعته ليتوجه إليها). 4 ويقول ابن سينا أيضاً "إنه ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتتقاد بالطلاب والمرام دون المشاكلة والملائمة إذن ما كان أحد غفلاً من الآداب وعارياً من صناعة" 5 فإذا "أراد الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس ومحاوراتهم وطورح الحساب ودخل به الديوان وعني بخطه وإن أريد أخرى أخذ به فيها" وابن سينا بهذا يفكر فيما يناسب طبع المتعلم وما يلائمه ويميل إليه، بحيث يكون في المكان المناسب له حتى يتمكن من كسب عيشه وإعداده إعداداً مهنيًا، وعليه أن يدرس من المواد ما لها صلة بالحياة، وقد عني ابن سينا بإجادة الخط الذي كان في ذلك العصر وسيلة حسنة لكسب الرزق قبل اختراع المطبعة والطباعة، فكان الخّ طاط يقوم بنسخ الكتب المراد نسخها للأمراء والخلفاء ويشترى الكتاب بمثل وزنه ذهباً، لذلك كان هناك إقبال كبير من المتعلمين الفقراء على تعلم إجادة الخط لكسب عيشهم في الحياة والمقصود بقوله (إن أريد أخرى أخذ به فيها) أي إذا أراد شيئاً آخر غير الكتابة يسمح له بتعليم ذلك ودراسته حسب ميوله ورغبته الشخصية، 1 فهو كان مدركاً إلى أن كل مهنة تحتاج إلى إعداد منهج خاصي بها ونوع من الاستعداد والميول. ففي القرن الرابع الهجري كان هناك الفقهاء والشعراء والأطباء والفلاسفة وغيرهم، إضافة إلى أصحاب المهن الذين

يكسبون قوتهم عن طريق التجارة أو الصناعة.

كل هذه الأعمال العقلية واليدوية كانت تحتاج إلى تمرين وتدريب وإعداد مهني وتربوي، وابنينا يعد الصناعة أو الحرف ضرباً من التعليم يحتاج إلى الإعداد المهني والتدريب والتخصص قائلاً: (التعليم والتعلم منه صناعي مثل تعلم النجارة والصبغة وإنما يحصل بالمواظبة على استعمال تلك الصناعة)، وعلى أية حال فإن ابن سينا برأي الباحثة لم يهمل إعداد الفرد مهنيًا ليختار ما يناسبه من المهن التي تتفق مع ميوله ورغباته وقدراته، بحيث يكون في المكان المناسب له، ورأى ابن سينا هذا راجع إلى تأثيره بأحداث عصره الذي ازدهرت فيه الحضارة والفكر فظهر الاتجاه إلى التخصص المهني والتربوي، واختيار المهنة كان قائماً على الميل الذاتي والرغبة والقدرة الشخصية، وإن المتعلم يوجه وفق ما يناسبه وهو في هذا قد اتفق مع ما تتادى به التربية الحديثة، كما وضح ابن سينا رأيه في الأساليب التعليمية التي تمكن الطفل من اكتساب المعرفة بأفضل الوسائل.

خامساً: أساليب التعلم

قدم ابن سينا مجموعة أفكاره وآرائه في الجانبين التربوي والتعليمي وكان لكل فكرة أو رأي من هذه الآراء والأفكار مكانتها وقيمتها في مجال التربية والتعليم، التي كان من بينها الأساليب التعليمية المتنوعة التي من شأنها مساعدة الطالب على اكتساب العلم والمعرفة ومن أهمها:

1- التدرج بالتعليم بحيث يكون تعليم الطفل بداية بالسهل الخفيف ثم الانتقال إلى الصعب وذلك مراعاة لمستواه العقلي ولقوة إدراكه.، وهنا يتضح أن ابن سينا يؤكد أن تكون البداية في تعليم الطفل بأسهل الأمور ثم التدرج فيها حتى لا يحمل الطفل ما لا طاقة له به أخذاً بعين الاعتبار مقدرته الطبيعية على الفهم والاستيعاب.

2- من أساليب التعلم توجيه الطلاب حسب ميولهم وقدراتهم ومواهبهم نحو الدراسات التي تؤهلهم لتلك الميول. 2 ولكنه لم يوضح كيف يمكن التعرف على تلك الميول والقدرات وإنما ترك تلك المهمة على عاتق المربي، وابن سينا في هذا الرأي اتصف ببعيد النظر وسعة الأفق لمفكر في ذلك العصر ينادى بما تتادى به التربية الحديثة.

3- قسم التعليم في عصره إلى تعليم نظري وتعليم يدوي أو عملي، كتعلم النجارة والصبغة وغيرها من الحرف ويحصل العلم العملي كما يقول ابن سينا (بالمواظبة على استعمال أفعال تلك الصناعة) أو بالتدريب عليها، أما التعليم النظري فهو الذي يكتسب بقول مسموع أو معقول من شأنه أن يوقع تصوراً ما لم يكن، وهنا يتضح تقدير ابن سينا لجميع أنواع المهن.

4- ركز ابن سينا في مواد التدريس على الروح الدينية إلى جانب التهذيب الخلقي فالطفل من خلال تعلمه الدين يتعلم السلوك والمعاملة، والتأكيد على التربية الدينية والخلقية هو ما ندعو إليه التربية الإسلامية ويهتم بها المصلحون في التربية.

5- فضل ابن سينا التعليم الجماعي على التعليم الفردي لأنه يساعد في تنمية الطفل وتحسينه وأن تعتمد طرق التدريس على التلقين، قائلاً لا في ذلك (لأن الصبي عن الصبي ألحن وهو عنه أخذ وبه أنس وأبقى للنشاط وأحرص على التعلم) ويضيف إلى طرق التعليم المحادثة والحفظ مع الاهتمام بالفهم فالطفل حين يتعلم بصورة جماعية، تنمو لديه مشاعر المنافسة والصدقة والاحترام المتبادل مع غيره من الأطفال، أما التعليم الفردي فقد عرف ابن سينا عيوبه فعندما يقوم المعلم بتعليم الطفل منفرداً فذلك يشعره بالملل ويمنعه من الاستمتاع بتجارب الآخرين والاستفادة منها.

ويمكن القول أيضاً أن ابن سينا كان واعياً ومدركاً لحاجة الطفل للاتصال بالآخرين ومشاركتهم الحياة الاجتماعية، هذه الحاجة تزيد من قابلية الطفل للمشاركة والتعاون مع غيره من الأطفال فهو مع الجماعة يقوم بأعمال أفضل بكثير من بقائه وحيداً، فالاهتمام بتربية الطفل وتنشئته النشأة

الاجتماعية والدينية الصالحة من أهم المبادئ التي تؤكدتها التربية الإسلامية.

6- تعتمد طرق التدريس عند ابن سينا على الحفظ، فالطفل يحفظ القرآن وشيئاً من الشعر عن ظهر قلب ويتعلم الخط بالطريقة الحرفية، وطريقة الهجاء، ثم تظهر بعد ذلك طريقة المناقشة والمناظرة وطريقة البحث والإطلاع الفردي وطريقة الشرح العادي.

7- من أهم الطرق التعليمية التي دعا إليها ابن سينا هي طريقة الحوار باعتبارها من أهم طرق تربية الطفل النفسية والاجتماعية، ولكي يحوز على اهتمام الطفل يجب أن يكون الحوار ممتعاً ومشوقاً، فمن خلال المحاور والمناقشة يتعلم الطفل اللغة السليمة.

8- إن الحواس هي وسيلة من وسائل المعرفة عند ابن سينا (الحواس الخمس يدرك كل واحدة منها بواسطة مدركها الحقيقي أي الخاص)، وقد بينت أهمية الحواس في المعرفة آيات كثيرة، وكانت هذه النقاط من أهم أساليب التعلم التي أكد ابن سينا على استخدامها أثناء العملية التعليمية والتي تمكن المتعلم من فهم كل مسائل العلم والمعرفة، ولكي يتم اتباع هذه الأساليب التعليمية التي وضعها ابن سينا رأى ضرورة أن يتصفم يقوم بتعليمها للأطفال بصفات وشروط معينة لكي تسير العملية التعليمية بشكل أفضل.

سادساً: مواصفات المعلم ووظائفه

يحتل المعلم مكانة رئيسية في التربية الإسلامية اقتداء برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فيمّا ورد عنه "إنما بعثت معلماً" فالمعلم عنصر رئيسي وهو أحد الأركان الرئيسية للعملية التعليمية، إذ أكد ابن سينا على أن تتوفر في المعلم صفات معينة لعل أهمها:

- 1- أن يكون عاقلاً حكيماً، حسن التصرف، سديد التفكير صائب الرأي.
- 2- أن يكون بشوشاً متديناً، تقياً صالحاً يعرف الله ويؤمن به وبرسوله، يحاسب نفسه، ويخاف الله في السر والعلانية، مخلصاً في عمله مع د لدرسه.
- 3- أن يتصف بالمظهر الحسن وأن يكون خالياً من الأمراض والعيوب الجسمانية.
- 4- أن يكون ذا دين ومروءة ونظافة ونزاهة بعيداً عن الخفة والسخف.
- 5- أن يلم برياضة الأطفال لأن تربيتهم تحتاج إلى خبرة ودراسة وإعداد خاص فتربية الأطفال ليست مهنة سهلة، بل تحتاج إلى معرفة بعلوم التربية، وأن يكون قوي الملاحظة رحب الصدر لديه القدرة على التعبير والتوضيح حتى يصل إلى قلوب تلاميذه ويؤثر في نفوسهم، وقد وضع ابن سينا ذلك بقوله: (ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً لا، ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، حادقاً بتخريج الصبيان، وقوراً رزيناً، ذا مروءة ونظافة ونزاهة).

6- يجب على المعلم أن يكون قدوة حسنة لتلاميذه لأنهم يحاكونه ويقلدونه تلقائياً في أقواله وأفعاله وسلوكه، وهنا يتضح أن ابن سينا أدرك أهمية القدوة الصالحة في تشكيل سلوك وعادات الفرد باعتبارها عاملاً مؤثراً في التربية، ولكي ينشأ الطفل نشأة تربوية سليمة تؤكد التربية الإسلامية على أهمية القدوة الصالحة للطفل، لأنه يتأثر بكل ما هو مائل أمامه، فالقدوة تعتبر من أكثر الوسائل التربوية تأثيراً على الطفل، هذه الصفات التي يري ابن سينا ضرورة أن يتحلى بها المعلم حبذا لو يتصف بها في هذا العصر كل معلم ليكون مثلاً حسناً لتلاميذه خلقاً وعلماً.

أما وظائف المعلم فتتمثل في الآتي:

- 1- ضرورة مراعاة ميول واتجاهات الطالب ولا يفرض عليه نوع معين من الدراسة لا توافق هذه الميول والقدرات، داعياً إلى ضرورة التوجيه التربوي والمهني.

2- دعا المعلم باعتباره خير مصلح للفساد أن تكون نظرنه تحليلية تقف على عناصر الفساد جميعها وأن يصلح نفسه أولاً ثم يصلح الآخرين.

3- أن يجنب الطفل الأخلاق والعادات السيئة بالترغيب والترهيب وبالإعراض والإقبال، بالحمد مرة وبالتوبيخ مرة أخرى.

4- على المعلم اتباع الإشارات والتعبير أثناء حديثه مع الطلاب وذلك لإثارة مشاعر الطفل وإحساسه وعواطفه.

5- إن الإيحاء وسيلة تواصل وتربية، لذا من الأفضل للمعلم أن يلجأ إلى الإيحاء والقدوة الحسنة والمثل الصالح في تربيته.

6- المعلم الحازم هو الذي يستطيع إبعاد الطفل عن البيئة التي تشجعه على الخطأ فهو يري أن حسم الداء خير من علاجه، وبذلك يتضح أن ابن سينا طالب بتوفر صفات معينة في المعلم باعتباره المثل الأعلى والقدوة الحسنة لتلاميذه، وأن يكون ملماً بكل ما يجعل الطفل عارفاً بنفسيته وقدراته لكي يقوم بتعليمه بأحسن ما لديه من إمكانيات وبأساليب تربية سليمة.

وإلى جانب تلك الصفات التي دعا إلى ضرورة تواجدها في المعلم لم يهمل ما يجب اتباعه اتجاه الطفل من ثواب أو عقاب.

سابعاً: الثواب والعقاب

من أهم الأساليب التربوية أسلوب الترغيب والترهيب لكونه يتمشى مع طبيعة النفس البشرية، وما فطر الله الإنسان عليه من رغبة في النعيم والرفاهية، والرغبة من الشقاء والألم، فالترغيب وعد يصحبه إغراء وإثابة عند القيام بعمل صالح أو الامتناع عن ما هو سيئ، والترهيب تهديد بعقوبة عند اقتراف ذنب أو إثم مما نهى الله عنه.

وهكذا كان الأسلوب الذي أكد ابن سينا على اتباعه، أسلوباً يجمع بين اللين والشدّة ويمزج الترغيب والترهيب، فلما يجنب المربي الطفل الأفعال السيئة عليه بالإعراض والإقبال بالحمد مرة وبالتوبيخ مرة، ويقول: إذا اقتضت الضرورة الالتجاء إلى العقاب فإنه ينبغي مراعاة منتهى الحيطة والحذر، فلا يؤخذ الوليد أولاً بالعنف وإنما بالتلطف، ثم تمزج الرغبة بالرهبة، وتارة يستخدم العبوس أو ما يستدعيه التأنيب، وتارة يكون المديح والتشجيع أجدى من التأنيب، وذلك وفق كل خاصة ولكن إذا أصبح من الضروري الالتجاء إلى الضرب، ينبغي ألا يتردد المربي على أن تكون الضربات الأولى موجعة، فإن الصبي يعد الضربات كلها هينة، وينظر إلى العقاب نظرة

استخفاف، ولكن الالتجاء إلى الضرب لا يكون إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء لإحداث الأثر المطلوب في نفس الطفل.

وأكد ابن سينا أن لكل طفل معاملة خاصة وذلك اعتباراً لما بينهم من فروق في الأخلاق والعادات والطباع، فبعضهم يكتفي بالإشارة والآخر بالعصا بشرط ألا تكون سبباً بأي عاهة من العاهات، وهو بذلك أدرك ما يمثله الثواب والعقاب في تعديل السلوك، وللضرورة يستخدم العقاب لتعديل سلوكه وإبعاده عن سوء التصرف بترهيبه أو الإعراض عنه، أو حرمانه من امتيازات كان يتمتع بها وأخيراً توبيخه على ما قام به من سوء التصرف سواء أكان التوبيخ بالقول أو بالعمل، و يكون الضرب من أجل التعليم والتأديب وليس من أجل التعنيف وإظهار السيطرة وبسط النفوذ.

وقد أكد كل من القاسبي والغزالي* وابن سحنون* على عدم ضرب الصبيان بدافع التنفيس عن رغبة انتقامية "مكبوتة" وأن ينظر للعقاب كوسيلة للتربية فقط، ويتضح أن رأى ابن سينا في العقوبة كان رأياً صائباً، عندما أكد أن يكون الضرب من آخر الأساليب التي يتم الأخذ بها، لأن الضرب ليس وسيلة إصلاح بل وسيلة تدمير لنفسية الطفل ولقدراته، لذا يجب تفهيم الطفل خطاه

إذا أخطأ حتى يدرك الصواب ويعمل به والابتعاد بالقدر المستطاع عن أسلوب العقاب لما فيه من جرح لكرامته وهدم لشخصيته، فابن سينا أراد من العقاب، توجيه وتعديل السلوك، أما فيما يقوله ابن سينا بأن تكون (الضربات الأولى موجعة) فهذا رأى لا تؤيده الباحثة لأن القسوة قد تؤثر سلباً على نفسيته وتؤذى مشاعره ومن الأفضل محاولة معرفة الدوافع التي دفعت الطفل إلى الخطأ حتى يتم توجيهه وإصلاحه. "وقد جاء الإسلام في كثير من تعاليمه وتوجيهاته مدعماً لحقوق الأفراد صغاراً وكباراً في المساواة والمعاملة العادلة.

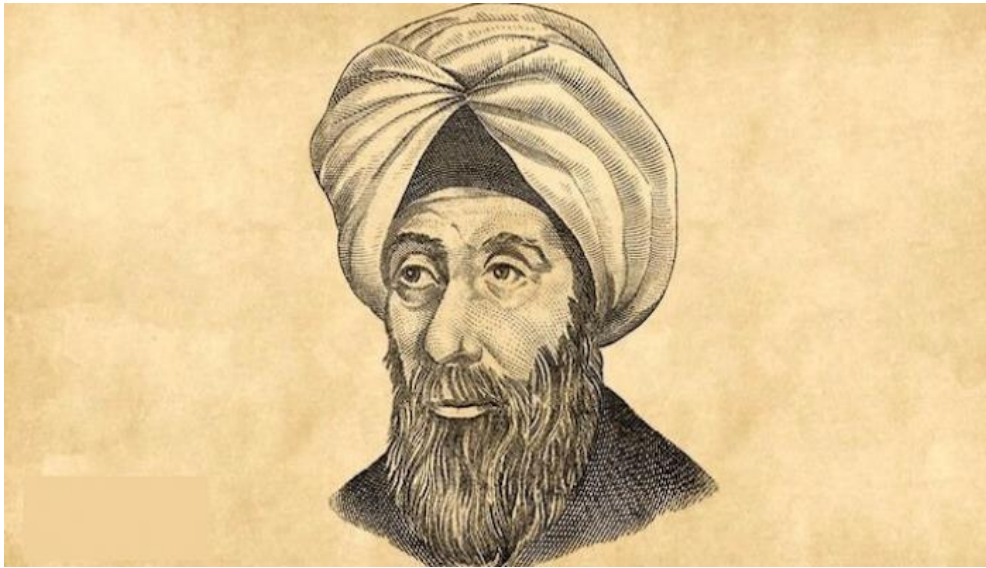
وابن سينا قد اهتم بموضوع الثواب والعقاب اهتماماً خاصاً وأعطاه ما يستحقه من الانتباه والاهتمام كغيره من المواضيع التي تناولها في كتاباته، لقد كانت هذه الآراء والأفكار أهم ما قدمه المفكر ابن سينا فيما يخص تربية الطفل في ذلك العصر، أما ابن خلدون فقد كانت له آراءه وأفكاره التربوية والتعليمية الخاصة والتي لها وزنها وقيمتها في مجال التربية والتعليم.

ابن خلدون

تمهيد:

كان ابن خلدون من بين المفكرين الذين تركوا تراثاً فكرياً خصباً حيث أعطى لمجالات التربية والتعليم آراء قيمة وقوية بدأت متطورة في عصره فكان من ضمن الفلاسفة المسلمين الذين أضافوا مبادئ وأساساً تربوية جديدة كان لها مكانتها وشأنها في التربية، فلم يترك بذلك جانباً من الجوانب فيما يخص العملية التربوية والتعليمية إلا تطرق إليه معطياً رأيه فيها ما جعله من أوائل التربويين الذين كان لهم شأن يذكر في هذا المجال. وسوف تشير الباحثة هنا إلى أهم الآراء التي تحمل في مضامينها قيمة تربوية وإنسانية عالية.

كان ضمن هذه الآراء رأيه في التربية الخلقية التي أعطاه ابن خلدون مكانة خاصة في كتاباته، وكذلك اللعب وما يمثله من أهمية في حياة الطفل، إضافة إلى تعلمه كافة أنواع العلوم والمهن والصناعات المختلفة، إلى جانب ما يمكن أن يؤخذ بعين الاعتبار من أساليب تعليمية متنوعة ومن صفات يجب أن يتصف بها المعلم حتى يقوم بمهنته علي أكمل وجه، وأيضاً أسلوب الثواب والعقاب وما له من تأثير على نفسية الطفل وشخصيته. وفيما يلي سوف يتم توضيح هذه الآراء والأفكار التربوية والتعليمية التي جاء بها المفكر الكبير ابن خلدون والتي استفاد منها كل المهتمين بالتربية على مر العصور.



آراء ابن خلدون التربوية أولاً: التربية الخلقية

اتفق فلاسفة التربية الإسلامية على أن العلم الذي لا يؤدي إلى الأخلاق والفضيلة لا يستحق أن يسمى علماً، وأن الغرض من التربية ليس حشو المعلومات في أذهان التلاميذ بل الغرض الأسمى أن تثبت فيهم الفضيلة وتعودهم الأخلاق الكريمة، فالإسلام أولى التربية الخلقية للفرد والمجتمع أهمية خاصة واعتبر الأخلاق الحسنة الأساس الذي تستند إليه كل معاملات الإنسان مع خالقه ومع نفسه ومع الآخرين،¹ ولذلك اهتم ابن خلدون في كتاباته بالتربية الخلقية مؤكداً على أهميتها بقوله: إن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت مهياً لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر" مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" رواه البخاري، "فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت له ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذلك صاحب الشر إذا سبقت إليه أيضاً عوائده". والملكة لا تتكون إلا بالتكرار والممارسة من قبل الشخص الممارس سواء أكانت في الخير أو في الشر، مؤكداً ذلك بقوله: "الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس، فأفعال الخير تعود بأفعال الخير وأفعال الشر تعود بذلك فتتمكن وترسخ إن سبقت وتكررت" فالوسط الاجتماعي بمصادره المتعددة وأهمها الأسرة هو الذي يشكل الإنسان ويدفعه إلى ما يعتقد وحسب ما يمارس من أفعال وتقاليد وقيم دينية وخرقية. ويشير ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "الشر أقرب الخلال إليه إذا أهمل في

مرعى عوائده ولم يهذبه الاقتداء بالدين وعلى ذلك الجم الغفير إلا من وفقه الله ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض، فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه إلا أن يصده وازع" وإن الإنسان ليس خيراً أو شراً إنما هو مهياً للخير أو الشر طبقاً لظروف البيئة التي تحيط به. وكذلك القدوة الحسنة هي وسيلة لتعليم الأخلاق الحميدة لأن الأطفال يتأثرون بالتقليد والمحاكاة والمثل العليا التي يرونها أكثر مما يتأثرون بالنصح والإرشاد.

وعليه فإن ابن خلدون من المفكرين التربويين الذين اهتموا بالتربية الخلقية والقيم الفاضلة لدى الطفل تائراً بالدين الإسلامي، لما في ذلك من أهمية في حياة الفرد لينشأ نشأة دينية وخرقية صالحة مع اهتمامه بما تمثله القدوة من تأثير واضح في أخلاق الطفل وشخصيته باعتبارها أكثر الوسائل التربوية تأثيراً عليه، وقد تضمنت الكثير من الآيات أهمية القدوة وإلى جانب اهتمام ابن خلدون بالتربية الخلقية اهتم بجانب اللعب في حياة الطفل لما له من دور فعال في توظيف الطاقات الكامنة لدى الطفل بما هو إيجابياً لتكوين شخصيته وتحصيل معرفته.

ثانياً: اللعب

من خلال قراءات الباحثة ترى أن ابن خلدون يبحث في عملية التعلم على الأمثلة الحسية على احتياج المتعلم إلى الوسائل؛ لأنه يكون في بداية تعليمه ضعيف الفهم. كما ترى الباحثة أن الأمثلة قد تتضمن بعض وسائل اللعب التي تأخذ المتعلم باللين لا بالشدة، وفي المرحلة العمرية لدخول المدرسة يكون فيها الطفل ذا خيال واسع وميالاً للحركة، الأمر الذي يجعل من بين وسائل اللعب التي تطرق إليها ابن خلدون التقليد والمحاكاة، وكما هو معروف فإن خير وسيلة لتعليم القيم والمبادئ والأخلاق وغيرها يأتي عن طريق القصص ومحاكاة وتقليد الأصوات والشخصيات، بأسلوب أقرب إلى اللعب واللهو الذي يحتوي على النصح والإرشاد والتوجيه في عملية تعليمية متكاملة كما رآها ابن خلدون.

ثالثاً: تعلم العلوم

إن القرآن الكريم هو أصل الدين ومصدر العلوم الإسلامية، لذلك اتفق المسلمون وجعلوه أصلاً من أصول التعليم وأساساً من أسس التربية الإسلامية، ويقول ابن خلدون إن الغاية من ذلك الوصول

بالطفل إلى رسوخ العقائد الإيمانية في نفسه وغرس الأخلاق الكريمة عن طريق الدين، مؤيداً ذلك بقوله: (اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعده من الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده).

وبعد أن يتعلم الصبي القرآن يتعلم اللغة العربية التي هي أساس لتعليم سائر العلوم الأخرى، ويبدأ بتعلم الكتابة والقراءة، فيربط الألفاظ بالمعاني ثم ينتهي بالتجريد وترابط المعاني المختلفة بعضها ببعض. ومن العلوم التي أكد ابن خلدون على تعلمها علم التاريخ، وذلك لفائدة هذا العلم في الاطلاع على علوم ومعارف وعادات الأمم والشعوب والوقوف على أحوالها، ويقول (حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا).

هذا وفرق ابن خلدون بين التعليم النظري والتعليم العملي، فالتعليم النظري أرقى من العملي لأنه يحتاج إلى استعمال الكتابة التي رأى بأنها أكثر الصنائع فائدة للنمو العقلي للطفل، وابن خلدون قد تأثر بأراء أفلاطون الذي رأى أن التدريب العقلي يسمو على الجسد فكان التعليم النظري الأفضل عنده لأنه يقوم على العقل وفيه انتقال من الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية، ويصنف ابن خلدون العلوم إلى ثلاثة أصناف علوم لسانية، وعلوم نقلية، وعلوم عقلية، أما العلوم اللسانية فهي اللغة، الأدب، النحو، البيان، والشعر. أما العلوم النقلية فهي مأخوذة عن الكتب والسنة وتتمثل في كتاب الله والسنة، وعلم التفسير، وعلوم الحديث، وعلوم أصول الفقه الذي يعني باستنباط الأحكام (المأخوذة من كتاب الله) من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط، إضافة إلى علم الفقه وهو معرفة أحكام الله إلى جانب علم معروف منذ القدم وهو علم الرؤيا وتفسير الأحلام (وسيدنا يوسف عليه السلام قد فسر الرؤيا).

أما العلوم العقلية فهي ما يهتدي إليها الإنسان بفكره من فلسفة وعلوم كالهندسة والرياضيات والموسيقى، 1 وعلم الهيئة (ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية). وابن خلدون في تصنيفه لهذه العلوم قد تأثر بالغزالي فكان مطابقاً في تصنيفه له إلى حد كبير.

ومن هذا المنطلق فإن يتضح إن ابن خلدون قد اهتم بتعليم الطفل أغلب العلوم وأهمها، وكان في ترتيبه لها مراعياً لقدراته العقلية ومدى استعداده لتلقى هذه العلوم، وكان تعليم القرآن الكريم في مقدمة هذه العلوم لما له من آثار إيجابية للطفل تتمثل في تعويده على سلامة النطق واستقامة اللغة، ومن المعروف أن كثيراً من الأئمة تمكنوا من حفظ القرآن في سن مبكرة، فحفظ القرآن يصون أخلاق الطفل ويضمن له حياة دينية واجتماعية سليمة، لذلك فإن فكرة تعليم الصبي القرآن في بداية نشأته التي فضلها ابن خلدون تعد فكرة صائبة .

ويمكن القول أن ابن خلدون يراعي التوازن بين العلوم النظرية والعلوم العملية، ولعل هذه كانت من أهم العلوم التي دعا ابن خلدون إلى تعلمها لما لها من فائدة للمتعلم يمكنه الانتفاع بها في حياته العلمية والمهنية التي كان لها هي أيضاً تأثير في آرائه التربوية، وهذا ما ستقوم الباحثة بعرضه لاحقاً.

رابعاً: تعلم المهن والصناعات

أكد ابن خلدون على ضرورة إعداد الأفراد للقيام بمهن وحرف معينة موضحاً أهميتها وضرورتها في الحياة الاجتماعية، لذا يجب إعداد الأفراد إعداداً مهنيّاً جيداً لا يتقنهم مهناً معينة. وقد قسم ابن خلدون المهن إلى قسمين بسيطة ومركبة، وتتضمن المهن البسيطة الفلاحة وهي من أقدم المهن المعروفة، ومهنة البناء وهي من أوائل المهن العمرانية ويعرف هذه المهنة بقوله: (هي معرفة

العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن) وصاحب هذه المهن تكون لديه معرفة بالفنون الهندسية، ومهنة الخياطة والنجارة وهما مهنتان قديمتان احتاج إليهما الإنسان للحصول على الدفء وهما من المهن الضرورية للمجتمع.

أما المهن المركبة، فهي مهنة التوليد، ومهنة الطب، والخط والوراقة، إلى جانب تعلم العلم الذي يعتبره ابن خلدون مهنة من المهن، إضافة إلى مهنة الغناء وهي من المهن الكمالية وآخر ما يعتني به المجتمع. 1(وهو بذلك قد قسم الصنائع إلى ما يختص بأمر المعاش ضرورياً كان أو غير ضروري، وإلى ما يختص بالأفكار التي هي خاصة الإنسان من العلوم والصنائع، ومن الأولى الحياكة والنجارة والحدادة وأمثالها، ومن الثاني الوراقة وهي معاينة الكتب بالاستنساخ والتجليد والغناء والشعر وتعليم العلم وأمثال ذلك) (ويتفق ابن خلدون هنا أيضاً مع الغزالي في اعتبار التعليم من أهم الصناعات وأشرف المهن).

ويتضح أن آراء ابن خلدون تضمنت في ثناياها ما يعود على الفرد والمجتمع بالصلاح والفائدة ورتبتها ترتيباً موضوعياً. أما فيما يخص الأساليب التعليمية فقد كان له فيها رأى آخر.

خامساً: أساليب التعلم

أشار ابن خلدون إلى أساليب التعلم التي يجب اتباعها ولعل أهمها:

1- التدرج والتكرار: كان التدرج والتكرار من الأساليب التي أكد ابن خلدون على اتباعها في التعلم حتى يتمكن المتعلم من فهم المادة العلمية، قائلاً في ذلك:

اعلم أن تلقين العلوم إنما يكون مفيداً إذا كان بالتدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا يلقى عليه مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة وغايتها أنها هباته لفهم الفن وتحصيل مسأله ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال... إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع وقد شد فلا يترك عويصاً ولا مبهماً ولا مغلماً إلا وضحه وفتح له مقفلة فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته، وهذا وجهة التعليم المفيد إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه.

ومبدأ التكرارات الثلاث في عملية التعليم هي أهم ما يمتاز بها ابن خلدون عن غيره، وهنا يتضح أن مبدأ التكرار الذي نادى به ابن خلدون يوضح مدى معرفته بالصعوبات التي تواجه المبتدئين في بداية تعليمهم فهناك مسائل لا يمكنهم فهمها وحلها، لذا اهتم بالتدرج من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المركب تمشياً مع قدراتهم واستعدادهم، وهذا ما تؤكد عليه التربية الحديثة فتكرار ما يتم تعلمه يبقى في ذاكرته ولا يمكن نسيانه.

2- الانتفاع بوسائل الإيضاح والرحلات في تبسيط الدروس أكد ابن خلدون على ضرورة الاعتماد على الأمثلة الحسية في تفهيم التلميذ فهو في بداية تعلمه يكون قليل الإدراك ضعيف الفهم، هذه الأمثلة من شأنها أن تساعد على فهم ما يلقى عليه، بالإضافة إلى الرحلات التي اعتبرها ابن خلدون وسيلة من وسائل التعلم، حيث تفتح كثيراً من أبواب العلم للناشئين وتزيد من تجاربهم ويكتسبون عن طريقها أفكاراً وعلومًا متنوعة قد لا يتحصلون عليها إذا عاشوا طوال عمرهم في مكان واحد. 2 قائلاً في ذلك (إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب تارة علماً وتلقياً، وتارة محاكاة وتلقياً بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها).

إن الرحلة في طلب العلم التي دعا إليها ابن خلدون تعتبر وسيلة لتحصيل الخبرة بشكل مباشر، من

خلال التعرف على أهل العلم والمعرفة والمتخصصين في كل علم من جميع البلدان لأن الاقتصار على الكتب وحدها في التعلم لا تمكن الطالب من التعمق في المادة الدراسية. وفي القرآن الكريم ما يبين أهمية الرحلات والأسفار والحث عليها وهنا يتضح أن تأكيد ابن خلدون على السعي في طلب العلم وإهتمامه بطلابه وبكافة الوسائل التعليمية التي تمكنهم من تحصيل العلوم المتنوعة، فكان محرضاً ومشجعاً لهم على السفر الذي هو من الأساليب الهامة التي أكد عليها ابن خلدون، وهذا دليل على أهمية العلم عند المسلمين منذ القدم الذين كانوا يرحلون من مكان لآخر غير مكرثرين بمتاعب السفر ومشاقه راغبين في اكتساب العلم والمعرفة من أي بقعة من بقاع الأرض.

3- ألا يؤتي بالغايات في البدايات يرى ابن خلدون أنه لا يقدم للمبتدئ في بداية تعلمه التعريفات والقوانين الكلية بل يجب البداية بالأمثلة التي تساعد على فهم هذه القواعد والتعريفات أي الانتقال من الجزئيات إلى الكليات، ويقول: "إن كثيراً من المعلمين في عهده يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقلدة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه ويكلفونه رعى ذلك وتحصيله فيخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجياً".

فإلقاء الغاية في بداية التعلم للمتعلم تعطل نشاطه الفكري ويصاب عقله بالكسل والملل ما يؤدي إلى ابتعاده عن العلم وكرهه له، وهذا ليس عيب العلم إنما العيب في الوسيلة السيئة التي لم تراعي فيها استعداد المبتدئين وميولهم.

وقد أعطى ابن خلدون مثلاً توضيحياً على ذلك، عندما طلب من المتعلم بيان وجوه الإعراب في جملة "بسم الله الرحمن الرحيم" وهو لم يعرف بعد أقسام الكلام ولا تقسيم الكلمة، وهذه الطريقة كانت متبعة في عصر ابن خلدون وهو في هذا الرأي يتفق مع الغزالي في قوله: (إن أول واجبات المربي أن يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه لأن الموضوعات الصعبة تؤدي إلى ارتباك العقل وتفتره من العلم).

ومن ذلك يلاحظ أن ابن خلدون طرح مشكلة من مشكلات التعليم التي تتمثل في عدم الاهتمام برغبة المتعلم ومدى استعداده لتلقي العلوم، فنلقى عليه الغايات في بداية تعليمه، الأمر الذي يجعله عاجزاً عن الفهم فاقداً رغبته في التعلم، وهذا بدوره يؤدي إلى ظهور مظاهر سلبية كعجزه التعليم إلى غير ذلك.

وقد قدم ابن خلدون طريقة صحيحة لتلقي العلوم بحيث تكون بالتدرج شيئاً فشيئاً مع مراعاة استعدادات المتعلم وقدراته العقلية، وابن خلدون حين يقف في وجه هذه الأساليب وينهى عنها إنما يساير علم النفس الحديث الذي ينادى بضرورة مراعاة الخبرة الماضية للطالب ففي ضوء معرفتها يمكن الوصول إلى خبرة جديدة مناسبة له.

4- ضرورة الاتصال في مجالس العلم يحرص المعلم على أن تكون الدروس التي يقدمها متصلة لا انفصال بينها لأن انقطاع مسائل العلم بعضها عن بعض يؤدي إلى نسيانها، وقصد ابن خلدون بذلك الانقطاع الطويل الذي ينتج عنه النسيان لما سبق من معلومات وعدم الربط بينها وليس الانقطاع من أجل الراحة وتجديد النشاط. 1. فيقول: (لا تطول على المتعلم في الفن الواحد والكتاب الواحد بتقطيع المجالس وتفريق ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها).

وبلاحظ هنا أن ابن خلدون رفض الفواصل الزمنية الطويلة بين الدروس ودعا إلى تجنب هذا الأمر لما فيه من أضرار للمتعلم يتمثل في نسيانه لكل ما تعلمه سابقاً، ولأن المتعلم لديه ذاكرة تضعف بطول المدة لذا طالب بمواصلة الدروس والربط بينها حتى تكون العملية التعليمية أكثر فائدة للمتعلم.

5- عدم الخلط بين علمين في وقت واحد حيث رأى ابن خلدون في ذلك أنه (لا يجوز تعلم علمين معاً في وقت واحد لأنه نادراً ما يظفر بواحد منها بسبب تقسيم باله وانصرافه عن كل واحد منها إلى تفهم مسائل العلم الآخر فيستغلان معاً ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة والإخفاق فيهما ولكن إذا تفرغ لعلم واحد كان ذلك أجدر لتحصيله).

وهنا لم يفهم ما أراد ابن خلدون توضيحه فاختلقت التفسيرات حول ذلك فبعضهم فهم من قوله أنه أشار إلى مبدأ التخصص، وأن المتعلم لا يمكنه فهم أي علم إلا إذا تفرغ له كامل التفرغ، بينما فهم البعض الآخر أن المتعلم لا يمكنه فهم علمين مختلفين في وقت واحد، وإذا كان قصد ابن خلدون أن يتعلم الناشئ علماً واحداً فإذا انتهى به انتقل إلى غيره فهذا مالا تقره التربية الحديثة التي تتأدى بضرورة التنوع في مواد الدراسة، لأن المتعلم لا يتعلم الخبرة مجزأة بمعنى أن يتعلم علماً وفناً ومادام الأمر كذلك فإن الباحثة تأخذ رأى ابن خلدون إذا كان قاصداً مبدأ التخصص والتفرغ لعلم واحد.

6- تجنب المختصرات في التعليم أكد ابن خلدون أن اختصار الكتب من العوامل التي تقف عقبة في سبيل التعليم لأنه يضيع وقت المتعلم في فهم الاختصارات الصعبة وفي الفهم واستخراج المسائل من بينها ما يمنعه من الاستفادة بمختلف العلوم ويفسد تعليمه. ويقول ابن خلدون في هذا الأمر: ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والإنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة، من ذلك الفن، فصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسيراً على الفهم وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل.

وقد سادت عصر ابن خلدون ظاهرة اختصار الكتب حيث اكتفى كثير من العلماء بما هو موجود من مؤلفات وتناولوها بالاختصار والشرح ووجدوا في ذلك عملاً سهلاً عليهم، وهذه الظاهرة انتقدتها ابن خلدون لأن هناك بعض العلوم تحتاج إلى إطالة وتكرار، لما تحويه من معاني ومفاهيم لا يستطيع المتعلم فهمها، هذه العلوم أصابها الخلل في التركيب بسبب اختصارها، وأصبحت صعبة الفهم على المبتدئين في التعليم.

ومن ذلك يلاحظ أن ابن خلدون اهتم اهتماماً خاصاً بالكتب الدراسية، وكيف لا؟ وهي من الأعمدة الرئيسية في إكساب الإنسان المعارف والمعلومات المختلفة، حيث أدرك النتائج السيئة التي تظهر عند اختصار الكتب والتي تؤدي إلى خلل في المضمون وصعوبة فهم المتعلم، وابتعاده عن البحث والتنقيب، وقلة رغبته في الإطلاع والقراءة، ويتفق ابن خلدون في هذا الرأي مع التربية الحديثة التي ترفض الملخصات من الكتب، وهنا يبدو واضحاً وعي ابن خلدون لجميع المشكلات والصعوبات التي قد تقف عقبة في سبيل تحصيل العلم والمعرفة وهذا دليل على مدى اهتمام المفكرين المسلمين الأوائل بالعلم وتقديرهم لطلابه.

7- منافذ المعرفة هي التي يتحصل عليها الفرد من تجربته المستمرة في الحياة، ويختلف في تحصيلها من فرد لآخر، فهناك من يكتسبها في وقت قصير وبعضهم في وقت أطول، وهذا راجع إلى ما بينهم من فروق فردية، وابن خلدون رأى أن اكتساب المعرفة يتم عن طريق التجربة والمشاهدة والتأمل العقلي. 1 (حيث يقول: هذه المعاني لا تبعد عن الحس كل البعد ولا يتعمق فيها الناظر بل كلها تدرك بالتجربة).

وعلى أية حال فإن ابن خلدون بين أن الحواس هي من أهم مصادر المعرفة التي يتمكن الطالب من خلالها اكتساب معرفته ويصل بمشاهدته وتجربته إلى قواعد وقوانين منطقية بواسطة التأمل العقلي. إلى جانب هذه الأساليب التعليمية المتنوعة فقد اهتم ابن خلدون بالمعلم ورأى ضرورة أن يتصف بصفات معينة تؤهله ليقوم بمهنته على الوجه الصحيح.

سادساً: مواصفات المعلم ووظائفه

يرى ابن خلدون أن العملية التعليمية تتطلب وجود المعلم كطرف أساسي فيها سواء استهدفت تخريج العلماء أو الصناع قائلًا: (الصنائع لا بد لها من معلم بشرط أن يكون المعلم جيداً وماهراً في مهنته على قدر جودة التعليم ومملكة المعلم يكون حدق المتعلم) ويعتبر التعليم من جملة الصنائع، وهو فن لا بد من معرفة أصوله وقواعده حتى يستطيع المعلم القيام بمهنته على أكمل وجه، والرجل الذي ترفع عن الدنيا ورفضت نفسه فعل القبيح هو الذي يستحق لقب المعلم، وعليه أن يتصف بالمواصفات الآتية:

1- أن يكون المعلم عارفاً بالعلم بل لا بد له من دراسة نفسية الأطفال ومعرفة درجة استعداداتهم ومواهبهم العقلية حتى ينزل إلى مستواهم الفكري.

2- تقوية الصلة بين المعلم والمتعلم، فتلقى العلوم عن طريق المحاكاة والتقليد والاتصال الشخصي بالعلماء هو من أنفع الطرق للتعليم، وكان غرض ابن خلدون من ذلك أن يزداد التلاميذ احتكاكاً بمعلميهم عن قرب ويتفجعوا بأخلاقهم ويتعلموا علومهم وتجاربهم في الحياة. وما ينادى به ابن خلدون هو صلب اتجاهات التربية الحديثة.

3- أن يستعين المعلم في التعليم بالأمثلة الحسية الموضحة للموضوع وينزل لمستواهم بعد معرفته باستعداداتهم وقدراتهم. وابن خلدون في هذا كان مدركاً لما تمثله الأمثلة الحسية كوسيلة تعليمية توضيحية تمكن الطالب من فهم كل ما يقدم له من معرفة.

4- أن لا يفرض المعلم على تلاميذه استيعاب ما كتب في كل علم لأن ذلك يعوقهم عن التحصيل، قول ابن خلدون: (اعلم أنه مما أضر الناس في التحصيل والوقوف على غاياته كثرة التأليف، واختلاف الاصطلاحات في التعليم، ثم مطالبة المتعلم باستحضار ذلك كله فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد وتفرغ لها فيقع القصور). ويتفق في هذا مع الغزالي الذي يوصي بعدم الإقبال على المبتدئين في العلم بالتفاصيل غير المجدية لأن ذلك يرهق عقولهم ويشعرهم بالملل.

5- حذر ابن خلدون المعلمين من اتباع طريقة التحفيظ والتسميع لأن هذه الطريقة في التعلم لا تترك في عقول التلاميذ أي أثر. فالحفظ معوق لمملكة الفهم، ودعا إلى إتباع طريقة المناقشة والمحاورة والمناظرة، في التعليم قائلًا: ("إن أيسر طرق هذه الملكة "الفهم" هو فتح اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها).

6- أن يكون المعلم قدوة حسنة للطفل لأنه يتأثر بالتقليد والمحاكاة والمثل العليا التي يراها أكثر مما يتأثر بالنصح والإرشاد، هذه القدوة التي دعا إليها ابن خلدون تتطلب من المعلم أن يكون متمشياً مع الدين وأحكامه في سلوكه بحيث يجمع بين الإيمان والسلوك الحميد وبين القول والعمل، ولكي يكون قدوة حسنة عليه أن يقيم علاقات طيبة مع تلاميذه تقوم على أساس الرفق وحسن المعاملة والتعاطف، وأن يكون داخل المدرسة وخارجها مثلاً للسلوك الحميد والفضائل العالية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب الرفق في الأمر كله، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) رواه البخاري.

7- إن العلم والتعليم هو عمل جماعي لهذا كان وجوده في الحياة الحضرية أكثر منه في الحياة البدوية. والتعليم الجماعي له مردود ايجابي ونتيجة أفضل على المتعلم من التعليم الفردي.

وهنا تشير الباحثة إلى أهمية هذا الرأي في تنمية الميول الاجتماعية عند كل متعلم، لأن إعدادة للحياة الاجتماعية يأتي عن طريق دراسته وتعليمه بطريقة جماعية، فيساهم فيها بكل إمكانيته باعتبار الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته والتعليم الجماعي ينمي عند المتعلم روح التنافس والتعاون لما فيه مصلحة الجميع.

وكان من ضمن آراء ابن خلدون التربوية أيضاً رأيه في أسلوب الثواب والعقاب وفيما يلي سوف توضح الباحثة أهم آراء ابن خلدون في هذا الجانب.

سابعاً: الثواب والعقاب

"إن العقوبة مشروعة في الإسلام وجعل الله لنا في القصاص حياة، وقد أقر المربون المسلمون مبدأ عقاب الصبيان، لكنهم اشترطوا الرفق بهم تمشياً مع روح الإسلام التي تتسم بالرحمة والعفو". وهذا ما اهتدى إليه ابن خلدون في مجموعة من آرائه التربوية فكان من ضمنها حرصه على تجنب الشدة لأنها تفسد معاني الإنسانية وتؤدي إلى الابتعاد عن العلم والانحراف في السلوك، داعياً إلى معاملة الأطفال بالرحمة وتقويمهم بالقرب والملاينة لا بالشدة والغلظة، لأن الإرهاق في التعليم مضر بالمتعلم مفسد لأخلاقه، واستعمال الشدة للطفل مضر له جسماً وخلقياً

اجتماعياً وقد وضح ابن خلدون ذلك بقوله: إن إرهاب الحد بالتعليم مضر بالمتعلم ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له عادةً وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبد عليها في التأديب. و ذلك حرصاً على صون النفوس من مذلة التأديب. ويحبذ ابن خلدون الأسلوب الذي أوصى به الرشيد معلم ولده باتباعه فيقول: من أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين حين قال: يا أحمد إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمره قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرأه القرآن وعرفه الأخبار، وروه الأشعار وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدنه وامنعه من الضحك إلا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ولا تمرن ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمنع في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهاً فعليك بالشدة والغلظة.

فأسلوب الثواب والعقاب يستخدم ليكون دافعاً للتعلم أما إذا دعت الحاجة إلى العقاب فعلى المعلم أن لا يزيد في الضرب عن ثلاثة أسواط بشرط أن يكون الضرب على المواضع التي لا يخشى منها مرض ولا يكون الضرب على الرأس ولا على الوجه، وأن لا يضرب بعضاً غليظة تكسر العظام ولا رقيقة تؤلم الجسم بل تكون وسطاً أما أداة الضرب فيتخذ جلداً عريض السير لذلك.

ومع أن ابن خلدون قد عارض أسلوب الشدة على المتعلمين إلا أنه لم يترك الحبل على الغارب للأطفال فهو لم يؤيد فكرة التسامح الكلي مع الأطفال، حيث أباح العقاب للضرورة ولكن قبل اللجوء إليه يفضل ابن خلدون اتباع وسائل أخرى كالترهيب والترغيب والتوبيخ والعزل والإهمال وآخر الأمر يكون العقاب.

ويلاحظ أن ابن خلدون كان من بين الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بالطفل من جميع جوانبه متأثراً في ذلك بتعاليم ومبادئ الدين الإسلامي الذي يدعو إلى الرحمة والعطف وينهي عن الشدة والقسوة، وهذا بدوره دفع المربين المسلمين أن يكونوا حريصين على معرفة طبيعة الطفل قبل معاقبته واتباع أساليب تربوية سليمة تحفظ كرامته وتهينه لتحمل المسؤولية.

تعقيب:

إن الآراء والأفكار التربوية التي طرحها وتناولها كل من ابن سينا وابن خلدون، قد تضمنت في ثناياها الدقة في التعبير والعمق في المعاني والنظرة التقدمية والمتطورة في عصر لم يكن بحديث، وهذه الآراء كلها تدل على تألق مربى الإسلام ومدى اهتمامهم بتربية الطفل وبنفسيته.

فابن سينا لم يقتصر في آرائه التربوية على مرحلة معينة من مراحل الطفولة بل كانت آراؤه

شاملة متكاملة اهتمت بالطفل منذ لحظة ولادته وجميع جوانبه النفسية والعقلية والجسدية والانفعالية، فلم يترك ابن سينا بذلك جانباً من الجوانب إلا تطرق إليه متأثراً بتعاليم الدين الإسلامي والسنة النبوية واهتماماً بذلك منهجاً تربوياً قيماً من واقع عصره ومجتمعته تنهل منه الأجيال على مر الأزمنة، ويستفيد منه المربون في كافة المؤسسات التربوية والتعليمية، وابن سينا بهذا قد أعطى فكراً تربوياً قيماً وأمد المجتمعات شرقيها وغربيها بنبع من المعرفة لا ينضب.

وبمثل ما قدم وأعطى ابن سينا من آراء وأفكار قيمة أعطى وقدم كذلك المفكر ابن خلدون كل ما هو جديد للتربية، حيث اهتم بتناول قضايا تربوية في جميع المجالات العلمية والإنسانية التي دلت على مميزات العصر الذي عاش فيه ومدى اهتمام المربين المسلمين بالعلم والقضايا الإنسانية، فكانت آراؤه هو الآخر تقدمية متطورة سعى من ورائها إلى خدمة العلم والمتعلم حاضراً ومستقبلاً.

وفي جميع الأحوال فإن كلاً من ابن سينا وابن خلدون يعدان من الرواد الأوائل الذين بذلوا جهودهم في وضع أسس تربوية تخص تربية الطفل وتنشئته النشأة السليمة بصفة خاصة وأساليب تعليمه بصفة عامة.

جان جاك روسو

تمهيد

كان روسو رائد الحركة الطبيعية في التربية وقائداً لمسيرة تربوية اهتمت بالطفل اهتماماً خاصاً فأصبح محور العملية التعليمية، فجاءت أفكاره تحمل بين طياتها بداية لعهد إصلاح تربوي وتعليمي واجتماعي، لما كان في ذلك المجتمع من اضطهاد وظلم وفساد. هذا العصر الذي بدأت ملامحه وآثاره واضحة لروسو وما جاء به من أفكار تدعو إلى التحرر وإلى إنهاء ما في المجتمع من اضطرابات عانت منها الأسر الكثير، وكان الطفل ضحيتها فعاش مقيداً في تفكيره يعامل معاملة الإنسان الراشد محروماً من أن يعيش حياة طبيعية حرة، وأن يتمتع بكل ما في مراحل الطفولة من مسرات. هذه الأوضاع دعت روسو أن يثور على الوضع الراهن ويطالب بحماية الطفل الطاهر من المجتمع الذي يفسده بتوفير بيئة ملائمة ومناسبة لنموه الطبيعي، وبأن يعيش بين أحضان الطبيعة ويتمتع بما فيها من جمال وحرية، وبالرغم ما عاناه روسو في حياته الشخصية أو في عصره إلا أنه قدم أفكاراً متقدمة مطالباً فيها العناية بالطفل وحقوقه وباستقلاله بتربية نفسه بنفسه.

أن روسو اهتم بكل مرحلة من مراحل الطفولة ابتداء من الميلاد إلى سن العشرين، تناول فيها أهم ما يجب تعليمه للطفل متضمناً الشروط التي يجب أن تراعى عند تربيته إضافة إلى اهتمامه بالجوانب الخلقية والتربية الاستقلالية والحرية، وهي أهم ما دعا إليه روسو، إلى جانب تعلم العلوم واكتساب المهن والصناعات المختلفة.

كما حدد أهم مواصفات معلم الطفل وأساليب تعليمه وأوضح رأيه في الثواب والعقاب الذي تميز فيه عن غيره من المفكرين. وستقوم الباحثة بعرض أهم الأفكار التحررية والمبادئ التربوية التي نادى بها روسو في عصره بشيء من التفصيل.



المراحل التربوية عند جان جاك روسو

كانت آراؤه حول تربية الطفل يتضمنها كتابه المشهور "أميل" * الذي اتخذته أساساً لتربية الطفل ابتداء من مرحلة الميلاد إلى سن العشرين، التي شملت الأجزاء الأولى من الكتاب أما الجزء الخامس فقد تناول فيه تربية البنات، وقد قسم مراحل هذه التربية إلى أربع مراحل هي:

المرحلة الأولى: وتبدأ التربية فيها من الميلاد إلى سن الخامسة ويترك الطفل على حريته التامة وطبيعته، فالأم هي المربية الطبيعية له والأب هو المعلم الطبيعي للطفل. فالتربية عنده مخالفة للطرق المعروفة في تربية الطفل مثل عادة لف الطفل بالقماش (القماط) أو أي نوع من الأقمشة تمنعه من النمو أو تعيق حركته. ويقول روسو: (إن حرية الحركة وتحرير أعضاء الجسم من القيود والأربطة والملابس الضيقة ضرورة في عملية نمو الطفل وتنمية حواسه) وهذه المرحلة عند روسو هي اللعب الحر وذلك لنمو الطفل صحياً أو جسماً وأن يفعل ما يحب دون فرض أو إجبار من الخارج. 4 ووظيفة الأب والأم هي إعداد الطفل جسماً بعدة طرق تختلف عن الطرق التقليدية المقيدة لحريته، وتعليمه مفردات لغوية تجعله قادراً على النطق بها أكثر من قدرته على التفكير فيها باتباع أسلوب المحاكاة، وفي هذه المرحلة فضل روسو الاهتمام بالأعمال اليدوية وممارسة الرياضة البدنية لتقوية الجسم والمحافظة على صحته، وأن يؤخذ الطفل إلى الريف ليعيش في أحضان الطبيعة بعيداً عن شرور المدن.

ترى الباحثة أن روسو أراد في هذه المرحلة تربية الطفل تربية حرة بدون قيود فكرية وجسدية، وأن يخلص ما قد يصيبه من شر الناس والمدن بما فيها من ضغوط وقيود بدعوته للعيش بين أحضان الطبيعة وتمتعه بها، وروسو في المرحلة الأولى من عمر الطفل كان انتباهه مرتكزاً على الناحية النفسية والجسدية، وكما *أميل: هو أسم أطلقه روسو على كتابه الذي جمع بين الرواية والمقالة وقد وضح في ه بأسلوب أدبي شيق التربية الحقة التي يراها لأميل، وهو الشخصية الفرضية التي اختار روسو أن تكون تربيتها موضوعاً لاقتراحات وإرشاداته التربوية وذلك بعد نزعة من والديه ووضعها بين يدي مربٍ مثالي يوجهه ويرشده محتكاً بالطبيعة وجمالها.

المرحلة الثانية:

تمتد المرحلة الثانية من سن الخامسة إلى سن الثانية عشر وفيها يبدأ الاهتمام بتكوين الصفات الخلقية كالشجاعة والاعتماد على النفس وتقدير الحقوق المتبادلة... وغيرها، هذه الصفات يجب غرسها في نفس الطفل عن طريق التجربة والخبرة لا عن طريق التلقين والوعظ. ويرى روسو أن هذه المرحلة من أهم المراحل وأخطرها قائلًا: (إن أصعب مدة للطبيعة الإنسانية إنما هي الفترة التي تمتد من ساعة ولادتنا إلى اثنتي عشرة سنة من العمر، فهذا هو الوقت الذي يتأثر فيه الطفل بالرديلة

والخطيئة وليس لدينا إذ ذاك أي عدة لإبادتهما)

مؤكداً في هذه المرحلة على التربية السلبية أي ترك عقل الطفل في سباته لضمان المحافظة عليه من أي تأثير خارجي فيقول: (مرن جسم الطفل وأعضائه وحواسه وقواه الجسمية ولكن دع عقله في سباته بقدر الإمكان).

تلاحظ الباحثة أن روسو كان مدركاً لما تمثله السنوات الخمس الأولى للطفل من أهمية وما لها من تأثير في بناء شخصيته فطالب بغرس الصفات الخلقية سابقة الذكر في نفس الطفل. ومن هنا تكون تربيته تربية سلبية لا تحتوي بث الفضيلة بل حفظاً من الرذيلة والخطأ، 4 فهذه المرحلة عند روسو هي مرحلة الاهتمام بالصفات الخلقية بصورة أوسع مع الاستمرار في التركيز على أهداف المرحلة

السابقة. ترى الباحثة أن روسو في هذه المرحلة اهتم بتكوين الصفات الخلقية التي تمكنه من الاعتماد على نفسه واحترام ذاته والآخرين، وتعليمه الصبر والاحتمال لكل ما قد يعترض طريقه من مصاعب، وتربيته تربية تسير حسب قوانين طبيعية بمعنى اكتساب المعرفة عن طريق الخبرة لا عن طريق حشو ذهن الطفل بمعارف وألفاظ لا يفهم منها شيئاً.

المرحلة الثالثة:

تبدأ المرحلة الثالثة من سنة الثانية عشر إلى الخامسة عشر وهي تهتم بالتربية العقلية، ويكون الطفل محباً فيها للاستطلاع والاكتشاف فيقوم بالدراسة لإشباع رغبته في المعرفة فيهتم بالعلوم المختلفة كالجغرافيا والعلوم الطبيعية، وتحبب إليه بعض الحرف اليدوية كالزراعة، والحدادة، والنجارة، وقد نصح روسو في هذه المرحلة بعدم قراءة الكتب إلا قصة (روبنس كروز) * لأنها تؤكد أهمية الاعتماد على النفس ومنها يتعلم الطفل بعض الفنون والمهن، فروسو لا يؤمن بالكتاب فيقول: (إن الكتب ضارة لأنها تعلمه أن يخوض بالكلام فيما لا يعرف، ولن أترك بيد "أميل" إلا كتاب "روبنس كروز" لأنه صورة رجل عمل بمفرده على حفظ حياته فهو جدير أن يرتفع بإميل فوق مستوى المزاعم المنقولة عن الغير ويعلمه الحكم السليم الصائب على العلاقات التي بين الأشياء).

أما ما يختص بالتربية الدينية فرأى أن تكون عند سن الخامسة عشر لا قبل ذلك، أما إذا قام المربي بتعليم الطفل قبل هذه السن صلته بربه وأمور دينه قضى بقية حياته جاهلاً بربه وتكون معرفته بالعقائد الدينية معرفة قاصرة، لأن مداركه في هذه السن لا تقوى على فهم الأمور الإلهية وإذا علم بها كان علمه ناقصاً وفي النهاية سترشده الطبيعة من خلال حبه لها أي البحث عن خالقها بطريقة تحفظ للخالق جلاله وسموه.

ترى الباحثة أن روسو سعى في هذه المرحلة إلى تحقيق هدفين أساسيين من تربية الطفل، أولاً

تعيده على البحث والاطلاع من خلال الطبيعة بعيداً عن الكتب وثانياً تدريبه على الأعمال اليدوية ليقدر قيمتها ويعرف مدى منفعتها. وبإيجاز أراد تنمية عقله واكتساب معرفته وخبرته بالتجربة.

المرحلة الرابعة:

تبدأ هذه المرحلة من سن الخامسة عشر إلى سن العشرين وهي مرحلة النضج الوجداني وظهور المشاعر والأحاسيس والعواطف والقدرة على فهم الأحكام الروحية والخلقية، بعد أن اكتمل نموه الجسمي فيكون تقويم الأخلاق وتنمية الوجدان هدفاً من أهداف التربية التي تسعى إلى تحقيقها، كي يكون في هذه المرحلة مدركاً صلته بربه وعلاقاته بالناس، إضافة إلى مشاهدته أمثلة حية للخطيئة والبؤس بزيارته للسجون والملاجئ.

أما هذه المرحلة برأي الباحثة فهي مرحلة استقرار للطفل ونضجه عقلياً وعاطفياً لذا كانت عند روسو مناسبة لمعرفة الأمور الدينية والدنيوية.

هذه هي المراحل الأربعة التي اقترحها روسو لتربية الطفل (ذكر) أما في ما يخص تربية الطفل (أنثى)، الذي اختار لها اسم "صوفي" تفاعلاً بهذا الاسم، فرأى أن للبنات وظيفة تختلف عن وظيفة الرجل وأن طريقة تربيتها وتعليمها تختلف عن الولد. ويقول روسو في هذا الصدد: (ومن حيث إنه ثبت أن الرجل والمرأة ما كان ينبغي لهما تكوين واحد ولا خلق واحد ولا مزاج واحد يترتب على هذا أنه لا ينبغي لهما تربية واحدة). 5 لذا تكون تربية المرأة تربية جسمية تتعلم فيها التطريز والموسيقى والطهي وتكون وظيفة المرأة تربية أطفالها وإسعاد زوجها، لأن المرأة المثقفة وبال على زوجها وأطفالها وعائلتها وخدمها وعلى كل فرد، لذا رفض تعليمها لتتفرغ لرعاية أسرته وزوجها. وهو بهذا لم يكن منصفاً لحقوقها في التربية، 6 هذه التفرقة في التربية بين الذكر والأنثى ليست تحيزات لكل منهما ولكن التزاماً بأن التربية يجب أن تتوافق مع الطبيعة ومع حاجات ورغبات الطفل.

وهنا ترفض الباحثة تأييد رأي روسو بخصوص تعليم المرأة فليس الذكاء والقدرة على التعلم ذكوري بل ان المرأة المتعلمة الواعية أقدر على التربية من المرأة الجاهلة، كما ان المرأة في هذا العصر تمارس من أعمال الرجال الكثير وأصبحت تزحف على عمل أي وظيفة كانت خاصة بالرجل فتمارسها ولذلك لم يعد هناك مبرر لإفرادها بنوع خاص من التعليم أو التربية، فرأى روسو في المرأة

كان رايًا متطرفاً ومن الصعب الأخذ به في العصر الحاضر. اما المراحل السابقة التي قسمها روسو فترى الباحثة أنه سعى من وراء هذا التقسيم أن يجعل لكل مرحلة اهتماماً خاصاً بها بحسب ما تتطلبه تلك المرحلة من مراعاة لقدرات الطفل العقلية والجسمية، واتباع الوسائل التي تساعد على تنمية جسمه وتكوين شخصيته وتدريب حواسه فهو بمنحه حريته في أحضان الطبيعة يتمكن من اكتساب خبرته الشخصية من تجاربه التي هي مصدر معرفته وليس من أي عملية تعليمية أو مرب،

ولعل تقسيم روسو للمراحل السابقة كان يهدف من خلاله إلى تربية الطفل تربية شاملة من جميع نواحيه العقلية والجسمية والخلقية، وستوضح الباحثة فيما يلي أهم أفكاره التربوية المتعلقة بالجانب الخلفي.

أولاً: التربية الخلقية

لقد آمن روسو ببراءة الطفل التامة قائلاً: (إن كل ما خرج من يدي خالق الأشياء حسن وكل شيء فسد بين يدي الناس).¹ وإن الطفل في الأصل طبيعته خيرة وما يتبع هذه الطبيعة من شر أو صفات مكتسبة كالحقد، والكراهية والأنانية إنما يرجع إلى البيئة التي عاش فيها واكتسب صفاتها، لذلك كان روسو مقتنعاً ببراءة الطفل وقد بين ذلك أيضاً بقوله: (من أين لكم البرهان على أن تلك الميول الخبيثة... ليست في الواقع إلا ثمرة جهودكم لا ثمرة خلقته الفطرية).

كما دعا روسو المعلم أن يدفع بالطفل إلى الاختلاط والتعامل مع الناس، وأن يطلعه على الأمثلة الطيبة من تاريخ الصالحين، وأن يكون هو ذاته قدوة حسنة ومثالاً صالحاً يظهر عواطفه ووجدانه في كل ما يعمل لأن الوجدان نبع لكثير من مكارم الأخلاق،³ ومهمة المعلم هنا تهيئة بيئة صالحة للطفل تتفتح فيها مواهبه وقدراته العقلية والخلقية، ومن هذه البيئة المناسبة يجنبه اكتساب الشرور ويحميه من رفاق السوء، كي لا يكتسب منهم الرذيلة عند اختلاطه بهم،⁴ لأن البيئة والقدوة السيئة والمثل القبيح هو الذي يسيء إلى الطفل فالبيئة التي يعيش فيها الطفل والمثل الذي يراه يتأثر بهما كل التأثير.

كما رفض روسو أن يقوم المعلم بتعليم الطفل أسلوب الحوار في مواضيع لا يفهمها،¹ بل عليه أن يثير في الطفل عواطف الرحمة والحنان بدعوته لزيارة السجون والمستشفيات والملاجئ، وأن يبين له ما يعانیه كثير من الناس من مظاهر البؤس والشقاء دون أن يكثر من ذلك حتى لا يضعف وجدانه ويقسو قلبه، وبذلك فإن مبدأ التربية الخلقية عند روسو هو إغفال إعطاء الطفل أي معارف في الأخلاق أو تعليمه شيئاً من الكتب بل ينبغي أن يكتسب ذلك عن طريق تجربته الشخصية.² أما معرفته بوجود الله سيدركها عند سن الخامسة عشر.³ حيث يقول: "إن أميل يملك القليل من المعارف، ولكن هذا القليل يملكه حقاً، فلا يعرف شيئاً معرفة وسطاً، وإلى جانب هذا العدد القليل من الأشياء التي يعرفها ويعرفها جيداً هناك أشياء كثيرة تجهلها وفي وسعه أن يعرفها يوماً ما".⁴ وقد اتفق فروبل* مع روسو الذي رأى هو أيضاً أن طبيعة الطفل خيرة في أصلها وأن ما يلحقه من شر

إنما هو من البيئة المحيطة به ويخالف بعض المفكرين الذين يرون أن هذه الطبيعة ليست خيرة ولا شريرة وإنما تعتمد على الظروف المحيطة به".

مما سبق تلاحظ الباحثة أن روسو لم يهمل الجانب الخلفي في تربية الطفل باعتباره من الجوانب الهامة في حياته التي يتأثر فيها بشكل مباشر من بيئته ورفاقه ومعلمه، الذي اشترط أن يكون قدوة حسنة له ومثالاً صالحاً يقتدي به فروسو أراد أن يحيط بالطفل أثناء تربيته كل ما هو حسن وصالح، لاقتناعه التام بأن الطفل يولد نظيفاً طاهراً خالياً من كل ما هو شر. أما رايه في عدم اعطاء الطفل اى معارف في الاخلاق او تعليمه شيئاً من الكتب وتركه يكتشف ذلك عن طريق تجربته الشخصية فهو راي لا تتفق معه الباحثة فكل مرحلة من مراحل نمو الطفل هي مرحلة تعلم واكتشاف وهناك حقائق ومعارف كثيرة لا يستطيع الطفل معرفتها بنفسه ويحتاج الى غيره لتعلمها، كما بين روسو أهمية استقلال الطفل ومنحه الحرية التي كانت غاية روسو من تربية الطفل وهذا ما تتناوله الباحثة في التالي.

ثانياً: التربية والحرية

وفي هذا الجانب دعا روسو إلى تشجيع الطفل على أن يستقل بنفسه ويحكم عقله في كل شأن من شؤونه، بحيث لا يتحكم في تفكيره أو يسيطر عليه أحد مستعملاً حكمته وعقله في كل أعماله، ليكون مستقلاً في حياته معتمداً على نفسه وإذا لم يستطع القيام بما يجب يمكن أن يستعين بغيره، وهو في هذا الرأي سعى إلى أن يعتاد الطفل التفكير في نفسه وعمله، وأن يحفظه من المؤثرات الخارجية التي تضره أو توقعه في الخطأ خاصة إذا كان ضعيف الإرادة، لأن الاستقلال والاعتماد على النفس في التعلم يؤدي إلى الابتكار والاختراع.

إن روسو من وجهة نظر الباحثة أراد أن يساعد الطفل على التحرر من قيود الآخرين الفكرية والجسدية بدعوته للاستقلال الذاتي، وأن يفعل ما يريد من خلال حريته التي تعد مطلباً من المطالب التربوية التي نادى بها روسو وحاول تأكيدها في التربية، وذلك بقوله: (يجب منح الأولاد قدراً كبيراً من الحرية الحقيقية وترك مجال كبير لهم للعمل والتجربة).²

وعليه فإن روسو قد أعطى الطفل الحرية في جميع مراحل النمو التي يمر بها ابتداء من لحظة ولادته إلى المرحلة التي يتمكن فيها الطفل من تحقيق استقلاله، لأنها خير وسيلة لتعامل الطفل مع بيئته ومع مكوناتها ومحاولة اكتشافه لها هي منحه الحرية.³ (وقد تأثر به جون ديوي* الذي دعا أيضاً إلى منح الطفل حريته ليحيا طفولته وأن تحترم شخصيته من خلالها).⁴

إن هذه الحرية تبدو ملامحها واضحة أثناء نشاط الطفل ولعبه، فاللعب جانب تربوي مهم، يتمكن الطفل من خلاله من إقامة علاقات اجتماعية مع غيره من الأطفال والتعاون معهم، وهو وسيلة لتطوير الذاكرة ونمو الخيال، ويستطيع من خلاله التعبير عن أفكاره الخاصة، ويعتبر اللعب إضافة إلى ذلك وسيلة تعليمية مهمة. ويرى روسو أن الأطفال يتمتعون بنشاط كبير لا حد له، فهم

بطبيعتهم ونظرتهم يكرهون الخمول والسكون والكسل ويميلون إلى الحركة والجري والعمل، وكما هو معروف فإن الطفل يميل في الظاهر إلى إبادة كل ما تمسه يده وهذا ليس ناتجاً عن رغبته في الضرر، ولكنه ناتج من أن عملية الهدم والتخريب تناسب روحه المليئة بالنشاط والحيوية وفي الوقت نفسه هي أسرع وأسهل من عملية البناء، لذلك دعا إلى ترك الطفل يتمتع بنشاطه وحرية أثناء لعبه ليستفيد عقلياً وجسماً على الوجه المناسب، 2 ويحدد فترة الميلاد إلى سن الخامسة هي فترة اللعب الحر للطفل دون أي تقييد لحركته، 3 فاللعب هو الطريقة التي أعدتها الطبيعة لتظهر ميول الطفل واستعداداته الجسمية والعقلية وهذا ما نادي به (بستالوزي * وفرول قديماً وجون ديوي حديثاً).

تلاحظ الباحثة أن روسو حاول جاهداً إسعاد الطفل ومساعدته لينال حريته واستقلالته بذاته بعيداً عما يفرضه عليه عالم الكبار، فهو من خلال هذه الحرية يستطيع التفاعل مع كل ما حوله ويكتسب بتجربته وخبرته المباشرة كل أنواع المعرفة، أي تحقيق ذاتية الطفل من خلال استقلاله وحرية وصولاً إلى تربية شاملة للطفل من جميع جوانبه وهذا ما أراد روسو الوصول إليه من خلال التربية.

ثالثاً: تعلم العلوم

في هذا الجانب يشير روسو إلى أن الفترة من سن الثانية عشر إلى سن الخامسة عشر، هي أفضل الفترات لتعلم ما يرغب في تعليمه من العلوم النافعة وعلى رأس هذه العلوم الجغرافيا، 5 الذي نصح فيها المعلم بالابتعاد عن الوسائل التعليمية والخروج مع تلاميذه إلى الغابات والحقول ليشاهدوا شروق الشمس وغروبها، تاركاً بذلك مجالاً واسعاً للتلاميذ للتأمل ولمعرفة كيفية انتقال الشمس من مشرقها إلى مغربها التي يدركونها عن طريقة حاسة النظر، ثم يوضح المعلم حركة الشمس ودوران الأرض وتغيرات الطقس فيتلقى التلاميذ أول درس في الجغرافيا الفلكية، أما دراسة الفلك فتتم عن طريق الأجرام السماوية، وعلم النباتات تدرس عن طريق النباتات ذاتها وعن طريق الملاحظة والتجريب تكون دراسة الفيزياء، أما النحو واللغات القديمة فلا سبيل إلى تعلمها عند روسو إلى جانب التاريخ الذي يرفض تعليمه للأطفال لأنه يقوم على تقدير أعمال الناس على ضوء علاقاتهم ببعضهم البعض، ومن المفروض أن يفهم التلاميذ هذه العلاقات أولاً، إضافة إلى أن الأحداث التاريخية لا تنفصل عن معرفة أسبابها ونتائجها وإذا كانت هذه الأحداث مجردة فلا قيمة إذن لدراسة التاريخ الذي لا يتناسب أيضاً مع ذاكرة الطفل ولا يتناسب مع عمره. 3 وبالنسبة لدراسة اللغات فقد قال فيها: (قد يدهشكم أنى أعتبر دراسة اللغات من بين تلك المواد التي لا نفع فيها للطفل، ولكن تذكروا أنى لا أتكلم إلا عن دراسات فترة الطفولة الأولى، ومهما قيل في هذا الشأن لا أعتقد أنه إلى سن الثانية عشرة أو الخامسة عشر يمكن لأي طفل أن يتعلم لغتين تعلماً حقيقياً اللهم إلا إذا كان عبقرياً). أما في دراسة التاريخ فقد صرح قائلاً: (إنه لخطأ سخيف أن يفرض على الأطفال دراسة التاريخ على زعم أن التاريخ في متناول إدراكهم، لأنه ليس إلا مجموعة من الوقائع والحوادث...وهو

خالٍ من كل فائدة ومن كل متعة أما إن كنتم تقدرون أعمال الناس على ضوء علاقاتهم الأدبية، فعليكم أن تفهموا هذه العلاقات لتلاميذكم وعندئذ سترون هل يلائم التاريخ عمرهم أم لا؟).

أما فيما يخص تعليم الرسم فقد فضل روسو أن يتعلمه الطفل من الطبيعة دون أن يتدخل معلم الرسم في ذلك حتى لا يكلفه محاكاة الرسوم التي قام غيره بها حيث يقول: (إن جميع الأطفال المولعين بالمحاكاة يحاولون الرسم وإنني أرجو أن يبيث في نفس طفلي هذا الفن، لا حباً للفن نفسه بل لتكون عينه صائبة فيما ترى وتكون يده مرنة قابلة للمرونة). فتفكيره في حاسة اليد والعين والنظر أكثر من تفكيره في الرسم وغاية روسو أن يتعلم الطفل الرسم أكثر من قدرته على محاكاته.

وإضافة إلى ذلك اهتم روسو بالألعاب الرياضية والتمارين البدنية لما فيها من فائدة وصحة للأبدان. (وقد انتق بسنالوزي مع روسو في أن الطفل يتعلم من الخبرة المباشرة وأن دراسة الطبيعة والجغرافيا ينبغي أن تكون في الحقول والغابات).

وبناء على ما سبق فإن روسو لا يفضل أن يدرس الطفل كافة العلوم إلا العلوم السابقة حتى لا يغدو الطفل "لجة علم" فيقول: (عندما أرى إنساناً شغفاً بحب المعارف، فأخذته فتننتها وطفق يعدو من إحداها إلى الأخرى دون أن يعرف الوقوف، يخيل إلي أني أمام طفل على شاطئ يلتقط قواقع ويحاول أن يحملها غير أنه يفتن بأخرى غيرها يراها فيقذف بالأولى ويأخذ هذه، وهكذا إلى أن تعييه كثرتها ويحار أيها يختار، فيرمى بها كلها ويرجع بخفي حنين).

وتلاحظ الباحثة أن روسو حاول التأكيد على أن التلاميذ يتعلمون ويكتسبون مختلف العلوم عن طريق تجربتهم أنفسهم وباستخدام حواسهم عن طريق الخبرة التي تعتبر وسيلة مباشرة للتعلم، وأكد على رفضه لدراسة التاريخ لأنه حشو لأذهان التلاميذ بأحداث مجردة لا يستطيعون الإحساس بها والتفاعل والتعلم من خلالها وفي هذا يتفق روسو مع التربية الحديثة التي ترفض دراسة التاريخ في

السنوات الأولى من تعليم الطفل. كما بين روسو كيفية اكتساب التلاميذ للمهن والصناعات المختلفة التي يمكنهم الاستفادة منها في حياتهم اليومية.

رابعاً: تعلم المهن والصناعات

كان هدف روسو في هذا الجانب أن ينتفع التلميذ ببديه وحواسه كما ينتفع بعقله موجهاً اهتمامه للناحية العملية لتعلم المهن المختلفة كالتجارة، والزراعة والأشغال اليدوية، والفنون الجميلة بما فيها من رسم وتصوير وموسيقى، 4 إضافة إلى الفنون الميكانيكية التي تربط الناس ببعضهم وتجعل البعض منهم نافعاً للبعض الآخر، فالناس مختلفون في درجة ذكائهم ومواهبهم فهناك من يتفوق في الحدادة، أو النجارة وهناك من يتقن الزراعة إلى غير ذلك من المهن، وروسو أراد من هذا أن يكون

التلميذ مستقلاً حراً، وأن يختار من الأعمال أفضلها كالمهنة التي تحتاج إلى دقة ومهارة وفي الوقت ذاته منشطة للجسم، 1 فإذا تمكن الطالب من تعليم الفنون الميكانيكية والزراعية استطاع أن يكتسب عيشه وأن يتعلم ما تعلمه المدرسة، 2 وهدف روسو ليس أن يكسب التلميذ أو يحترف مهنة معينة في حد ذاتها وإنما أن يعرف قيمة ما يقوم به من أعمال يدوية ويحترمها.

وترى الباحثة بأن وجهة نظر روسو صائبة بتقديره للأعمال اليدوية وما لها من فائدة للتلميذ بحيث تنمي مهاراته وتزيد من ثقته بنفسه حينما يبدع فيها، وهنا يتفق مع النظرة التربوية الحديثة التي تهتم بالجانب العملي اهتمامها بالجانب النظري. كما بين روسو طرق وأساليب التعليم التي تتبع أثناء تعليم الطفل وستذكر الباحثة فيما بعد أهم هذه الأساليب.

خامساً: أساليب التعلم

قدم روسو مجموعة من الآراء حول التعلم وأساليبه لعل أهمها ما يلي:

1_ تقسم العملية التعليمية على أساس خصائص كل مرحلة من المراحل مع مراعاة التمييز بين الأعمار ومراحل النمو المختلفة.

2_ الحواس هي أبواب المعرفة (إن القوى التي تقوى فينا هي حواسنا وإن أول شيء يجب أن نعنى به هو تربية الحواس وتهذيبها) فأفكار الطفل تنشأ عن الأشياء التي يحسها فالحواس أمهات الأفكار، لذلك يجب تمرين كل أعضاء الجسم ليتعود التفكير، وأن تمرن كل حاسة حتى يمكن الانتفاع بالذكاء وهذا يتحقق إذا كان الجسم قوياً وسليماً فالجسم السليم هو الذي يساعد العقل على التفكير، ويوضح روسو ذلك بقوله: (ليس الغرض من تمرين الحواس مجرد استعمالها، بل الوصول

إلى المعرفة والحكم السديد وقوة الشعور والإدراك والملاحظة). 5 إضافة إلى الخبرة والطبيعة التي هي مصدر من مصادر المعرفة، 6 لذا يجب الاهتمام بالحواس وتهذيبها على أن لا نعتني بحاسة ونهمل أخرى فمثلاً: لا يجب تعليم الطفل الجري والقفز والسباحة واللعب بل إعطائه الفرصة للانتفاع بعينه في الموازنة النظرية، ومعرفة الألوان والقبائح والجميل وأن يشاهد الطبيعة وجمالها

بما فيها من أشجار وأزهار وفواكه ويقدر ما فيها ويحل بنفسه كل شيء حتى يحس الجمال ويندوقه، ويرى ما يراه الشاعر أو المصور في الشيء من جمال أو قبح أو محاسن أو مساوئ، أما حاسة السمع فتربي لدى الطفل بسماعه للموسيقى والغناء والشعر، أما حاسة اللمس فيجب أن يتدرب عليها قبل غيرها بأن ندعه يلمس قطعاً متنوعة ليعرف الفرق بينها ويقوم بترتيبها وتنظيمها حسب خفتها وثقلها وبحسب نعومتها، وبعد أن ينتهي من ذلك يبين له الخطأ في الحكم على وزنها، وتتربي لديه قوة الحكم (قس، وأحسب، وزن، ووازن) أي استعمال المقاييس والإحصاء والحساب،

والوزن والموازن لتربية حواس الطفل بأن نجعله يقيس شيئاً في الحجرة ويعرف مساحته، أو يزن بعض الأشياء في يديه ليميز بين الثقيل والخفيف ويوازن بين الأشكال بعضها ببعض فمن خلال التمرين تنمو الحواس، 1 وروسو آمن بأهمية الحواس في التربية، لأن تنمية الحواس تنمية صالحة هي الأساس السليم لتنمية العقل.

ترى الباحثة أن روسو اهتم بتربية الحواس اهتماماً منقطع النظير في زمن كانت فيه الحواس مهملة، فلم يقتصر روسو على المطالبة بالانتفاع بالحواس واستعمالها، بل وضح الوسيلة التي تربي بها كل حاسة وبذلك لقيت كل حاسة من هذه الحواس حلاً طاماً من الاهتمام لما لها من أثر على نمو عقل الطفل وتفكيره.

3_نادي بعدم تلقين الطفل مفردات لغوية كثيرة، وذلك ليتمشى نموه الفكري مع نموه اللغوي فلا يقوم بترييد ألفاظ لا يفهمها. 3 تلاحظ الباحثة مراعاة روسو لقدرات الطفل العقلية وعلى استعداداته وقدراته بحيث لا تكون العملية التعليمية مجرد حشو معلومات وألفاظ في ذهن الطفل لا يمكنه فهمها أو إدراكها.

4_من الطرق التعليمية التي رفضها روسو مقارنة العمليات العقلية عند البالغ والطفل التي تجعل الأول مقياساً للثاني، بحيث يعامل الطفل معاملة البالغ العاقل.

وهذه الطريقة تجعل المربي يجبر التلاميذ الصغار على استيعاب مواد تشحن بها ذاكرتهم ما يؤدي إلى تعطيل نموهم الخلفي والعقلي فهذه المعلومات فوق مستواهم العقلي، لذا طالب روسو المعلم بالابتعاد عن حشو عقل الطفل بمواد دراسية لا تتصل بحياته ولا ببواعثه، وإنما عليه الاستفادة من البواعث الداخلية للطفل التي سماها روسو التربية الطبيعية.

5_رأى أن الرحلات والأسفار من أهم أساليب التعلم وأنها خير ما يختتم به الشاب دراسته المنظمة، 2 لأنه من شأنها أن توسع من أفقه العقلي ومن تجاربه وتزيد معرفته بالشعوب الأخرى وتغير مفاهيمه واتجاهاته نحو هذه الشعوب وتهذب أخلاقه. 3 ويقول (أنا أو من إيماناً راسخاً بأن الشخص الذي لم ير إلا شعباً واحداً لا معرفة له بالبشر. فحينما يتساءل بعضهم عن جدوى الأسفار للشبان، يجب أن يتساءلوا من باب أولى: هل يكفي للرجل حسن التربية أن يعرف موطنه فحسب أم ينبغي أن يعرف البشر عموماً). 4 وقد اتفق على أهمية الأسفار والرحلات أغلب مفكري التربية وذلك لما تمثله من أهمية للمتعلم في توسيع مداركه وتحصيله العلوم المتنوعة من البيئات المختلفة.

6_حذر المعلمين من استخدام الطريقة الشفوية وحدها أثناء التدريس موجهاً أنظارهم إلى الخبرة الحقيقية عند الطفل، فلا يقتصر التعليم عند شرح المواد العلمية على الكلام والكتب والسبورة فقط،

بل ضرورة مشاركة التلميذ في العمل وأن يدرس الظواهر الطبيعية مباشرة كلما أمكن ذلك. 5 وهنا يتفق روسو مع ماينادي به علماء التربية المحدثون.

_7 إن مصادر التعليم تتمثل في الطبيعة، الأشياء، الإنسان وإن التربية تستمد مادتها من هذه المصادر. 6 مؤيداً على ذلك بقوله: "تأتى التربية من الطبيعة أو من الناس أو من الأشياء، فنشوء خصائصنا وأعضائنا هو تربية الطبيعة وما نتعلمه للانتفاع بهذه الخصائص والأعضاء هو تربية الناس، وما نكتسبه بتجربتنا الخاصة مما يحيط بنا هو تربية الأشياء".

مؤكداً على التربية التي تعتمد على الممارسة العملية والاحتكاك المباشر بالأشياء بدل التربية القائمة على الألفاظ والتلقين، وأن كتاب الطبيعة هو ما يجب أن ينشأ على درسه الطفل قائلاً: "لا ينبغي أن يكون هناك كتاب لدى الفتى غير كتاب الدنيا من حوله ولا ينبغي أن يكون هناك تعليم أو إرشاد إلا ما تلقنه إياه الحوادث والوقائع، إن الطفل الذي يقرأ لا يفكر فهو يقرأ فحسب، إنه لا يتعلم حقاً بل هو يحفظ ألفاظاً فحسب". (وكما يقول مونتاني، * العلم عن طريق الحفظ ليس بعلم). وهنا فإن روسو قد رفض كل ما هو غير مباشر في تعليم الطفل.

_8 رفض روسو اتباع الطريقة الإخبارية فالتعليم الحق هو (تعليم النفس بالنفس) قائلاً: (إنى لا أحب كثرة الشرح والتفسير في تلك الخطب الطويلة التي تقال لأطفال صغار لا ينتبهون إليها إلا قليلاً ولا يفهمون منها إلا يسيراً، فعليكم بذوات الأشياء، وإنني مازلت أكرر وأكرر بأننا نعلق أهمية كبيرة في التعليم على الألفاظ وكثرة الكلام والثرثرة).

_9 أن تكون الأهداف التي تسعى التربية لتحقيقها والطرق والأساليب المتبعة لتحقيق هذه الأهداف والمناهج والخبرات المقترحة مناسبة لمرحلة النمو التي يمر بها الطفل. 5 وهنا يتفق روسو مع التربية المعاصرة.

_10 يكون لكل تلميذ معلم خاص به 6 وهو بهذا اهتم بالتعليم الفردي واهمل التعليم الجماعي. وهذا رأي يصعب الأخذ به فكيف يمكن ان يكرس المعلم كامل وقته لتلميذ واحد طيلة سنوات عدة.

_11 أن مرحلة الطفولة لها مميزاتها وخواصها، لذا لفت روسو أنظار المعلمين إلى طبيعة الطفل وضرورة أن يكون النشاط الذي يمارسه والمادة التي يدرسها متناسبة مع أطوار نموه. 7 وتشير الباحثة إلى أن روسو أراد أن يحسن المعلم اختيار المادة الدراسية لتكون مناسبة للطفل ولمستواه ومتوافقة مع ميوله لتكون وقدراته العملية التعليمية أكثر فائدة ونفعاً.

_12 الغاية من التربية عند روسو هي تهذيب قوى الطفل العقلية لا حشو رأسه بالمعلومات موجهاً بذلك اهتمام التربية من المواد والمعارف إلى الطفل نفسه، فالتربية لا تقتصر على ترويض الفكر

وتتميته فقط بل تهدف أيضا إلى تهذيب الأخلاق ولا تهتم بتلقين المعلومات فقط إنما تهدف إلى صقل فكر الطفل وتهذيب وجدانه وأخلاقه، وفي هذا يقول مونتاني: (إن الفكر المصقول خير من الفكر المشحون).

إضافة إلى هذه الأساليب التعليمية هناك مواصفات يجب أن يتحلى بها المعلم ووظائف يقوم بها وسوف تذكر الباحثة أهم هذه الصفات والوظائف.

سادساً: مواصفات المعلم ووظائفه

اهتم روسو بطبيعة المربي وسماته النفسية والاجتماعية واعتبره قدوة صالحة للطفل يأخذ عنه العادات الخلقية الصالحة ويغرس في نفسه المحبة والرحمة، 3 وقد اشترط في شخصية المعلم مواصفات منها:

1_ أن يكون شاباً حكيماً وأن تكون الصلة بينه وبين الطالب قوية، ولا يكون فارق السن كبيراً بينهما، 4 ويقول روسو: إنني أخالف الرأي الشائع وأقول بوجود أن يكون مربي الولد شاباً. فمن الشباب من هم حكماء، كما أود أن يكون المربي رفيقاً لمن يعلمه ويربيه وموضع ثقته ورفيق عمره وشريك لعبه ولهوه، بل إنني أرى أن تبدأ تربية الولد قبل أن يولد، وكما قال أرسطو مرة أن من يربي الأولاد أجدر بالاحترام والتقدير ممن أنجبوهم.

2_ أن يتصف بالعادات والأخلاق الصالحة ليكون قدوة صالحة للطفل، ويثير فيه عواطف الرحمة والحنان والمحبة.

أما وظائف المعلم فهي:

1_ أن يقوم المعلم بتوجيه وتشجيع الطفل على أن يربي نفسه بنفسه انطلاقاً من تجاربه الذاتية بمعنى أن يكون المعلم مرشداً فقط.

2_ إن وظيفة المعلم هي تعليم الطفل علماً واحداً فقط ولا يسمح له بتعلم غيره. وهذا رأى لا يتمشى مع التربية الحديثة التي تؤكد على تنوع العلوم وربما كان روسو قاصداً من وراء ذلك عدم اشغال ذهن الطفل بعدة معارف فيبتعد عن التجربة والاحتكاك المباشر بالطبيعة والذي هو هدف روسو من التربية.

3_ عدم التسرع في الحكم على الأطفال أو التمييز بينهم، بمعنى أطفال أغبياء، وأطفال أنكباء، لأن هذا الحكم كثير ما يكون غير صائب، 2 مؤكداً ذلك بقوله: "إن كثيراً من الأطفال الأغبياء يصبحون مع الزمن رجلاً لا أسوياء... وإنه من أصعب الأمور حقاً أن تميز بين الغباء الحقيقي والغباء

الظاهري الذي يدل على قوة الطبع والشخصية لذا أنصح ألا تتسرعوا بالحكم للطفل أو عليه ودعوا الحالات الخارقة تثبت نفسها بنفسها".

4_ ينهي المعلم عن استعمال الرمز أو الإشارة في التعلم إذا أمكن استعمال الشيء ذاته، حيث قال: "إنني أؤكد أن الرموز لا قيمة لتعليمها أصلاً في أي نوع من أنواع الدراسة من غير المعاني والأفكار التي تدل عليها تلك الرموز فما جدوى أن نسجل في رؤوسهم رموزاً لا تعني في نظرهم شيئاً". 4

5_ أن لا يبذل مجهوداً في التخاطب والتحدث، ولا يتسرع في تعليمهم اللغة والكلام لأنهم يكتسبونه بالمحاكاة والتدرج، بمعنى الانتقال من المادي المحسوس إلى المعنوي المجرد.

6_ معاملة الطفل كطفل لا كرجل قائلاً: (دعو الطفولة تنضج في الطفل) بمعنى ألا نفرض عليهم حياة الراشدين وأفكارهم. "وقد تأثر به بياجيه الذي قال: إن تفكير الطفل يختلف عن تفكير الراشد، فتفكير الطفل يكون خيالياً يعتمد على الصور أكثر من اعتماده على المعاني ثم تزداد قدرة الطفل على التفكير تدريجياً".

7_ من واجبات المعلم تهيئة الجو الأخلاقي المناسب الذي يجنب الطفل اكتساب الشرور والذائل ويحميه من رفاق السوء، لأنه يتشرب الرذيلة من اختلاطه بهم.

8_ يجب أن لا يتسرع المعلم في العملية التربوية لكي يعطى الطبيعة وقتاً تؤدي فيه مهمتها وتقوم بعملها قبل أن يتدخل المعلم في أعمالها، 3 ويؤكد روسو ذلك بقوله: "امنح الطبيعة الفرصة كي تعمل عملها بهدوء تام ولا تفسدها بتدخلك المتسرع. إنك قد تحتج بأنك تعرف قيمة الوقت وتخشى أن تضيعه هدرًا، ولكنك تتناسى أنك تهدر الوقت بتدخلك وإساءتك استعماله، أكثر مما تهدره بعدم التدخل وتركه يمر وأنت ساكن".

9_ أن يكون شاهداً محايداً للطفل يلاحظ ويقوم بالتوجيه فقط، وأن يتجنب استهواءه أو الإيحاء إليه بالمثل العليا والأفكار أو نظريات الأخلاق، فهي أمور يبحثها الطفل بنفسه حينما يتعلمها، فتربيته نمو طبيعي لميوله ودوافعه لا نتيجة مجهود صناعي يفرضه عليه المعلم. 5 وروسو أول من نادى بأن تكون التربية سلبية من جانب المعلم، بمعنى أن يكون مرشداً. 6 وترى الباحثة أن راي روسو يلتقي في اعماقه مع أحداث الاتجاهات التربوية والتي تجعل من المعلم مرشداً وموجهاً وتترك قيادة العملية التربوية للطلاب أنفسهم كما في سائر طرائق التعليم الذاتي.

10_ أن يحسن المعلم اختيار المادة التي يدرسها بحيث تكون مشوقة ومفيدة للتلاميذ في حياتهم العملية ومناسبة لمستواهم وميولهم ومتصلة بالعالم الذي يعيشون فيه. 7 بمعنى تهيئة الظروف

المناسبة ليقوم التلاميذ بالعمل المرغوب فيه فلا يكفي أن يطلب المعلم من التلاميذ الذهاب إلى المكتبة والإطلاع على الكتب بل أن يخلق عندهم رغبة الاكتشاف والإطلاع على الكتب بتقديم ما يثير اهتمامهم من الموضوعات مستعيناً في ذلك بما لديهم من تنافس وحب للثناء وهذه الطريقة أكثر فائدة في التعلم. I إلى جانب اهتمام روسو كذلك بمبدأ هام من المبادئ التربوية التي تخص الطفل وهو مبدأ الثواب والعقاب الذي جاء فيه روسو بآراء جعلته منفرداً ومتميزاً عن غيره.

سابعاً: الثواب والعقاب

كان لما لحق روسو في طفولته أثر سيئ في نفسه استمر معه مدى الحياة ويصرح قائلاً: "إني كلما سمعت أو قرأت شيئاً عن الظلم في المعاملة أو الحكم أو معاقبة الأبرياء وتبرئة المذنبين تذكرت ما لحقني من العقاب ظلاماً وعدواناً". لذلك طالب روسو بعدم فرض أي أوامر على الطفل أو استعمال أسلوب الضغط أو القسر بل وضع الثقة في غرائزه الطبيعية لكي تنمو في نفسه العواطف والأفكار والاتجاهات السليمة.

إن الطفل لا يجب أن يعاقب على ذنب جناه قبل أن يعرف أو يدرك معنى الخطأ. 3 وإذا أردنا معاقبته نلجأ إلى مذهب الجزاء الطبيعي بمعنى إذا قام الطفل بسلوك معين يترك ليعاني جزاء خبرته من ثواب أو عقاب فإذا وضع يده في النار فلا داعي إلى رده أو زجره لأن الجزاء الطبيعي في مثل هذه الحالة هو إحساسه بلسع النار وتألمه منها وهذا يكسبه خبرة جديدة 4. وبالمثل إذا أبطأ في ارتداء ملابسه للذهاب في نزهة يعاقب بتركه في المنزل، وإذا كسر زجاج النافذة يترك في البرد بمعنى أن تربية الطفل تكون حسب قوانين الطبيعة 5 وروسو يؤكد على فكرة الجزاء الطبيعي ويقول: لا تضعوا أمام إرادته الطائشة إلا عقوبات مادية أو عقوبات ناتجة من أفعاله نفسها بحيث يتذكرها كلما جاءت مناسبتها. فالتجربة أو العجز هما القانون الوحيد الذي يجب أن يشعر به الطفل، وأضنني قلت ما فيه الكفاية للإفصاح عن دعوتي ألا يصب على الأطفال عقاب من حيث هو عقاب، بل يجب أن يحدث العقاب لهم كما لو كان نتيجة طبيعية لسوء فعلهم.

ومن هذا كله أراد روسو أن يقلل بقدر المستطاع من الأوامر والنواهي التي يتلقاها من الكبار لما فيها من أضرار لاستعدادات ومواهب وميول الطفل، وقد تشابه معه في العقوبة الطبيعية هاربرت سبنسر* بحيث تكون العقوبة نتيجة طبيعية للذنب).

وراي روسو في العقاب الطبيعي برأي الباحثة لا يمكن التسليم به في جميع الأحوال فالطفل الذي يترك ليتسلق الشجرة قد تعاقبه الطبيعة عقاباً صارماً بكسر رقبتة وهذا عقاب لايناسب الذنب.

ويكمن القول أن روسو قد اختلف بفكرة الجزاء الطبيعي عن كثير من المفكرين، ومع ذلك فقد قدم

أفكاراً وآراء تربوية كان له "الفضل في أبرزها نظرياً فقط كمبدأ الحرية، ومبدأ احترام فردية الطفل، وتربية الحواس، ويرجع الفضل إلى منتسوري التي قامت بتجميعها وربطها ببعضها نظرياً وعملياً وتطبيقياً فقدمت بهذا طريقة وتجربة متطورة في التربية".

نشاط

وضح كيف يمكنك الاستفادة من الآراء التربوية لأحد المفكرين في حياتك المهنية



الفصل الثالث
المقارنة بين الآراء التربوية للمربين

الفصل الثالث

المقارنة بين الآراء التربوية للمربين

تمهيد

ازدهرت الحضارة العربية في المشرق والمغرب وكان المجتمع العربي الإسلامي يأخذ ويعطى حضارياً وثقافياً، فقد أخذ من الفرس واليونان ما شاء من حضارتهم فنشأت بذلك حضارة عربية إسلامية، أصبحت من مفاخر التاريخ وأعطت الغرب ما شاء من هذه الحضارة بلا تكبير أو غرور.

إن العرب المسلمين كانوا على إطلاع بفكر وثقافة الشعوب الأخرى وخاصة الفكر اليوناني الذي شق طريقة إلى الفكر الإسلامي من خلال التراجم العربية لفلسفة الإغريق وتقبل المسلمون منهم ما لا يتعارض مع أصول دينهم، 2 فتكونت لديهم فلسفة تربوية إسلامية ونظام تربوي من شأنه توجيه الناس للحياة في مجتمع جديد.

ارتكزت هذه الفلسفة على القرآن الكريم أرضية لأفكارها التربوية ضمن الأطار العام للفلسفة الإسلامية، التي استمدت عناصرها من مصادر الفلسفة الإغريقية والهندية والفارسية وغير ذلك من الحضارات القديمة، وظهرت من كل ذلك بشكل متميز وجديد للثقافة العربية الإسلامية، يناسب ويلائم العناصر الوافدة على الإسلام من فرس وترك وروم حيث انصهر الجميع تحت رايته 3.

لقد كان المسلمون حلقة وصل بين التراث القديم والحضارة الحديثة، حيث اهتموا بالتراث الفكري الذي تركه الإغريق والرومان وحافظوا عليه، كما حللوا وفهموا كل ما جاءت به الحضارات السابقة وغيرها بعد أن ناقشوها، فأضافوا إليها ابتكارات جديدة لتصبح حضارة ذات أصول وجذور ثابتة، وبذلك تمكن المسلمون من الاستفادة من علوم السابقين واستطاعوا الوصول إلى الحقائق والابتكارات العلمية ، فأصبحوا بذلك من كبار العلماء الذين ذاع صيتهم وفاقته شهرتهم الأفاق.

إن هذا الأمر كان دافعا قويا لدى أوروبا لترسل بأبنائها إلى جامعات الشرق الإسلامي وتتهل من تراثه وتأخذ بكل ما توصل إليه المسلمون وتبنى مدارسها وجامعاتها وتعليمها العام ونهضتها، حتى تصل إلى ما وصلت إليه من علم وتقدم مستعينة بأبحاث العلماء المسلمين، من أمثال ابن سينا وابن رشد والفارابي وابن خلدون مستندة بالنظم التربوية التي كانت عند المسلمين، وبالكتب والمناهج التي طبقتها هذه النظم وتألقت وأبدع فيها هؤلاء العلماء المسلمون.

فلا أحد من المربين يستطيع أن ينكر بأن التربية الإسلامية هي الأساس المتين لحضارة المسلمين، وأن المثل العليا في تلك التربية تتفق مع الاتجاهات الحديثة، حيث أشاد الإسلام بالعلم والعلماء

وسما بالعلم إلى درجة العبادة واهتم بجميع أنواع التربية الروحية والدينية والخلقية ونادى بالحرية وما قامت حضارة الغرب الحالية والإنجازات العلمية الهائلة إلا على أنقاض الحضارة الإسلامية. 2 بل إن التربية الإسلامية بمظاهرها المختلفة قد أثرت بدرجة كبيرة في الحضارات الأخرى غربية وشرقية، فأثرها لم يقتصر على نقل التراث العربي الإسلامي والعلوم العربية الإسلامية إلى الدول الأخرى فحسب، وإنما كانت التربية الإسلامية نفسها كنظم ومؤسسات تعليمية وطريقة تدريس كانت هي أيضاً مؤثرة في النظم والمؤسسات التعليمية في المجتمعات المختلفة، ويرى كثيرون حتى من الغربيين أنفسهم، أن التعليم عند المسلمين في العصور الوسطى كان منتشراً بدرجة كبيرة

بحيث كانت هناك نسبة عظيمة من الناس تحسن القراءة والكتابة وهو شيء لم تعرفه أوروبا في ذلك الزمن، وعرف نظام الجامعات في التعليم الإسلامي قبل أن يعرف في أوروبا ثم أخذته أوروبا عن المسلمين نظاماً ومحتوى وطريقة.

وعلى أي حال فإن التربية الإسلامية قد سبقت الغرب في كثير من الأمور التي قد تتصور للبعض أنها أفكار جاء بها فلاسفة ومفكرو الغرب، منها على سبيل المثال، مدى عنايتها واهتمامها بالطفل منذ لحظة ولادته باعتباره كائناً حياً له الحق في النمو نمواً طبيعياً، وحق له في الحرية وفي اللعب، إلى جانب اهتمامها بدور وأهمية القدوة الحسنة خاصة في مرحلة الطفولة، إضافة إلى جماعة الأقران وما يمثلونه من تأثير على شخصية الطفل وعلى أخلاقه فأكدت على أن يكونوا من

ذوي الأدب والخلق لأنه يقتدي بهم في سلوكهم، وكذلك مراعاة التربية الإسلامية للفروق الفردية والقدرات العقلية بين الأفراد، واحترام شخصية الطفل واستقلالته والتأكيد على معاملته بكل لطف ولين إلى غير ذلك، من المواضيع التي اهتمت بها التربية الإسلامية والتي تخص الطفل، وتهدف إلى تنشئته التنشئة الدينية والاجتماعية الصالحة من أجل إعداد حياة أفضل من جميع نواحيه العقلية والخلقية والجسمية.

وسوف تحاول الباحثة في الصفحات التالية القيام بعقد مقارنة بين أهم ما جاء به بعض المربين أمثال (ابن سينا، ابن خلدون، جان روسو، منتسوري) من أفكار وآراء تربوية وذلك لتوضيح أوجه الشبه والاختلاف بين هذه الآراء والأفكار والبداية سوف تكون مع من كان لهم الأولوية في تقديم آرائهم حول تربية الطفل من المربين المسلمين، الذين مثلهم في هذه الدراسة كل من (ابن سينا وابن خلدون) وذلك بغية الكشف عن مدى اتفاقهما في الكثير من الأمور التربوية التي تخص الطفل خاصة وطالب العلم عامة بل المبادئ والأسس التربوية التي تتسجم وتتماشى مع ما تنادى به التربية الحديثة.

أولاً: أوجه التشابه بين آراء ابن سينا وابن خلدون

على الرغم من أن ابن سينا وابن خلدون قد عاشا في عصرين مختلفين إلا أن ذلك لم يمنع من اتفاقهما في بعض الأفكار والآراء منها:

1_ إن غرض التربية هو تحقيق الهدف الديني والديني وهو الغرض الأساسي في التربية الإسلامية.

2_ فكروهما التربوي يركز على دراسة المنهج الديني نتيجة لطبيعة المجتمع الإسلامي الذي عاش فيه كل منهما ما انعكس على أفكارهما.

3_ الأهتمام بالأخلاق لدى المعلم والمتعلم متبعين في ذلك نهج التربية الإسلامية وقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

4_ التأكيد على التعليم منذ الصغر ليكون أشد رسوخاً في نفوس الأطفال وأسرع في العمل على بناء شخصياتهم.

5_ العناية بجانب اللعب وما يمثله من أهمية في حياة الطفل وكان اللعب من أجل اللعب وليس من أجل التربية.

6_ الأهتمام بدور الأسرة والبيئة والأقران في التربية.

7_ وضع أهداف لبعض المواد التعليمية التي يتعلمها الطفل.

8_ العناية بأهمية القدوة الحسنة في تعليم الطفل الأخلاق الحميدة باعتبار الطفل يتأثر بالتقاليد والمحاكاة أكثر مما يتأثر بالنصح والإرشاد.

9_ أوليا عناية خاصة بالعملية التعليمية، لذا وضعا أساليب تعليمية متنوعة لتعليم المتعلم بأفضل الوسائل.

10_ التحريض على التدرج في التعليم والبدء بالسهل الخفيف إلى ما هو أصعب.

11_ تفضيل التعليم الجماعي على التعليم الفردي.

12_ ضرورة توفر صفات ومهارات في المعلم ليكون قادراً على إتقان عمله كالإمام بفن التدريس والقدرة عليه.

13_ مراعاة القدرات العقلية للمتعلمين وميولهم واتجاهاتهم.

14_ كان تعلم الكتابة والقراءة عند ابن سينا وابن خلدون يسير جنباً إلى جنب مع تعلم الصبي للقران ومعالم الدين.

_ 15 مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين لأن كل متعلم يكتسب تعليمه وفق قدراته الشخصية وعلى المعلم مراعاة ذلك، وفي تقديرهم لهذا الأمر اقتداء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم).

_ 16 أدراك عيوب بعض المعلمين والمتمثلة في جهلهم لطرق وأساليب التعليم المختلفة.

_ 17 المناداة بأهمية التخصص والتوجيه المهني حسب الميول والقدرات التي لدى المتعلم بحيث يختار ما يناسبه من المهن. وهذا ما تدعو إليه التربية الحديثة.

_ 18 إن الإنسان ليس خيراً أو شريراً وإنما يكتسب تصرفاته وسلوكياته من بيئته.

إن وجهة نظر ابن سينا وابن خلدون تعبر إلى حد كبير عن "وجهة النظر التربوية التي تؤكد أن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء لا أثر فيها لأي شيء فالعقل لا أثر فيه للمعرفة ما لم يتلقاها عن طريق التجربة وعن طريق البيئة (الأسرة) والتربية والتعليم (المعلم)".

_ 19 بما أن الطفل يولد ونفسه صفحة بيضاء وتكون شديدة التأثر بما حولها لأنه سريع المحاكاة والتقليد لكل ما يحيط به، لذا اهتمما بأثر التقليد والمحاكاة في نفسية الطفل فكانت من ضمن آرائهم التربوية.

_ 20 الدعوة لتقوية الصلة والمعاملة الطيبة بين المعلم والمتعلم وما دعا إليه ابن سينا وابن خلدون هو صلب اتجاهات التربية الحديثة.

_ 21 أن يكون المعلم مثلاً صالحاً وقدوة حسنة لتلاميذه في كل شيء.

_ 22 التأكيد على اتباع الرفق واللطف بالمتعلم.

_ 23 أوليا اهتماماً بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية ليكتسب المتعلم فنون القراءة والكتابة لأنهما وسيلتان لتحصيل العلم والمعرفة، إلى جانب عنايتهما بتعلم الشعر والموسيقى.

_ 24 الهدف من التربية هو إعداد الفرد دينياً وخلقياً واجتماعياً ومهنياً.

_ 25 اتخاذ أسلوب الترغيب والترهيب في العقاب داعين إلى معاملة الأطفال بالرحمة وتهذيبهم باللين والتفاهم.

لعل ما سبق كان من أهم النقاط التي تشابه فيها كل من ابن سينا وابن خلدون هذا التشابه الذي يرجع في أصله إلى تأثرهم بالعصر الذي عاشوا فيه وإلى نزعتهم الدينية وتشربهما واتباعهما لمنهج التربية الإسلامية، مستسقين علومهم من القرآن الكريم والسنة النبوية موجّهين عنايتهم إلى تربية

الطفل خلقياً وضرورة وجود القدوة الحسنة الصالحة التي توجه وتهدى سلوكه ليتصف بأحسن الأخلاق وهذا ما يدعو إليه ديننا الحنيف، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً) رواه الترمذي.

فالتربية الخلقية في الإسلام تستهدف بناء إنسان على خلق حسن وبناء مجتمع فاضل تسوده القيم الشريفة، وهذا بالفعل ما دعا إليه ابن سينا وابن خلدون لتأثرهما الشديد بالإسلام ومبادئه وبتحريضهم الدائم على الاهتمام بالتربية الخلقية لأجل تكوين رجال كريمي الأخلاق، مهذبين في أقوالهم وأفعالهم، نبلاء في تصرفاتهم وخلقهم، لذا ترى الباحثة أن يضع المربي نصب عينيه ضرورة العمل على تحقيق هذه الأهداف في التربية الحاضرة، ولا يمكن تحقيق هذه الأهداف إلا إذا كانت هناك فلسفة تربوية مشتقة من تراثنا الإسلامي الخالد فمن خلال هذه الفلسفة يمكن أن نصوغ الأهداف ونسعى إلى تحقيقها.

كما اهتما بالدور الذي تؤديه الأسرة والبيئة في التربية وما تمثله من أهمية في تشكيل سلوك الطفل، إلى جانب عنايتهما بالجانب التعليمي ليتم التعليم فيه بأفضل الوسائل، التي من شأنها مساعدة المتعلم على الاستفادة من كل ما يقدم له من علوم متنوعة.

هذا وقد أدرك ابن سينا وابن خلدون عيوب التعليم وأوضاعه في عصرهما وهذا بدوره دفعهما إلى وضع عدة اقتراحات لتفادي هذه العيوب والنهوض بالمستوى التعليمي آنذاك، فكان المعلم هو نقطة البداية باعتباره المسؤول عن تلاميذه، لذا اشترط كلاهما ضرورة أن يتسم المعلم بسمات معينة وأن يعد إعداداً مناسباً يتوافق مع ما يقوم به من مهام، وباهتمام المربين المسلمين بالمعلم وبدوره الهام في العملية التعليمية، يكون قد اكتسب منزلة رفيعة في الفكر التربوي الإسلامي فهو مرب لأبناء جيله قبل أن يكون معلماً لفنون علمه. وإن لم يقدم كل من ابن سينا وابن خلدون خطة واضحة أو منهجاً لإعداد المعلمين لمهنة التدريس فإنهما قدما النصائح والمبادئ التربوية التي دعا المعلمين أن يأخذوا بها ليكونوا قادرين على أداء مهنتهم وناجحين في عملهم ومن أهمها:

معرفة خصائص نمو التلاميذ عقلياً وجسماً، ومعرفة الفروق الفردية بينهم وكذلك معرفة مدى استعدادهم لتلقى العلوم، وطرق التدريس الصحيحة ومراعاة ذلك كله عند القيام بالتعليم، إضافة إلى ذلك ينبغي أن يكون المعلم ملماً بمادته العلمية التي بين يديه متمكناً منها ومتعمقاً فيها حتى يتمكن من تقديم ما هو أفضل لتلاميذه.

ومع ذلك فإن ما جاء به كل من ابن سينا وابن خلدون كالاهتمام بالتربية الخلقية وضرورة وجود القدوة الحسنة في حياة الطفل، ومراعاة القدرات العقلية للمتعلمين والتدرج في تعليمهم، إضافة إلى الاهتمام بأقطاب العملية التعليمية ككل إلى غير ذلك من الأمور التي تطرق إليها كل من ابن سينا

وابن خلدون ولقيت حظاً وافراً من اهتمامهما، تؤيده التربية الحديثة وتنادى به.

وجملة القول إن التربية الحديثة قد امتازت بكثير من ميزات التربية الإسلامية وأن كلاً من ابن سينا وابن خلدون يعدان من بين المربين المسلمين الذين سلكوا منهج التربية الإسلامية في تربية الطفل فأضاف كل منهما إليها أفكاراً أسهمت في إثرائها والنهوض بها.

إن ما أضافه ابن سينا وابن خلدون بفكرهما وآرائهما التي امتازا بها يعد بعداً جديداً للمفاهيم التربوية جعلتهما محط أنظار العلماء والمفكرين سواء أكانوا من المفكرين المسلمين أو الغربيين الذين جاءوا بعدهم. وهذا دليل واضح على أن العلماء المسلمين كان لهم شأن كبير في مجال التربية ودور مهم في إثراء الفكر التربوي.

ثانياً: أوجه الاختلاف بين آراء ابن سينا وابن خلدون رغم التشابه الذي ظهر في الأفكار التي نادى بها ابن سينا وابن خلدون إلا أن هذا لا يعنى عدم وجود بعض الاختلافات التربوية في أفكارهما التي فرضت نفسها بسبب اختلاف العصر الذي عاشا فيه، واختلاف الظروف السياسية والاجتماعية في تلك الحقبة الزمنية، إضافة إلى تنوع ازدهار النهضة العلمية ومن بين أوجه الاختلاف:

1- أسلوب التدريس أو طريقة التدريس عند ابن سينا اعتمدت في البداية على الحفظ وفي النهاية تأتي طريقة المناقشة والمحاورة، بينما رفض ابن خلدون طريقة الحفظ والتسميع وأكد على اتباع طريقة المناقشة والمحاورة في التعليم.

2- دعا ابن خلدون إلى عدم خلط علمين في وقت واحد على المتعلم وبضرورة الاتصال في مجالس العلم ولم يتطرق ابن سينا إلى مثل ذلك في التعليم.

3- أعطى ابن سينا تعليم الشعر جانباً هاماً من غايته واعتبره وسيلة من وسائل التربية الخلقية، في حين لم يعطه ابن خلدون تلك الأهمية.

4- أكد ابن سينا على أهمية الرياضة وضرورتها في كل الأعمار ولكل المراحل التعليمية ولم يركز عليها ابن خلدون كل هذا التركيز.

5- نظر ابن خلدون إلى التعليم على أنه من أهم الصناعات ومن أشرف المهن ولذلك فهو يحتاج إلى إعداد وتدريب خاص، وهذا ما لم يشر إليه ابن سينا الذي اعتبر أي صناعة أوحرفة نوع من التعليم تحتاج إلى تدريب وإعداد.

6- على الرغم من تشابه ابن سينا وابن خلدون في تقسيم العلوم إلى نظرية وعملية إلا أن اهتمام ابن سينا لم يبلغ اهتمام ابن خلدون الذي قام بتصنيفها.

7- تميز ابن خلدون بمبدأ التكرارات الثلاثة في عملية التعليم ففي المرحلة الأولى يكون التعليم إجمالياً، وفي المرحلة الثانية تفصيلاً وفي الثالثة تعمقياً، وهو رأى تميز وانفرد به ابن خلدون عن غيره بمن فيهم ابن سينا وهنا تلاحظ الباحثة مراعاة ابن خلدون لقدرات الطفل العقلية في استيعاب العلوم.

8- انفرد ابن خلدون برأى تربوي هام يتمثل في رفضه اختصار الكتب التي تؤدي إلى خلل في التعليم. وهي من الإشارات التربوية المهمة التي أشار إليها والتي رفضتها التربية الحديثة ولم يشر إليها ابن سينا.

9- أولى ابن سينا اهتمامه برواية القصص الدينية باعتبارها وسيلة تربوية فعالة في تنمية القيم وتمثل دوراً بارزاً في حياة الطفل. وهذه الناحية لم يهتم بها ابن خلدون.

10- أكد ابن خلدون على اتباع الرحلات والأسفار باعتبارهما وسيلة تعليمية لها مردودها الإيجابي على المتعلم تتمثل في زيادة معرفته واكتسابه الخبرة والتجربة بشكل مباشر وهي نظرة تقدمية لابن خلدون، والإسلام قد حث على طلب العلم واعتبره جهاداً في سبيل الله، ولكن ابن سينا لم يتحدث عن هذا الموضوع.

11- انفرد ابن سينا برأى جديد في التربية لم يسبقه إليه أحد من المربين المسلمين ألا وهو ضرورة مساندة ميول الصبي نحو المهن التي يرغب بها ويميل إليها وهو رأى من الآراء الحديثة في التربية.

12- تنوعت وتعددت أساليب التعليم عند ابن خلدون ولم تكن بالمثل عند ابن سينا لأن عصر ابن خلدون عرف تراجع فكري وثقافي فكان ذلك سبباً لفتح ابواب الجهل والتخلف الأمر الذي دفع ابن خلدون إلى التأكيد على ضرورة التنوع في وسائل التعليم.

13- كانت الإشارة والتعبير والإيحاء من الوسائل التعليمية التي أكد عليها ابن سينا بينما فضل ابن خلدون الاعتماد على الأمثلة الحسية في تفهيم التلاميذ.

وبذلك يمكن القول إن ابن سينا كان متميزاً بكل ما قدمه من أفكار كانت لها قيمتها التربوية والتعليمية ووزنها فيما يخص جانب الطفولة التي لا يمكن تجاهلها.

لقد كانت هذه الأفكار نتيجة طبيعية لعوامل وظروف مر بها ابن سينا امتزجت مع بعضها البعض فكانت ثماراً ناضجة ورؤية تقدمية اتصفت بها أفكاره وآراءه. وفي كل الأحوال فإن ما أوضحه ابن سينا من هذه الآراء تعود إلى فطنته ورجاحة عقله إلى جانب ما تميز به من عبقرية وذكاء في استيعاب ودراسة وتحليل علوم السابقين وفلسفتهم ومعارفهم، وعصر عاشه ابن سينا شهد أكبر نهضة علمية وثقافية شاهدها العالم الإسلامي، وهو بذلك قدم آراء تربوية وتعليمية تميزت بالوضوح

والواقعية وعبرت بصدق عما يتطلبه عصره وما كان يطمح إليه.

ويمثل ما تميز به ابن سينا من إبداع وتقدم، كذلك تميز به ابن خلدون بل انفرد بآراء تربوية متطورة، لازالت حتى هذا الوقت لها مكانتها الخاصة بين النظريات التربوية التي يتم الأخذ بها، وإن كان من الغريب أن يظهر ابن خلدون عبقريته وذكائه وحكمه الصائب والمنطقي في عصر طغت فيه الفتن والاضطرابات السياسية على كل شيء، ولربما كان هذا سبباً من أسباب عبقريته فما قد مر به من تجارب في حياته السياسية والاجتماعية، وركود في الناحية الفكرية والثقافية في ذلك العصر، إضافة إلى ولعه بالسفر والانتقال بين البلدان شرقها وغربها، ومن ثم الاختلاط والتعرف على مختلف الشعوب، كل تلك الظروف والأسباب كانت دافعاً قوياً لنبوغه وشهرته، هذه العبقرية التي عرف وتألقت بها ابن خلدون ليس فقط فيما قدمه في الجانبين التربوي والتعليمي بل في كافة الجوانب التي تناولها وأبدع فيها المفكر ابن خلدون.

وبذلك يمكن القول إن لابن خلدون فكر تربوي يتفق مع نظريته للمجتمع نابغاً من أسس الإسلام وتعاليمه ومحققاً لمبادئه، وفي الوقت ذاته تضمن هذا الفكر التربوي آراء ومبادئ تتفق مع الكثير من المبادئ التي جاءت بها التربية الحديثة وتقف على قدم المساواة إلى جانب النظريات الحديثة التي جاء بها علماء التربية الغربية بل تفوقها في أنها سبقتها وبقرن طويلة.

ومجمل القول أن كلاً من ابن سينا وابن خلدون قد تأثرا في أفكارهما ومعتقداتهما بمجتمعهم العربي الإسلامي الذي عاشا فيه، الذي انبثقت منه رؤيتهما وأفكارهما التربوية فجاءت مصطبغة بالصبغة الإسلامية، ومن المعروف عادة أن أفكار أي عالم أو فيلسوف تأتي انعكاساً وصورة للمجتمع الذي عاش فيه، إضافة إلى الأمور الأخرى الهامة التي كان لها أثر في أفكارهما كحفظهما للقرآن الكريم

في سن مبكرة، واطلاعهما على أمهات الكتب في مختلف العلوم، و تعليهما على أيدي كبار العلماء، ومما لا شك فيه أن الفكر التربوي عند ابن سينا وابن خلدون كان وليد ظروف مجتمعة ومختلفة دينية وثقافية واجتماعية وسياسية امتاز بها عصر كل منهما.

لعل ما ذكر سابقاً كان من أهم المحاور والنقاط التي اشترك فيها كل من ابن سينا وابن خلدون، فكانت أوجه اتفاقهما أكثر وضوحاً و أكثر عدداً من أوجه اختلافهما والسؤال الذي بحاجة إلى إجابة وتوضيح هنا هو: إلى أي مدى أثرت آراء وأفكار ابن سينا في رأى وفكر ابن خلدون وأين يتضح هذا التأثير؟

والباحثة ستحاول في الصفحات التالية التمعن في ما قدمه ابن سينا في مجال التربية والتعليم وأثر بشكل أو بآخر على الرؤية التربوية لابن خلدون.

مدى التأثير والتأثر بين ابن سينا وابن خلدون:

إن منطلق ابن سينا وابن خلدون الفكري كان أساسه قوياً مبنياً على مبادئ الدين الإسلامي والسنة النبوية، فالمنهج الإسلامي يدعو إلى الاهتمام بتربية الطفل وشخصيته وتهذيب خلقه وإعداده إعداداً صحيحاً من كافة نواحيه الجسمية والعقلية والخلقية، وهذه المرحلة لا يمكن الوصول إليها إلا إذا أخذ الطفل جانباً كبيراً من الاهتمام من قبل كل من يحيطون به.

ومدى تأثر ابن سينا وابن خلدون بمبادئ التربية الإسلامية يبدو واضحاً في تركيزهما وحثهما على عليم القرآن الكريم، الذي يعد هدفاً من أهداف المجتمع الإسلامي الذي يعمل دوماً على تحقيقه، لذا كان الاهتمام الأكبر والأهم موجهاً للعلوم الدينية كالاهتمام بالجانب الخلقى لما يمثله من أهمية في حياة الطفل حاضراً ومستقبلاً. حيث تعد الأخلاق من أهم الأهداف التي تسعى التربية العربية الإسلامية إلى تحقيقها في تنشئة الطفل، وتظهر أهمية هذا الهدف بوضوح في آيات وأحاديث تحت المسلم على التحلي بالصفات الحسنة والخلق الكريم، منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) رواه الترمذي.

وقد تنوعت أساليب التربية الإسلامية مع تطور المجتمع العربي الإسلامي وتطور ما به من مؤسسات تربوية كانت ولا زالت تسعى إلى غرس القيم الفاضلة في نفس الطفل المسلم، لإبعاده بالقدر الكافي عن الخطأ وعن أقران السوء وتجنبه في الوقت ذاته الوقوع في الانحراف، وتؤمن له البيئة الصالحة والسوية التي من خلالها سيصبح شخصية سوية ومرتزة عاطفياً وسلوكياً واجتماعياً.

وبمثل اهتمام ابن سينا بضرورة وجود القدوة الحسنة في حياة الطفل وأن تكون البيئة المحيطة به بيئة صالحة، اهتم ابن خلدون بذلك متأثراً كل منهما وامتاشياً مع ما تؤكد عليه التربية الإسلامية من أهمية القدوة الصالحة في تحديد سلوك الفرد والعادات والصفات التي يكتسبها.

وتضمنت كثير من الآيات القرآنية موضوع القدوة الصالحة ويبدو واضحاً أن ابن خلدون قد تأثر أيضاً بالتربية الإسلامية مثلما تأثر ابن سينا في رأيهما حول طبيعة النفس البشرية، وبأن الإنسان ليس خيراً أو شراً إنما هو يتصرف حسب البيئة التي عاش فيها وتشرب منها السلوك والعادات فتطبع بصفاتها، الأمر الذي دفع بابن خلدون هو الآخر على تأكيد ذلك بقوله: "فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت له ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقة وكذلك صاحب الشر إذا سبقت إليه أيضاً عوائده".

كما أيد ابن خلدون قول ابن سينا بأهمية تعلم أنواع العلوم المختلفة وان تميز عنه بتصنيفه لهذه العلوم، إلى جانب تأكيد كل منهما على معرفة الطفل للكتابة والقراءة والتي هي أساس التعليم.

هذا ويتضح أثر ابن سينا على ابن خلدون عندما بين أهمية التدرج في التعليم الذي تمثل في قول ابن سينا: "ينبغي البدء بتعلم القرآن، بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسماً وعقلياً، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء، ويلقن معالم الدين، ثم يروى الصبي الشعر، مبتدئاً بالرجز ثم القصيدة، لأن رواية الرجز وحفظه أيسر، إذا أن بيوته أقصر ووزنه أخف".¹ وجاء ابن خلدون بعده ليؤيد هذا الرأي بقوله: "اعلم أن تلقين العلوم إنما يكون مفيداً إذا كان بالتدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا".

إن هذه النصوص في مجملها دليل واضح على عناية المربين المسلمين بالمتعلم ومراعاتهم للفروق الفردية بينهم، وهذا الاهتمام ما هو إلا جزء من اهتمامات التربية الإسلامية الكثيرة التي تميزت بها والتي يصعب على الباحثة حصرها في هذه الدراسة.

إلى جانب الآراء التي أكد عليها ابن خلدون تأثراً بابن سينا هناك أيضاً أوجه تأثر أخرى تتضح للقارئ منها، اتفاهما على أهمية التعليم الجماعي الذي أوضحه ابن سينا في قوله: (لأن الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه أنس)،³ ففي هذا الجانب يظهر حرصهما على أن يتعلم الطفل بصورة جماعية لما يتضمنه التعليم الجماعي من فائدة للطفل لتنمية قدراته العقلية والاستفادة من تجارب الآخرين وزيادة نشاطه للبحث والدراسة.

وبمثل ما أعطى ابن سينا من عناية للعب في حياة الطفل، كذلك أعطى ابن خلدون هذه الأهمية لجانب اللعب عند الطفل الذي يبدو واضحاً في ثنايا كلامه التي استخلصتها الباحثة ووضحتها في آرائه التربوية سابقاً فاللعب عند كل منهما كان وسيلة للترويح عن النفس وليس وسيلة للتعلم.

وذلك لما يمثله اللعب من أهمية في حياة الطفل ويساعد في بناء شخصيته وبواسطته يستطيع التعبير عن نفسه وعن رغباته، وقد دعا إلى الاهتمام بجانب اللعب المربون المسلمون وكان ابن سينا وابن خلدون من بين هؤلاء الذين عرفوا أن اللعب بالنسبة إلى الطفل نشاط تلقائي، وهو أكثر إثارة لاهتمامه الزائد بما يحيط به، ففيه يعيش الطفل وتظل آثار خبراته متأصلة وحية أكثر من آثار الحياة الواقعية التي لم يستطع بعد أن يدخل فيها ويستوعبها، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلعب الأطفال ويرأف بهم ويحسن مداعبتهم، ومن مواقفه مع أحفاده ومع أبناء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ما روي عن أنس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم.

إن هذه الآراء كانت من ضمن المبادئ التي دعت إليها التربية الإسلامية والتي أثرت في كل من ابن سينا وابن خلدون وامتد هذا التأثير إلى فكرهما وهي آراء تستحق بالفعل الاهتمام لما تحملها في مضمونها من منافع مختلفة للطفل سواء أكانت من الناحية العقلية أو النفسية والجسدية.

وما يستدعي الباحثة الوقوف عنده أيضاً تناولهما للجانب التعليمي وما تشمله العملية التعليمية من

أطراف، سواء أكان المعلم وما يجب أن يتحلى به من مواصفات جيدة لكي تسير العملية التعليمية على أكمل وجه، وتحقق الهدف المنشودة منها أو المناهج أو وسائل التعلم وما يجب إتباعه من هذه الوسائل.

فابن سينا رأى ضرورة توفر صفات معينة في المعلم وقد أكد على ذلك بقوله: "ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً، ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً رزيناً، غير كز ولا جامد، حلواً لبيباً، ذا مروءة ونظافة ونزاهة". 2

إن عناية ابن سينا بالمعلم وقدراته شدد انتباه ابن خلدون واهتمامه ليضيف هو أيضاً عنايته واهتمامه بالمعلم دافعاً بالعملية التعليمية إلى التقدم والازدهار قائلاً: "الصنائع لا بد لها من معلم بشرط أن يكون المعلم جيداً وماهراً في مهنته على قدر جودة التعليم ومملكة المعلم يكون حذق المتعلم".

إن كل من ابن سينا وابن خلدون كانا يؤكدان على أن يقوم بالتدريس المعلم الجيد المتمكن من مادته الخبير بمراحل نمو التلاميذ خاصة نموهم الفكري، وفي الوقت ذاته عارفاً بطريقة التدريس الملائمة لهم، فالمعلم تقع على عاتقه مسؤوليه كبيرة في العملية التعليمية وفي طريقة التدريس لأنه الأساس في عملية التعليم، وهو الذي يعمل على نقل التراث الثقافي ويكسب التلميذ المهارة اللازمة التي تساعده على الوصول إلى الحقائق العلمية في وقت قصير، بلا معاناه ودون أن يرتبك ذهن المتعلم بين العلوم المختلفة والاصطلاحات المتباينة. ولقد عنى فلاسفة الإسلام بالكتابة حول العالم والمتعلم والمعلم والتلميذ وما لهما من حقوق وما عليهما من واجبات.

أما في حديثهما عن أسلوب العقاب فقد دعا كل منهما إلى اتباع الرفق واللين والاعتدال في استخدام هذا الأسلوب في تربية الطفل، تماشياً بما جاء به ديننا الحنيف الذي دعا إلى المعاملة الطيبة والرحمة، وقد جاءت كثير من أحاديث الرسول الكريم تدعو إلى معاملة الطفل معاملة طيبة واحترام شخصيته منها، قوله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) 1 رواه الترمذي. (ويروى أن أناساً من الأعراب قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ قال: نعم قالوا: لكننا والله مانقبل. قال صلى الله عليه وسلم أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلوبكم).

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي دعت إلى الرحمة وإلى الرفق والإحسان وهكذا استن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للأمة الإسلامية سنة تقتدي بها إلى يوم القيامة في معاملة الأطفال.

وعلى أي حال فإن ابن خلدون قد لخص آراء فلاسفة التربية الإسلامية في العقوبة، حينما اقتبس

نصيحة هارون الرشيد التي أشارت الباحثة إليها سابقاً.

بأن لا يدع ساعة تمر دون أن يغتنم فائدة تفيده من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، وألا يمعن في مسامحته، فيستحلى الفراغ ويألفه، ويقومه ما استطاع بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليه بالشدّة والغلظة" وبناء على ذلك فإن التربية الحديثة تتفق كثيراً مع التربية الإسلامية التي تعمل للإصلاح وتفكر في الإصلاح، وتتعد بقدر الاستطاعة عن القسوة والظلم، وتؤكد على اتباع اللين والشفقة في العقوبة.

وعموماً فإن ما جاء به كل من ابن سينا وابن خلدون وأضافاه إلى التربية والتعليم، ما هو إلا مجموعة من الأسس والركائز الرئيسية التي تستند إليها التربية الإسلامية، والتي لم تهمل أي جانب من جوانب شخصية الإنسان فكانت تربية متوازنة بين الجسد والروح.

ومجمل ما دعا إليه ابن سينا وابن خلدون قد دعت إليه التربية الإسلامية بصفة عامة، منها على سبيل المثال لا الحصر تأكيدها على أهمية القدوة والوسط الاجتماعي في تنشئة الطفل، وتكوين العادات الحسنة منذ النشأة الأولى للطفل لمخالطته للنماذج الطيبة وإبعاده عن قرناء السوء، لأن الطفل يكتسب سلوكه وتصرفاته من خلال تقليده ومحاكاته للآخرين. وهذا بدوره يؤكد على أهمية وجود القدوة الصالحة في حياة الطفل.

كما أكدت التربية الإسلامية على أهمية التدرج في التعليم، وهذا التدرج صفة مميزة لها ذلك أن التربية الأخلاقية تتأتى للفرد بالتدرج، فالتربية في حد ذاتها عملية أخلاقية واكتساب الأخلاق بما فيها التحلي بالفضائل والترفع عن الرذائل عملية تحتاج إلى وقت حتى يكتسب الإنسان العادة المرغوبة والسلوك المطلوب.

"إن الإسلام في تربيته للمسلمين الأوائل لم ينتقل بهم طفرة من أخلاقهم القديمة إلى الأخلاق الإسلامية الجديدة، إنما تدرج معهم في الأمور حتى تؤتى التربية نتائجها وثمارها، وكان الإسلام في أول أمره تربية متدرجة للعرب حيث نزلت آياته وأحكامه بالتدرج وهذا دليل على مراعاة الإسلام لقابليته الإنسان وقدراته".¹ أما بالنسبة إلى اهتمام واتفاق كل من ابن سينا وابن خلدون على رأى

آخر كان غاية في الأهمية في المجال العملي، وهو عنايتهما بالتعليم المهني والصناعي لكسب الرزق ما هو في واقع الأمر إلا تأثراً بالتربية الإسلامية، التي لم تغفل عن توجيه المتعلمين بعد الانتهاء من دروسهم للتدريب على بعض المهن والفنون والصناعات لكسب عيشهم، فالإسلام قد شجع التعليم الفني والصناعي. وقد تعلم نوح صنع السفن وأمره الله بصنعها، إن ما سبق توضيحه كان من بين أسس ومبادئ التربية الإسلامية التي تميزت بها، واستند إليها في مجال التربية والتعليم المرهون المسلمون ومنهم ابن سينا وابن خلدون، وهذا كله لم يكن إلا نقطة في بحر من المميزات

الكثيرة التي تمتاز بها التربية الإسلامية، والتي قلما أن يوجد نظير مثلها في الاهتمام بالطفل وتكريمه وتشكيله بما يرضى الإسلام، ومن هنا فإن المربين الأوائل أمثال ابن سينا وابن خلدون كانوا عبرة لأولى الأبصار من بعدهم الذين سلكوا المنهج التربوي في تنشئة الطفل التنشئة الصالحة، وإنهم كانوا بلا شك ملتزمين باستخدام المنهج التربوي الإسلامي وهو منهج القرآن الكريم مقتدين في أفعالهم وأعمالهم بالرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام.

وبالفعل هناك شخصيات إسلامية وتربوية تستحق الاهتمام والتقدير لما إضافته من آراء لها وزنها وقيمتها في التربية ولا مجال لذكرهم جميعاً في هذه الدراسة، أما ابن سينا وابن خلدون فقد كان لهما نصيب في المجال التربوي لا يستهان به ولهما أثر واضح في تطوير الفكر التربوي الإسلامي، بما قاما به من تمعن وتحليل في كل المسائل والمواضيع التي جاء بها الإسلام والتي استفادا منه في توثيق آرائهم التربوية، وساعدت في نضوج فكرهما واستطاعا التعبير بكل حرية ووضوح عن أفكار وأراء كانت تدور بخلدتهما، ومنها تمكنا من إقامة فلسفة إسلامية مستقلة، على الرغم من اطلاعهما على ثقافات وفلسفة الشعوب الأخرى التي بلا شك قد أثرت فيهما بشكل أو بآخر وأخذنا من هذه الفلسفات المختلفة ما يتفق مع المنطق السليم والتفكير الصحيح، واستطاع بذلك كل من ابن سينا وابن خلدون وضع بصماته في مجال التربية والتعليم التي لم يتمكن الزمن بمروره من محيها.

وبعد أن تناولت الباحثة أوجه التشابه والاختلاف بين ما قدمه ابن سينا وابن خلدون كمرتين مسلمين من مجموعة آراء وأفكار تربوية وتعليمية، سوف تقوم الباحثة فيما يلي بعقد مقارنة بين ما جاء به كل من جان جاك روسو وماريا منتسوري كمرتين غربيين من آراء وأفكار تربوية وتعليمية كان ولازال لها وزنها ومكانتها في مجال التربية والتعليم.

أولاً: أوجه التشابه بين آراء وأفكار جان روسو وماريا منتسوري لقد اتفق روسو مع منتسوري في مواضيع عدة لعل أهمها:

1- الاهتمام بالتربية الخلقية واكتساب الطفل الأخلاق الحسنة، والطاعة هي أساس التربية الخلقية عندهما مع اختلاف الوسائل التي تتحقق بها.

2- الحرية كانت من أهم المطالب التربوية التي أكدا عليها.

3- التأكيد على دور الطبيعة في تربية الطفل وبضرورة إيكال الأمر إليها لتقوم بدورها ما أمكن ذلك، باعتبارها مصدر من مصادر المعرفة.

4- أوليا اهتماماً باللعب لما يمثله في حياة الطفل من أهمية.

5- المطالبة باستقلالية الطفل ليكون قادراً على الاعتماد على نفسه دون حاجته إلى الآخرين.

- 6- الاهتمام بتعليم الطفل العلوم المتنوعة وان اختلف ترتيب هذه العلوم عند كل منهما.
- 7- ضرورة تعليم الطفل الأمور الدينية، وإن فضل روسو تأخيرها إلى سن معينة لاعتقاداته الخاصة.
- 8- الإهتمام بتعليم الطفل الأعمال اليدوية، إلى جانب الموسيقى وما توقعه من أثر إيجابي في نفسية الطفل، إضافة إلى تعلم الرسم.
- 9- التأكيد على أهمية الحواس وتقديم الوسائل الضرورية التي تربي بها كل حاسة، فالحواس نوافذ المعرفة.
- 10- رفض اتباع أسلوب الحفظ والتلقين في التعليم لأنه يعمل على إهمال قدرات الطفل واستعداداته.
- 11- المناداة بأهمية التدرج في التعليم.
- 12- الحث على الرحلات والأسفار كمصدر من مصادر المعرفة.
- 13- من الشروط التي رأيا توفيرها للطفل تهيئة بيئة صالحة ومناسبة تجنبه اكتساب الرذائل وتحميه من رفاق السوء.
- 14- المطالبة بالتعليم الفردي مع أن منتسوري لم تكن ضد التعليم الجماعي في بعض المواد.
- 15- أن تكون المادة التعليمية المقدمة إلى الطفل مناسبة لمراحل نموه، بمعنى تصميم المناهج وفق المراحل العمرية للطفل لتكون ملائمة لاستعداداته وقدراته وهذا ما تؤكدته التربية الحديثة.
- 16- أن يكون المعلم قدوة صالحه لتلاميذه وأن تكون الصلة قوية فيما بينهم.
- 17- الإهتمام بالرياضة لما فيها من فائدة وصحة للأبدان والعقول(العقل السليم في الجسم السليم).
- 18- أن تكون التربية سلبية من قبل المعلم بمعنى أن يكون مرشداً فقط ولا يتدخل في أعمال الطفل بأي شكل من الأشكال.
- 19- عدم فرض أعمال على الطفل تكون أكبر من قدرته فيقف معها موقف العاجز.
- 20- ضرورة مراعاة مستويات القدرات العقلية بين الأطفال والانتباه إلى ما بينهم فروق فردية وأخذ ذلك بعين الاعتبار.
- 21- أن تتصف المادة التعليمية التي تعطى للأطفال بالتشويق والإثارة لكي تثير انتباههم واهتمامهم.

22- الاهتمام بمساعدة الأطفال على تنمية مواهبهم وما لديهم من إمكانيات، وذلك بتقليل الكبار من الأوامر والنواهي التي يفرضونها على الأطفال، لما تلحقه من ضرر بهم.

23- رفض معاملة الطفل كإنسان راشد واعتبار مرحلة الطفولة مرحلة مميزة لها خواصها التي تختلف كلياً عن خواص مراحل الكبار لأن الأطفال يتعلمون ويفكرون بطريقة تختلف تماماً عن طرق الراشدين.

24- الدعوة إلى معاملة الأطفال بكل احترام وتقدير وإنسانية، لأنهم في الأصل يولدون بطبيعة خيرة ويجب أن يعاملوا على هذا الأساس وأخذ ذلك بعين الإعتبار.

25- لقيت الأعمال اليدوية اهتماماً وتقديراً خاصاً من قبل روسو ومنتسوري.

26- اتفقا في نظرتهم المتحررة والمتقدمة إلى أوضاع التربية في ذلك الوقت فثار كل منهما على التربية التقليدية حيث وضع روسو مجموعة من الأنشطة الحسية لتنمية كل حاسة ومعرفة حرارة وبرودة الأجسام والثقيل والخفيف منها، وهو بهذا قد اهتم بخواص الأجسام وبمثل اهتمامه اهتم منتسوري ولو إنها وضعت عشرات الأنشطة للناحية الحسية.

27- إن مهمة المعلم الإرشاد والتوجيه فقط فلا يكون معلماً بالمعنى التقليدي فمهمته تقديم المعونة والإرشاد للطفل وليس فرض الأوامر.

28- الإيمان بإمكانيات الطفل وقدراته على أن يعلم نفسه تعليماً ذاتياً عن طريق الملاحظة والخبرة وتكرارهما دون تدخل المعلم.

29- مطالبة المعلم بعدم التسرع في عملية تعليم الطفل وتصحيح خطأه إذا ارتكب خطأً لأنه سيتعلم ويدرك ذلك بمرور الوقت، فروسو مثلاً يخاطب المعلم قائلاً:

"امنح الطبيعة الفرصة كي تعمل عملها بهدوء تام ولا تفسدها بتدخلك المتسرع، إنك قد تحتج بأنك تعرف قيمة الوقت وتخشى أن تضيعه هدرًا، ولكنك تتناسى أنك تهدر الوقت بتدخلك وإساءتك استعماله، أكثر مما تهدره بعدم التدخل وتركه يمر وأنت ساكن".

لقد كانت هذه النقاط من أهم الآراء والأفكار التي اتفق عليها كل من روسو ومنتسوري، وبالرغم من البعد الزمني واختلاف العصر بينهما، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود أهداف تربوية موحدة بينهما اتفقت فيها أفكارهما وتطلعاتهما، التي كان يسعى كل منهما من خلالها إلى تحقيق سعادة الطفل ومصالحته، ولا يتحقق ذلك من وجهة نظرهما إلا إذ منح الطفل حريته، التي عن طريقها يتمكن من إظهار ميوله وقدراته، ويتمكن من التفاعل مع بيئته فينمو عقله وتتفتح شخصيته ويستطيع الإستغناء

عن غيره بعد أن يتمكن من تحقيق استقلاليته بإعماده على نفسه ويكون بذلك قادراً على تحصيل معرفته، من خلال تجربته وخبرته الشخصية بالتفاعل المباشر مع الأشياء، عن طريق الطبيعة ومن خلال حواسه باعتبار الطبيعة والحواس من أهم مصادر المعرفة التي اهتم بها كل منهما.

ومجمل القول إن كلاً من روسو ومنتسوري كان هدفهما تهيئة بيئة مناسبة للطفل يتمكن من خلالها من تلبية حاجاته، وإظهار ما لديه من إمكانيات وقدرات دفيئة قد لا يستطيع أن يظهرها طوال عمره ما لم تتوافر لديه كافة الإمكانيات والسبل التي تساعده على إظهارها، و إذا كان في مراحل التعليم الأولى مقيداً بمقاعد مدرسية، مسلوب الحرية غير قادر على التعبير عن أفكاره وميوله بحرية وعفوية فإنه سيصبح إنساناً عاجزاً غير قادر على تحقيق شخصيته المتكاملة.

وعلى أي حال فإن تحقيق النمو الصحيح للطفل، من كافة جوانبه هو الهدف الأسمى الذي كان يسعى إلى تحقيقه كل من روسو ومنتسوري.

وبعد أن تناولت الباحثة أهم الآراء والأفكار التربوية والتعليمية التي اتفق فيها كل من روسو ومنتسوري، سوف تقوم في الآتي بعرض أهم الآراء التربوية التي تميز بها روسو.

ثانياً: أهم المبادئ والأفكار التي تميز بها جان جاك روسو تمثلت أهم المبادئ والأفكار التي تميز بها روسو في الآتي:

- 1- تميز بتقسيم التربية إلى مراحل واضحة في كل مرحلة عمرية أهدافاً وغايات تربوية معينة.
- 2- أكد على التعليم الفردي بمعنى أن يكون لكل طفل معلم خاص به.
- 3- فضل روسو عزل الطفل عن شرور المجتمع بدعوته للعيش بين أحضان الطبيعة.
- 4- كان روسو أول من نادى بالتربية السلبية وجعل الطفل مسؤولاً مباشراً عن نتائج أعماله.
- 5- لفت أنظار المربين والمعلمين إلى الطفل وإلى أهمية مرحلة الطفولة.
- 6- اهتم بقيمة الخبرة المباشرة في التعلم وقلل من أهمية الكتب.
- 7- طالب بتأجيل التربية الدينية إلى سن الخامسة عشر.
- 8- أبرز أهمية الجانب الوجداني في التعلم.
- 9- ترك روسو مراحل عمر الطفل من الميلاد إلى سن الثانية عشر بدون تعليم مع أنها من أهم المراحل لتعليمه لأنه فضل أن يتعلم ويدرك كل شي بنفسه عن طريق الطبيعة.

10- استبعد دراسة اللغات والتاريخ إلى أن يصل الطفل إلى مرحلة معينة يستطيع من خلالها فهم هذه العلوم.

11- كان غرض روسو من احترام المتعلم مهنة معينة هو تعليمه احترام وتقدير الأعمال اليدوية وهذا ما تنادى به التربية الحديثة.

12- رأى أن خير ما يختم به الشاب دراسته المنظمة هي الرحلات والأسفار التي تزيد من معرفته وخبرته.

13- دعا المعلم أن يعلم الطالب علماً واحداً وأن لا يعلم غيره.

14- كانت أهم مصادر التعليم عنده هي الأشياء، الإنسان، الطبيعة، والتربية الحقة هي التي تستمد مادتها من هذه المصادر.

15- رفض روسو تلقين الطفل كلمات ومفردات لغوية لا يمكنه فهمها ولا يدرك معناها وهي وجهة نظر صائبة فلا داعي إلى تعليم الطفل كلمات تكون أعلى من مستوى إدراكه ولا حاجة به إليها. .

16- روسو أول من نادى بالوصول إلى الأشياء عن طريق المحسوسات فاهتم بالحواس اهتماماً خاصاً في زمان كانت فيه مهملات كل الإهمال وإن كان مبالغاً في هذا الاهتمام.

17- اهتم بالتركيز على الناحية الجسمية ولم يركز بمثل الدرجة على الناحية العقلية والخلقية مع أنها من النواحي الهامة في حياة الطفل، وحبذا لو ركز روسو على هذه النواحي الثلاث.

18- أكد في أسلوب الثواب والعقاب على معاملة الطفل وفق قوانين الطبيعة.

19- رفض تعليم المرأة ورأى أن تربيتها تختلف عن الرجل لذا فضل أن تكون تربيتها تربية جسمية.

اهم الانتقادات التي تعرضت لها اراء وافكار روسو

إن بعض هذه الآراء التي وضعها روسو وتميز بها والتي بدت غريبة في عصره وخيالية التصور ومن المستحيل الأخذ بها حتى في الوقت الحالي لم تسلم من النقد من قبل بعض المختصين منها:

1- أن روسو قسم مراحل النمو إلى مراحل منفصلة ولكل واحدة من هذه المراحل خصائصها وأساليب تعليمها الخاص، وقام بتأخير الجانب الوجداني إلى مرحلة متأخرة (15 _ 20) وهذا الأمر لا يمكن تأييده لأن الناحية الوجدانية موجودة مع الطفل طوال مراحل حياته".

2- بالغ في رعاية الطفل ودعوته ليعيش بين أحضان الطبيعة فعزله بذلك عن المجتمع متغافلاً عن دور الثقافة في تكوين شخصية الطفل وأثرها عليه بما فيها من عادات وتقاليد.

3- كما يعاب على روسو في نظريته التربوية أنه بالغ في اعتماده على تنمية الحواس وفي استغلالها في تربية الطفل، إضافة إلى كتابه "أميل" الذي كان كتاباً كثير الأخطاء وغير منطقي واتضح فيه شخصية روسو المترددة والمتذبذبة. ففي الوقت الذي يرى فيه أن المجتمع فاسد ويجب إبعاد الطفل عنه بالقدر المستطاع، يعود ويؤكد أنه ضروري في تربية الطفل، وفي الوقت الذي يفرض العزلة التامة للطفل يعود فينسى هذه العزلة ويبعث به إلى الحفلات وزيارة السجون.

4- أما فكرة التربية السلبية التي فضلها روسو فلا يمكن الموافقة عليها لأنها قد تؤدي إلى وقوع الأذى على حياة الطفل، وأنها تؤدي إلى الحكم على جميع الأعمال من نتائجها لا من دوافعها، ما يؤدي إلى أخذ الحيطة والحذر أكثر من عملية بناء الأخلاق، فالفضائل الإيجابية لا يمكن إن تكون نتيجة لتجنب النتائج غير السارة لذاتية الإنسان، إلى جانب فكرة الجزاء الطبيعي التي كانت من بين الآراء التي تثير الانتباه فكيف يمكن أن يترك طفل يتعرض للأذى أو الموت لمجرد التعلم من نتائج أفعاله.

كما أن هذه النتيجة قد لا تقتصر على الفرد نفسه الذي قام بالعمل بل تتعدى المجتمع وتلحق الضرر بالآخرين.

5- أما فيما يخص تأخير التربية الدينية إلى سن الخامسة عشر فكان لروسو أسبابه الخاصة في التأكيد على هذا الرأي. لأن الطفل في اعتقاده يتمتع بخيال مرهف فعند الحديث عن خالق الكون يكون فكرة مليئة بالأوهام لا يدركها فكره، وإذا انغمس فكر الطفل في الأوهام لا يستطيع النجاة منها، لذلك فضل روسو تأجيل التربية الدينية ريثما ينضج عقل الطفل ليتمكن من إدراك فكرة وجود الله إدراكاً خالصاً، إن هذا الرأي لا يمكن الإتفاق عليه مع روسو، لأن الطفل إذا استغنى عن الله حتى سن السادسة عشر يمكن أن يستغنى عليه بعد ذلك فيعيش في شك حول وجود الله بدل اليقين من ذلك.

وروسو هنا برأي الباحثة لم يفرض على الطفل عقيدة دينية معينة، وإنما ترك له الحرية في إدراك ذلك بنفسه عن طريق الملاحظة واستنتاج العلاقات بين الأشياء ودراستها، والمقارنة بينها ليصل بها إلى حقائق يقنع بها ترشده وتوصله إلى وجود الله الذي خلق الكون ويسره.

وترى الباحثة أيضاً أن روسو قد بالغ في العناية بالطفل لدرجة جعلته يتغاضى عن عوامل لها دورها وأهميتها في التأثير على حياة الطفل، منها محاولة إبعاد الطفل عن بيئته وكما هو معروف فإن للبيئة أثر في إثارة الطفل وتنمية اهتماماته والكشف عن مواهبه وقدراته، وأن الطفل يتعلم من خلال تفاعله مع الآخرين وتعاونهم معهم، والإنسان بطبعه كائن اجتماعي وروسو بهذا الرأي قد تجاهل الدور الذي تلعبه الأسرة في عملية التربية والتعليم وما يمثله الأب والأم من أهمية في هذه العملية،

إلى جانب دور المعلم كطرف هام في العملية التربوية وبذلك فإن ما دعا إليه روسو بعزل الطفل عن مجتمعه يعد منافياً لأصول التربية الصحيحة ولا يمكن في أي حال من الأحوال الأخذ به أو اتباعه. وان روسو بمجموعة الآراء التربوية التي جاء بها لم يعط للمدرسة أي أهمية بل كان للطبيعة الأولوية في التعليم، وإن تربية الطفل وتعليمه تتم من خلالها وليس خلف مقاعد دراسية.

كما جاء روسو برأي جديد لم يسبقه إليه أحد من علماء التربية، وهو تقليده من شأن الكتب كوسيلة تعليمية هامة، وتركيزه على الخبرة المباشرة في التعليم وروسو في هذا الرأي لم يكن صائباً، فالخبرة وحدها لا تكفي كوسيلة تعليمية بل أصبح الكتاب وسيلة فعالة في عملية التعليم، تتوافر فيه مختلف أنواع العلوم وثقافات وعوائد المجتمعات المختلفة، وإن من الغريب أن ينادى روسو ويؤكد على

مثل هذا الرأي مع أن ثقافته وأفكاره ما هي إلا وليدة اطلاعاته وقراءته للعديد من الكتب، فهو بتجاهله لدور الكتاب وأهميته يحرم الأطفال من الاستفادة من تجارب الآخرين أو معرفتها، وبذلك فإن إغفال روسو لقيمة الكتاب والتقليل من شأنه رأى لا يمكن إتباعه أو الأخذ به، بل من الأفضل أن تجتمع وسائل اكتساب وتحصيل المعرفة مع بعضها البعض وإلى جانب الاطلاع إلى الكتب تكون التجربة المباشرة والخبرة ليزداد المتعلم علماً ومعرفة.

هذا وتلاحظ الباحثة أيضاً وقوع روسو في متناقضات مع نفسه، فبينما يبدو اهتمامه واضحاً بتربية ورعاية الطفل نجده غير قادر على تربية أطفاله وكل هذا الاهتمام بما يخص تربية الطفل لم يكن في واقع الأمر إلا هروباً من واقع مر وزيفاً وتجميلاً لحقيقة بشعة صنعتها يده حينما تخلى عن تربية أبنائه عندما فشل بنفسه في تربيتهم فأودعهم دور الأيتام بلا شفقة أو رحمة أو شعور بالذنب، وهذا

بدوره يبين إلى أي مدى تناقض روسو مع نفسه ومع ما جاء به من آراء تربوية بدت غريبة في عصره إلا أنها كانت البذور الأولى لمعظم الاتجاهات الحديثة في تربية الطفل.

أما بالنسبة لرفضه تعليم الطفل أي نوع من أنواع العلوم إلى أن يصل إلى سن الثانية عشر، مع أنها من أهم المراحل وأفضلها لتعليم الطفل فهو رأي ترفضه الباحثة لأنه في هذه المراحل أكثر قابلية التعلم، وهو في هذه المرحلة العمرية من النظام التعليمي المعروف يكون قد أتم مرحلة التعليم الابتدائي.

ومن بين آراء روسو الغريبة التي يصعب تصورها أو الأخذ بها أيضاً، أن يكون لكل طفل معلم خاص به يخصص كامل وقته إلى تلميذه طوال مدة تعليمه وهذا فعلاً من الأمور التي لا يستوعبها عقل ولا يتصورها خيال.، فليس هناك مجتمع من المجتمعات يستطيع أن يوكل كل فرد من أفرادها إلى معلم خاص مهما بلغت الرفاهية بهذا المجتمع أو ذاك، وروسو بهذا قد اشترط أن يكون نصف

أفراد المجتمع من المعلمين والنصف الآخر من المتعلمين وهذا من المحال في الدول التي تريد نشر التعليم بين أفرادها والنهوض بهم من أجل غد أفضل.

كما أن روسو حينما رفض تعليم الأدب واللغات للطفل قد أنكر الأثر الذي تحدثه هذه العلوم في تنمية قدراته وتوسيع مداركه فكل المعارف تكمل بعضها البعض. أما فيما يخص تربية البنات ورفض تعليمها فكانت من أكثر آرائه تطرفاً ولا يمكن الأخذ بها.

كما جاء بآراء وأفكار بدت غريبة في عصره، تتصل بإيكال أمر تعليم الطفل لنفسه وتلتقي مع مبادئ التربية الحديثة ومع أحدث الاتجاهات التي قللت من أهمية دور المعلم التقليدي، ودعت إلى إحداث تغيير جذري في هذا الدور وجعله موجهاً للعملية التعليمية بدلاً من كونه ملقناً للتلاميذ. وعلى الرغم من العيوب والمبالغة التي تضمنتها أفكار روسو في كتابه "أميل" خاصة في تأكيده على منح الحرية المطلقة للطفل، والمبالغة في الاهتمام بميوله ورغباته، إلا أنها أضافت الكثير والجديد للتربية الحديثة فقد كان أول كتاب دافع عن مرحلة الطفولة وميزها عن مرحلة الرشد، ونادى فيه بحرية الطفل وتحريره من الكبت داعياً إلى تربية تلائم سن الأطفال ونموهم. 1

لعل الآراء السابقة هي أكثر غربة وتطرفاً ولا يمكن بأي شكل من الأشكال تأكيدها أو الأخذ بها، ومع ذلك فإن روسو قد أعطى آراء تربوية قيمة تؤيدها التربية الحديثة منها على سبيل المثال، دعوته إلى دراسة الطفل فمعرفة المعلم بالطفل وعقليته وتفكيره وما يرغب به وما يميل إليه، تمكنه من وضع واختيار المواد التي تناسبه وتستهوئ ميوله، ليتمكن من تحقيق النجاح في عمله ويحقق الأفضل لمستقبله.

"أما أفكار روسو التي تتفق معها الاتجاهات التربوية الحديثة فهي أن تكون مهمة المعلم الإرشاد والتوجيه، وأن لا تبدأ دراسة التاريخ في السنوات الأولى من التعليم الابتدائي، وأن تكون دراسته خلال تلك الفترة أقرب إلى دراسة سير الإبطال". كذلك اهتمامه بقيمة الخبرة المباشرة وقيمة التجربة وأهمية الحواس في عملية التعلم، إلى جانب تقديره واحترامه لقيمة الأعمال اليدوية وهذا ما تنادى إليه التربية الحديثة بعد أن تساوى الجانب العملي مع الجانب النظري في الأهمية وأصبحت للأعمال اليدوية مكانتها وقيمتها في الوقت الحاضر.

إن ما جاء به روسو في كتبه من آراء وأفكار متنوعة بدت خليطاً بين الواقع والخيال، إلا أنه كان عبقرياً ومبدعاً وتمكن من خلالها من تحسين أوضاع التربية السيئة التي كنت سائدة في عصره، واضعاً بذلك أساليب جديدة تلغى المفاهيم والمعتقدات القديمة، وكل ما كان واقعاً في زمانه من ظلم واضطهاد لحقوق الفرد ومن قمع لمشاعره فكانت آراؤه تعبيراً واضحاً على تحرر فكره وتطلعاته

وتقاؤه لمستقبل أفضل لأبناء مجتمعه.

لقد سعى روسو من خلال هذه الأساليب الجديدة إلى منح الأطفال حريتهم بتحريهم من القيود التي فرضها المجتمع عليهم، ودعوته إلى العيش بين أحضان الطبيعة والاسترشاد بما تطلبه، وهو بذلك قد جعل من الحرية في التربية أساس نظامه التربوي والهدف الدائم الذي يتحرك نحوه المربي ويسترشد به وما لا يتطرق إليه شك، إن الحرية التي نادى بها روسو قد أيقظت عقول المربين من

غفلتها وحررتها لتثور على كل النظم التربوية القديمة بما كانت تتضمنه من تسلط وقسر في طرق التعليم وتصميم المناهج، التي لم تعر في مضمونها أي اهتمام للطفل، حتى يدرك المربون ما يمكن إدراكه ويغيروا من الأساليب الخاطئة التي تتبع في معاملة الطفل إلى ما فيه الصلاح له ولمجتمعه.

إن روسو بما قدمه من أفكار تربويه قد أثرى بها العملية التربوية واستطاع أن يقف مدافعاً ومنادياً من خلال آرائه إلى الاهتمام والعناية بكل ما يتعلق بالطفل وهو قد تضحى من في فلسفته التي تميز بها عن غيره تصوراً متفائلاً للطبيعة الإنسانية فكان اهتمامه بالجسد كاهتمامه بالروح.

وبلا شك فإن ما جاء به روسو من مبادئ واتجاهات تربوية جديدة كانت جديدة بأن تضاف إلى عالم التربية، وأن يكون لها مكان وشأن بين النظم التربوية الحديثة، ولو أن روسو قد تلقى التعليم الكافي الذي يليق به كمفكر وتربى غير التربية التي تربى عليها لكانت معتقداته وأفكاره التربوية بلا شك مختلفة عما كانت عليه.

إن روسو بكتابه "إميل" يعد بحق مؤسس التربية الحديثة وقد هزت نداءاته في هذا الكتاب المربين في عملهم الروتيني وغيرت من طرق التربية حيث أظهر آراء نافعة عن تربية الصغار تربية ذاتية وفقاً للطبيعة، ما أعطى الكتاب الكثير من الشهرة ولا يزال يدرس إلى الآن في المجتمعات العلمية فكان هدفه من التربية تكوين الإنسان الكامل وإزالة كل ما يعوق نموه الطبيعي، وروسو يرى أن تترك للطفل الفرصة لتنمية مواهبه الطبيعية دون تدخل ويرى في العودة إلى الطبيعة والحياة الطبيعية البسيطة خلاص الإنسانية وسعادتها.

ومجمل القول إن أفكار روسو تزداد تألقاً وقيمة من خلال إبراز الأثر الذي تركته في جميع المجالات والنظم وخاصة في الفكر التربوي المعاصر، إن كل ذلك يجعل من روسو مبشراً وأباً للتربية الحديثة.

هناك بعض المبادئ الأساسية التي اعتمدت عليها التربية الحديثة يرجع الفضل فيها إلى أفكار روسو ومن أهمها:

1- مبدأ الحرية التي تجعل الطفل يفكر في الوسائل والأساليب ليستطيع من خلالها الوصول إلى

كشف الحقائق والمفاهيم المطلوبة.

2- مبدأ اعتماد مراكز الاهتمام من النزعات في الحقول لينتقل إلى تعلم العلوم وقد انتشر هذا المبدأ في المدرسة الحديثة، فاعتمدت الوحدات التربوية المجمعَة حول موضوع معين يكون مركز الاهتمام لمدة شهر أو فصل أو أسابيع.

3- مبدأ المشاركة وقد ظهر هذا المبدأ حين أراد روسو تعليم أميل مهنة النجارة فأكد أن يشارك الطفل المرابي ليكتسب هذه المهنة ويكون التعليم أكثر فعالية وإيجابية إلى جانب الرحلات والنزهات في الطبيعة التي تعتمد على مبدأ المشاركة في التعلم.

4- مبدأ تشجيع التعليم المهني والاتجاهات العلمية بفضل تشجيع الطفل أن يضع بين يديه بعض الأشياء التي قد يحتاجها في المستقبل لتأمين معيشته، ومن الأفضل أن يتعلم مهنة تهيئ له الظروف التي تبين أهمية تلك القواعد الهندسية والميكانيكية والحسابية والتي لا يستطيع بدونها النجاح في مهن كالنجارة والعمارة وغيرها.

كانت هذه أهم الآراء والمبادئ التي تميز بها روسو، والتي جعلت منه رمزاً من رموز الثقافة والحضارة الإنسانية التي تفتخر به فرنسا خاصة والعالم الغربي عامة، وبالرغم من تناقضاته الواضحة وتعرضه للنقد لما قدمه من آراء إلا أنه ترك آثاراً لا تمحى في عالم التربية، أما منتسوري فقد تميزت هي الأخرى بعدة آراء وافكار تربوية ستوضحها الباحثة في التالي.

أهم المبادئ والأفكار التي تميزت بها ماريا منتسوري:

1- اتسم التعليم عندها بالحرية وحسب رغبة الطفل وميوله، فالיום الدراسي كان مفتوحاً فلا توجد دروس محددة ولا توقيت زمني معين للتعلم.

2- سعت من خلال التربية إلى تهذيب وتعليم الأطفال أنفسهم بأنفسهم.

3- إن الحرية التي ناشدتها منتسوري كانت تتطلع من خلالها إلى فهم نفسية وميول الطفل ومساعدته في الظهور بمظهره الطبيعي.

4- تميزت بوضع نظام البطاقات التي تسجل فيها المرشدة كل ملاحظتها على الطفل، وقد كانت هذه البطاقة شاملة لأنها ترصد الطفل عاطفياً وعقلياً وجسدياً، وقد انفردت بهذا النظام عن غيرها من المرابين.

5- اهتمت بتربية الحواس وقامت بتدريب الأطفال للإحساس بهذه الحواس من خلال الأنشطة والأدوات التي حددتها لكل حاسة، وكانت حاسة اللمس عندها من أهم الحواس.

6- قامت بتقسيم دروس الأطفال إلى خطوات ثلاث وهى ربط المدرك الحسي بإسم، يقرن اللون بمحسوس، معرفة الشيء إذا ما ذكر اسمه.

7- من أفضل ما رأت تعليمه للأطفال هو دراسة الطبيعية، ولتربية وجدانهم وتهذيب حسهم فضلت تعليمهم الموسيقى والشعر.

8- اتسمت برفضها اتخاذ الحوافز أو الجوائز وسيلة في التربية بينما هو عامل هام في التربية الحديثة.

9- أرادت الوصول بالطفل إلى المرحلة التي يستطيع فيها إدراك أخطائه وتصحيحها.

10- إن منتسورى كانت تتطلع من خلال كافة الوسائل التي خصصتها في بيوت الأطفال إلى تدريبهم على تعلم التفكير والأنشطة الذهنية وفى الوقت ذاته تكشف عن ميولهم واهتماماتهم الشخصية.

11- جعلت من الطفل عضواً فعالاً ومشاركاً إيجابياً في بيئة أعدتها خصيصاً له.

12- وضوح الأهداف التربوية التي وضعتها في التربية وكافة الأنشطة التي خصصتها في بيوت الأطفال.

13- لقد انفردت بإنشاء منظومة لتعليم الأطفال اهتمت فيها بالبيئة التعليمية التي أعدتها أعداداً خاصاً ومنظماً منحت من خلالها الطفل حريته وفى الوقت ذاته عودته تحمل مسئولية أعماله وتبصيره بعواقبها.

14- إن طريقة منتسورى التي ميزتها عن غيرها من المربين قد مكنت فيها الطفل من أن يقوم بتجاربه في الطبيعة بحرية.

15- كانت البرامج التي خططتها منتسورى في بيوت الأطفال قائمة على التشويق والجاذبية والعملية.

إن هذه النقاط كانت من أهم ما قدمته منتسورى في مجال التربية وتميزت وعرفت بها، وقد سعت من خلال ما تقدمت به من آراء ونظريات تربوية إلى مساعدة الطفل على التحرر من كل القيود التي تحيط به، سواء أكانت قيوداً فكرية أو جسدية قد تتسبب بشكل أو بآخر في عرقلة نمو الطفل أو حرمانه من أن يتمتع بحقه في العيش بحرية واستقلالية وكل ذلك كان من أجل تحقيق صالح الطفل حاضراً ومستقبلاً، وقد صاغت منتسورى فلسفتها التي طبقتها في بيوت الأطفال وهذه الفلسفة في فحواها كانت تؤكد على أن يكون التعليم فعالاً ذا جدوى للطفل بحيث يتمكن عن طريقه من التعليم ذاتياً، من خلال احتكاكه وتفاعله المباشر مع بيئته، وأن يتعرف على العالم من خلال حواسه التي

جاهدت منتسورى إلى تدريبها، عندما وفرت للطفل كل ما يلائمه وما يحتاجه لتدريب هذه الحواس وتنميتها وتهذيبها.

اهم الانتقادات التي تعرضت لها اراء وأفكار ماريا منتسورى:

لقد تضمنت طريقة منتسورى في مجملها مزايا لا شك في قيمتها ومع ذلك فإن لكل شيء إذ ما تم نقصان، حيث تعرضت طريقته إلى النقد من قبل بعض المربين لعل أهم ما قيل في طريقته:

إن الحرية التي نادى بها منتسورى ربما سادتها الفوضى وعدم النظام ولعلم تناسوا أن الحرية عندها كانت مقيدة بمجموعة أجهزة تعليمية خصصتها للأطفال لكي يسيروا عليها وفق ما خططت لهم منتسورى، كما وصفت طريقته بأنها طريقة سهلة ولينة فالطفل الذي اعتاد الحياة في بيوت منتسورى عندما يخرج للحياة يصعب عليه مواجهة الصعوبات التي قد تعترضه، ولكن في واقع الأمر فإن أجهزة منتسورى لم تكن سهلة إلى هذه الدرجة، فأكثر هذه الأجهزة كانت بحاجة إلى وقت للتفكير، إضافة إلى جانب هام في حياة الطفل قد أهملته منتسورى ولم تعره أي اهتمام وهو تغاضيها للقصة وذلك لاعتقادها بأن قدرة الطفل على التخيل قد تؤثر في قدراته على التفكير المنطقي.

وإن من الغريب أن لا تهتم منتسورى بجانب التخيل والأثر الذي تحدثه رواية القصص والحكايات في الطفل باعتبارها وسيلة تربوية هامة تؤدي إلى تنمية القدرة اللغوية للطفل.

"كما أن البرنامج التربوي عند منتسورى كان أكثر تركيزاً على النشاط الفردي، بينما أهمل النشاط الجماعي الذي من شأنه مساعدة الأطفال على مهارات التفاعل الصحي في مجال العلاقات الإنسانية."

وقد رأى بعض المربين: أن طريقة منتسورى تقدم تربية تستهدف التعجيل المفرط في نمو الطفل قبل الألوان دون مراعاة لعوامل النضج، وذلك عن طريق إغراقه بشتى أنواع الأدوات التربوية والتعليمية، إلى جانب ذلك فإن منتسورى خططت بنفسها إنتاج الوسائل التعليمية دون أن تأخذ بعين الاعتبار عفوية الطفل وحرية في اختيار الألعاب وفي إمكانية خلق ألعاب من صنعه وابتكاره.

إضافة إلى أن هذه الوسائل التعليمية التي صممها منتسورى كانت جافة وغير جذابة لكونها من الخشب الطبيعي (بدون ألوان) وأحياناً تكون ثقيلة على الطفل، كما تحدد مسبقاً للطفل كيف يستخدمها ولا تتيح له أي فرصة للابتكار.

وعلى الرغم مما تعرضت له طريقة منتسورى التربوية من انتقادات إلا أنها لاقت نجاحاً هائلاً في مجال التربية وكذلك ترحيباً وتقبلاً في دول العالم، حيث قدمت نموذجاً تربوياً جديداً من شأنه مساعدة الطفل على النمو، ومنحته القدرة على حل مشكلاته بنفسه وإتاحة الفرصة له للتفاعل

المباشر مع الأشياء ومع المادة التعليمية التي تقع بين يديه، إضافة إلى تفاعله مع غيره من الأطفال وأثبتت أن تربية الحواس هي خير ما يعد الطفل للعمليات العقلية والفكرية، ولعل هذا النقد زاد نظريتها قيمة وقوة وجعل لها مكاناً متميزاً بين النظريات التربوية المعاصرة.

وهكذا صاغت منتسوري آرائها التربوية والتعليمية في نظرية لها أساسها وبنائها على أرض الواقع، وتمكنت بقدراتها العلمية التي تمتعت بها أن تحقق ما كانت تصبو إليه من تطلعات كانت بعيدة المدى، واستطاعت بقناعتها بها وإصرارها أن تجعلها قريبة المنال وبالإمكان تطبيقها.

إضافة إلى أن منتسوري قد ابتكرت لكل حاسة من حواس الطفل برنامجاً خاصاً لتدريبها الأمر الذي جعل من تدريب الحواس إضافة هامة ومميزه في نظام منتسوري التربوي.

ويمكن القول إن طريقة منتسوري التي عرفت بها وانتشرت في كثير من الدول كطريقة مثالية لتربية الحواس وتنمية الملاحظة والاعتماد على الذات لدى الطفل، كانت إسهاماً قيماً في مجال تربية طفل ما قبل المدرسة، وتميزاً يستحق أن يدرس في استخدام اللعب كوسيلة لتربية طفل ما قبل المدرسة، وكل ما جاءت به ماريا منتسوري من أفكار ومبادئ يوضح مدى عمق فكر ماريا منتسوري وأهميته في تعليم الأطفال يصفه عامة والمتخلفين عقلياً بصفة خاصة.

أوجه الاختلاف بين آراء وافكار جان جاك روسو وماريا منتسوري

إن تأثر المربين التربويين بأفكار بعضهم البعض واتفاقهم في بعض الآراء لا يعنى ذلك عدم وجود اختلافات بينهما في عدة آراء أخرى، وهذا ما حدث مع منتسوري التي تأثرت بروسو وما طرحه من قضايا تربوية متنوعة، ومع ذلك لم يقف هذا التأثير حاجزاً أمامها لتضع هي الأخرى بصماتها في مجال التربية وتكون لها آرائها التربوية التي تميزت وعرفت بها فأصبحت بها من ذوي الشهرة في هذا المجال. وأهم أوجه الاختلاف بينهما:

1- قسم روسو التربية الى عدة مراحل فكان لكل مرحلة عمرية اهتماماتها واهدافها بينما لم يكن كذلك عند ماريا منتسوري.

2- وضع روسو نظريات وأفكار في التربية إلا أنه لم يستطع تطبيقها على أرض الواقع في حين صاغت منتسوري أفكارها في نظريات وقامت بتطبيقها في بيوت الاطفال التي صممتها لتكون ملائمة لحاجاتهم.

3- ان الحرية التي نادى بها روسو كان مبالغاً فيها فلم تكن هناك حدود تضبطها بينما الحرية التي منحتها منتسوري للأطفال كانت في حدود.

4- لقد ترك روسو تلميذه ضائعاً مدة بدون تعلم اللهم إلا من الطبيعة وقراءة قصة روبنس كروز في الوقت التي كان فيها الطفل في بيت منتسوري يتلقى تعليمه.

5- لم يهتم روسو بتعليم طفله الكتابة في حين فضلت منتسوري تعلم الطفل الكتابة قبل تعلم القراءة والتأكيد عليه.

6- اهتم روسو بتعليم الطفل القصص المتنوعة بينما أهملت منتسوري ذلك ولم تعره أى أهمية.

7- طالب روسو بتأخير تعليم الطفل الامور الدينية وصلته بخالقه لإعتقاده أن الطفل قبل بلوغه سن الخامسة عشر لايمكنه فهم مثل هذه الامور وستكون معرفته بها معرفة ناقصة اما منتسوري فقد اكدت على ضرورة تعليم الطفل امور دينه.

8- دعا روسو أن يكون لكل طفل معلم خاص به وقد بالغ في ذلك ولم تتفق معه منتسوري في ذلك حيث كان الاطفال عندها يتعلمون في فصل واحد وتقوم المرشدة بإرشادهم.

9- ركز روسو على الناحية الجسمية للطفل بينما اهتمت منتسوري بالناحية الجسمية والعقلية.

10- نادى روسو بضرورة عزل الطفل عن المجتمع وعيشه بين احضان الطبيعة بينما وفرت منتسوري بيئة تعليمية مناسبة للأطفال يتعلمون فيها ويمارسون هواياتهم.

11- أكد روسو على فكرة الجزاء الطبيعي كأسلوب للعقاب بينما رفضت منتسوري العقاب البدني للأطفال واتخذت من العزل والصمت أسلوباً للعقاب.

ومع هذا التشابه والاختلاف الواضح الذي تميز به كل من جان جاك روسو وماريا منتسوري في مجموع آرائهما ونظريتهما، إلا أن الباحثة تجد نفسها مدفوعة مرة أخرى لمعرفة مدى تأثير جان جاك روسو كشخصية تربوية لعبت دوراً لم يعد خافياً على أحد في مجال التربية والتعليم على ماريا منتسوري وما جاءت به من آراء وطرق تربوية تهم مصلحة الطفل .

مدى التأثير والتأثر بين جان جاك روسو وماريا منتسوري:

إن كان من الطبيعي في أي مجال من مجالات الحياة أن يؤثر شخص ما في شخص آخر بأي طريقة من الطرق سواء امتد هذا التأثير إلى شخصية الفرد أو سلوكه أو فكره، فإن هذا التأثير سيصل حتماً إلى درجة الإعجاب والإيمان بكل ما تردده هذه الشخصية من المعجب بها، وهذا ما حصل فعلاً مع المربية الايطالية ماريا منتسوري التي تأثرت بما نادى به جان جاك روسو في التربية التي اهتم فيها اهتماماً خاصاً وبشكل مباشر بالطفل باعتباره القاعدة الأساسية لأي مجتمع وبإصلاحه وتطوره يتقدم المجتمع ويصلح.

إن تأثير روسو يبدو واضحاً على ماريا ففي الوقت الذي دعا جان جاك روسو المربين، ومن يحيط بالطفل كافة إلى تركه يعلم نفسه بنفسه ليكون بذلك معلماً لنفسه من خلال تجربته الذاتية واحتكاكه بالحياة فيعرف ما ينفعه وما يضره بنفسه ولوحده. نجد ماريا منتسوري هي الأخرى متأثرة بروسو وبطريقته الذاتية في تعليم الطفل وتؤكد على أن يعلم الطفل نفسه بنفسه ويعتمد عليها ولو أن أفكار منتسوري كانت واقعية بينما أفكار روسو خيالية لم يستطع تطبيقها في الواقع.

كما نادى روسو في القرن الثامن عشر بأن تكون المادة التي يدرسها الطفل مادة تتميز بالتشويق والإثارة لكي يستفيد منها بقدر المستطاع في حياته العملية وفي ذات الوقت تكون ملائمة لطبيعته وواقعه، وهنا أيضاً يبدو أن ماريا قد أعجبت بهذا الرأي وهي وليدة القرن التاسع عشر وتجعل منه هي الأخرى ركناً أساسياً من أركان طريقته التربوية التي عرفت بها.

إن التعليم عند جان جاك روسو كان قائماً على الملاحظة والتأمل، فالطفل يدرك ويتعلم الكثير من خلال ملاحظاته وتركيزه على كل ما يحيط به سواء من الطبيعة أو من البيئة التعليمية التي يوجد فيها، ومن هذا المنطلق صممت منتسوري أدواتها التثقيفية في بيوت الأطفال ومن خلال ملاحظته لها يتعلم الطفل التفكير والعمل.

لقد أثر روسو تأثيراً بالغ المدى في عالم الفكر التربوي فكان أول مربّي غربي دافع عن حرية الطفل وعلى ما تتضمنه هذه الحرية من فائدة للطفل وفي تعليمه وتربيته ولو أنه بالغ في منح هذه الحرية، فيقول: (يجب منح الأولاد قدرًا كبيراً من الحرية الحقيقية وترك مجال كبير لهم للعمل والتجربة).

وقد أخذت ماريا منتسوري براى روسو في الحرية الذي سعى كل واحد منهما من خلالها إلى أن (يظهر الطفل بمظهره الطبيعي لكي يمكن دراسته دراسة علمية صحيحة وتؤكد منتسوري على هذه الحرية بقولها: إذا أردنا أن نستفيد ونصل إلى نتائج صحيحة من ملاحظة المظاهر الإرادية التي يظهرها الطفل من تلقاء نفسه، ومن دراسة الطفل دراسة علمية دقيقة وجب أن نعطيها الحرية المعقولة). وهنا أخذت منتسوري براى روسو في منح الحرية للطفل ولكن بتحفظ لأن الحرية عنده كانت غير معقولة بينما عند منتسوري كانت الحرية معقولة.

كما امتد تأثير روسو بمطالبته بمنح الطفل حريته إلى غيره من المربين أمثال (فروبل وجون ديوى) الذين تضمنت آراؤهم المطالبة بحرية الطفل في الاختيار والعمل والتفكير، فالحرية ضرورية للطفل فمن خلالها يمكنه الاعتماد على نفسه، وهذه الحرية التي نادى بها روسو قد أثرت في منتسوري مثلما أثرت في فروبل وبستالوزي اللذين سبقاها في تأكيدهما على قدرة الطفل على النمو من خلال تفاعله مع البيئة في حب وحرية، وبأن بمقدور الطفل استخدام حواسه والتعرف إلى الأشياء من خلال تفاعله مع بيئته، وإذا كان الفضل في كل الأحوال يرجع إلى روسو في مناداته بمبدأ الحرية

في التربية، فإن الفضل يعود كذلك إلى ماريا منتسوري التي عملت بها في بيوت الأطفال بطريقة منظمة لا تتخللها فوضى، فالطفل عند منتسوري يرشد نفسه بالحريّة.

إن أهم نصيحة ذكرها روسو في كتابه "اميل" هي نداؤه بالانتفاع بحواس الطفل وتربيتها من الطفولة وما من شك في أثر هذه النصيحة وفوائدها، ولا يمكن لأي أحد أن ينكر فضل روسو على من خلفه من المرين الذين انتفعوا بنصيحته وإرشاده مثل "فروبل" في النصف الأول من القرن التاسع عشر و"منتسوري" في القرن العشرين، وقد بين رأيه ذلك حينما قال: ليس الغرض من تمرين الحواس مجرد استعمالها، بل الغرض منها الوصول إلى المعرفة، والحكم السديد، وقوة الشعور والإدراك والملاحظة.

وتؤيد منتسوري مبدأ روسو في تربية الحواس بقولها: "ليس الغرض من تربية الحواس أن يعرف الطفل الألوان والأشكال والأنواع المختلفة للأشياء ولكن الغرض تهذيب حواسه وتقوية الملاحظة لديه، وتعويد الانتباه إلى الأشياء والموازنة بينها والحكم عليها".

إن روسو لم يهتم بتربية الحواس اهتماماً عابراً وطالب بتربيتها واستغلالها في التعلم، بل قدم الوسائل التي ينبغي أن تربي بها كل حاسة من الحواس، ومن هذا الأساس فلم يكن بغريب على منتسوري أن تعتني هي الأخرى عناية خاصة بتربية الحواس، وتخصص لها الجزء الأكبر من العناية والاهتمام وتدريب هذه الحواس في مدارسها، ولم تكن التجارب العلمية والأجهزة التثقيفية التي صممتها منتسوري إلا قاعدة بنيت على تربية الحواس التي أشار بها روسو من قبلها.

هذا ويبدو تأثير روسو جلياً على ماريا منتسوري وذلك في اتفاقهما على أن تكون التربية سلبية من قبل المعلم، بمعنى أن يكون مرشداً للطفل فقط وهو رأى تميز به روسو عن غيره من المرين وتميزت من بعده ماريا منتسوري، إلى جانب اشتراكهما على نقطة هامة في شخصية المعلم وهي اتصافه بصفات حسنة وأن يكون خير قدوة للطفل، وأن يساعده على تنمية مواهبه بما لديه من إمكانيات تربوية تجعل في مقدوره استيعاب كل احتياجات الطفل ومتطلباته.

إن ماريا منتسوري لم تتأثر بروسو وحده بل كان لكل من (بستالوزي وفروبل وسيجان تأثيرهم الواضح في نظريات منتسوري التربوية، وكانوا الأساس التي بنت عليه منتسوري طريقته، واستفادت بأرائهم نظرياً وعملياً وقامت بتنفيذها. والحق يقال بأن ماريا منتسوري لم تنكر هذا التأثير حيث اعترفت بفضل هؤلاء المرين وبأنها مدينة لهم جميعاً لما حققته من نجاح في مجال التربية، ومع ذلك يبقى الفضل لها في قيامها بتنفيذ ما عرفته منهم من أفكار ونظريات تنفيذاً عملياً فكان لتربيتها العلمية أثر في طريقته التعليمية).

وبالفعل تستحق منتسوري كل التقدير والامتنان لما بذلته من مجهودات قيمة في مجال التربية دفعت بها إلى التقدم والرقي.

وصفوة القول إن جان جاك روسو وماريا منتسوري أرادا أن يوضحا للعالم أن الطفل مدرسته الحياة التي يتعلم من خلالها، حيث يرى ويسمع ما يثير انتباهه ويختزنه في ذاكرته حتى يأتي وقت الاستفادة منه عندما يستطيع الوعي والتفكير فالهدف من التربية عند كل منهما، لم يكن تعلم الطفل أنواع العلوم كافة، ولكن تنمية الرغبة عنده ليحب هذه العلوم ويقبل عليها بنفسه عن حب وقناعة تامة.

وبما أن لكل مرب من المربين طبعه وأسلوبه الخاص الذي يمتاز به عن غيره، لذا فإن ما أضافه كل من روسو ومنتسوري للتربية من آراء وأفكار اختلف فيه أسلوب كل واحد منهما عن الآخر، قد كان لها بلا شك تأثيرها الفعال على التربية والتعليم في ذلك الوقت وإلى الآن لا تزال آثارها عالقة وباقية، وتستند إلى معظمها التربية الحديثة، وروسو ومنتسوري بما أضافاه من صحة تربوية للعالم ألقيا أضواء جديدة على الطفل وأعطياه دورا مركزيا في عملية التربية.

وبعد أن تناولت الباحثة بيان أوجه التشابه والاختلاف بين جان روسو ومنتسوري وما تميز به كل منهما، سوف تقوم فيما بعد بتوضيح مدى التأثير والتأثر لأهم ما قدمه كل من ابن سينا وابن خلدون كمربين مسلمين تشريا مبادئ التربية الإسلامية وتأثرا بالدين والسنة من آراء تربوية وتعليمية، على كل من جان جاك روسو وماريا منتسوري كمربين غربيين متأثرا بأحداث عصرهما وبتجاربهما الشخصية فارتسمت خطوط هذا التأثير واضحة على معتقداتهما وأفكارهما التربوية والتعليمية.

فما يهم معرفته هنا هو توضيح مدى تمكن المربين المسلمين من التأثير على سواهم من المربين الغربيين، وهل كان هناك تشابه أو اختلاف بين الآراء التربوية التي جاء بها هؤلاء المربون وإن اختلفت الحقبة الزمنية والمكانية والاتجاهات بينهم.

أوجه التشابه بين آراء المربين المسلمين والمربين الغربيين

إن اختلاف الزمان والمكان الذي تواجد فيه هؤلاء المربون واختلاف نظرتهم إلى الأمور كافة التي تخص الطفل، لم يقف عائقا أمام المربين الغربيين من أن يتأثروا بما جاء به المربون المسلمون من أفكار فذة أخذت صفة الاستمرارية في كل الأزمنة التي مرت بها، ومن أهم النقاط التي اتفق فيها هؤلاء المفكرون وكان السبق فيها دائما للعلماء المسلمين هي:

- 1- اتفقوا على الاهتمام بالناحية الخلقية للطفل لما تمثله الأخلاق من دور وأهمية في حياة الطفل.
- 2- لقد تشابه هؤلاء المربون في القول بأن الطفل يولد مفطوراً على الخير وما قد يفعله من شر فقد اكتسبه من البيئة والمحيط الذي ولد وعاش فيه.

- 3- جعلوا للعب مكانته في التربية عندما أكدوا على ضرورته وأهميته للطفل ولو لم يستغل المسلمين اللعب في التربية وإنما اهتموا به فقط.
- 4- دعوا إلى ضرورة تعليم الطفل أنواع العلوم المختلفة وإن اختلف تقسيم هذه العلوم من حيث أهميتها حسب نظرة كل مرب منهم.
- 5- تشابه هؤلاء المفكرون في القول بأن الحواس والتجربة هما من نوافذ المعرفة.
- 6- كانت التربية الرياضية من ضمن العلوم التي اهتم بها كل من ابن سينا وروسو ومنتسوري.
- 7- اهتموا جميعاً بضرورة تعلم المهن والصناعات المتنوعة وإن اختلف تصنيف هذه المهن حسب أهميتها في نظر كل واحد منهم.
- 8- أكد كل واحد منهم على أهمية التدرج في عملية تعليم الطفل من السهل إلى الأصعب.
- 9- اتفق هؤلاء المربون على ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وأخذ ذلك بعين الاعتبار أثناء التعليم ومراعاة الفروق الفردية أمر أخذت به التربية قديمها وحديثها.
- 10- لاحظ جميعهم مشاكل وعيوب التعليم في عصرهم فوضعوا عدة مقترحات لتلافي هذه العيوب.
- 11- أكدوا على ضرورة إشراك المتعلمين في العملية التعليمية كأسلوب من أساليب التعليم لما له من فوائد تعود عليهم.
- 12- اهتم هؤلاء المربون بالمعلم مؤكداً على أن يتصف كل من يقوم بتعليم الطفل بصفات ومهارات لازمة حتى يستطيع القيام بالعملية التعليمية على أحسن وجه.
- 13- طالبوا المعلم بتوفير بيئة ملائمة وصالحة لتربية الطفل.
- 14- اتفق كل من ابن خلدون وروسو ومنتسوري على أهمية الرحلات في تحصيل العلم.
- 15- كانوا جميعاً على دراية بأهمية السنوات الأولى من عمر الطفل في تربيته وفي تحديد شخصيته.
- 16- أكدوا على تقوية الصلة بين المعلم والمتعلم وأن ينزل المعلم إلى مستوى تلميذه ليفهم نفسيته وميوله.
- 17- اتفق هؤلاء المربون على ما تمثله الموسيقى من أهمية في حياة الطفل.
- 18- دعا جميعهم إلى أن تكون المادة التي يعطيها المعلم لتلاميذه مشوقة وممتعة لتثير إعجابهم

واهتمامهم.

19- لقد فضل هؤلاء المربون أن تكون المادة التعليمية التي تقدم للطفل مناسبة لمراحل النمو التي يمر بها.

20- أكدوا على ضرورة مراعاة ميول المتعلم وقدراته ليقوم بنفسه بكل ما هو راغب به لأن مراعاة الميول الطبيعية للطفل تمهد له طريق النجاح في العمل.

21- اتفقوا على أهمية إحدى الطرق الهامة في التعليم وهي طريقة المحاور والمناقشة وأن الخبرة المباشرة هي من أفضل وسائل التعلم.

22- رفض كل من ابن خلدون وروسو ومنتسوري أسلوب الحفظ في التعليم.

23- لقد دعا المربون المسلمون والغربيون إلى احترام شخصية الطفل للقيام بما يرغب من أعمال وما يتمشى مع قدراته وإمكانيته.

24- اتفقوا على تجنب الضغط والشدّة مع الطفل وضرورة معاملته بكل لطف ولين.

25- أولوا جميعهم عناية خاصة بالحواس وإن غفل ابن سينا وابن خلدون عن توضيح الطريقة أو الأدوات التي يمكن استخدامها في تنمية الحواس، بعكس روسو ومنتسوري اللذين قدما بوضوح أدوات لتنمية وتدريب الحواس.

26- بين المربون الأربعة من خلال آرائهم عنايتهم بنفسية الطفل ورغباتهمدركين مدى تأثيره على شخصيته ومستقبله.

27- لقد اتفق كل من المربين المسلمين ومربي الغرب على أن طريقة تعليم الأطفال تختلف عن تعليم الكبار وهذا مثلاً يتضح في قول ابن خلدون (إن كثيراً من المعلمين يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعم في أول تعليمه المسائل المعقّلة من العلم). بمعنى معاملة الطفل كطفل لا كراشد يأخذ ما يناسبه من العلوم.

28- لقد سعى هؤلاء المربون من خلال التربية إلى تحقيق سعادة الطفل لذا كان اهتمامهم منصباً على ميوله ورغباته واهتماماته التي احتلت المرتبة الأولى في التربية.

29- أولى المربون المسلمون والغربيون عناية خاصة بتعليم الطفل الأعمال اليدوية وأن يحترم هذا العمل ويقدره.

30- لقد سعى هؤلاء المربون من خلال ما قدموه للتربية من آراء مختلفة إلى أن يكون للطفل دور

فعال في العملية التعليمية.

لعل ما سبق كان من أهم المبادئ والأفكار التربوية التي اتفق عليها هؤلاء المفكرون مع الاحتفاظ بحق سبق للعلماء المسلمين فيها، وقد تضمنت في مجملها كل الوسائل التي من شأنها مساعدة الطفل على النمو الشامل من جميع جوانبه وعلى تنمية ما لديه من قدرات ومهارات فقدموا له أفضل الطرق التعليمية والتربوية.

إن كل واحد من هؤلاء المربين تميز بميزات خاصة تبين ما كان يتصف به كل مفكر من عمق في التفكير وعبقرية وإبداع وبعد نظر، كان من النادر أن تتحلى به شخصيات عاشت في عصور عرفت بالاضطرابات والتقلبات من جميع النواحي.

لقد كان التفكير في الطفل هو نقطة التلاقي التي جمعت بين هؤلاء المربين وبين أفكارهم فشكلت هذه الآراء انطلاقة جديدة في عالم التربية، وبفضلهم أصبح الطفل محل اهتمام وعناية من قبل علماء التربية، وجاءت التربية الحديثة اليوم لكي تؤيد وتنادى بأهم المبادئ التي نادى بها هؤلاء المربون من قبل.

وبناء على ذلك فإن ما قدمه هؤلاء المربون للتربية من آراء ونظريات كانت الأساس والمنطلق لكثير من النظريات التربوية، التي تأخذ بها العلوم التربوية والنفسية حتى الوقت الحاضر، والتي بنى عليها أعلام التربية فيما بعد أفكارهم ونظرياتهم.

إذا كانت هذه الأفكار والآراء السابقة هي التي تشابه فيها المربون المسلمون والغربيون واتفقوا في الدعوة إليها، فما هي أوجه الاختلاف والتميز بين ما جاء به كل واحد منهم من رأي انفرادي وتميز به عن صاحبه.

أوجه الاختلاف بين آراء المربين المسلمين والمربين الغربيين

1- كان الهدف الأول من التربية والتعليم عند المربين المسلمين هو تحقيق حاجات الطفل دينياً ودينيوياً، بينما كان الهدف عند مربى الغرب دنيوياً أكثر منه دينياً.

2- كانت المسائل الدينية من أوائل العلوم التي أكد على تعليمها للطفل المربون المسلمون في بداية مراحلها التعليمية الأولى، في الوقت الذي فضل فيه المربون الغربيون تأخيرها إلى سن متقدمة فهي لم تحظ بالأولوية كما عند مفكري الإسلام.

3- فضل المربون المسلمون التعليم الجماعي على الفردي في حين شجع الغربيون التعليم الفردي.

4- اهتم المربون الغربيون اهتماماً خاصاً بالحواس ووضعوا الوسائل المناسبة لتدريب كل حاسة ولم

يحظ هذا الجانب باهتمام كبير عند العلماء المسلمين الذين لم يذكروا الطرق السليمة لتنمية وتدريب الحواس.

5- تميز ابن خلدون في عملية التعليم بإتخاذ مبدأ التكرارات الثلاثة كوسيلة تعليمية بينما تمثلت مصادر التعليم عند روسو في الطبيعة، الأشياء، الإنسان.

6- أكد ابن سينا على أن يتبع المعلم أثناء تعليم الطفل الإشارات لإثارة مشاعره في حين نهى روسو المعلم استعمال الرمز أو الإشارة في التعلم.

7- اهتم كل من ابن سينا وابن خلدون ومنتسوري بضرورة تعليم الطفل منذ نشأته في الوقت الذي فضل فيه روسو ترك مراحل الطفل الأولى من عمره بدون تعليم.

8- اختلف روسو عن هؤلاء المفكرين بمبدأ الجزاء الطبيعي وهو مبدأ انفرد به روسو لأنه نابع من تجربته الشخصية في مرحلة الطفولة.

9- تميزت منتسوري في طريقتها التربوية بحرية التعليم فلم تضع جداول مدرسية معينة ولم تحدد إعطاء الدروس بوقت معين وهو عكس ما هو موجود بالتربية الإسلامية.

10- إن المنهج الذي سار عليه المربون المسلمون كان منهجاً تقليدياً فيتعلم الطفل ما يجب أن يتعلمه من علوم مختلفة وبعدها يتجه إلى ممارسة المهنة التي يرغب بها، بينما كان المنهج الذي اتبعه المربون الغربيون منهجاً حديثاً يعطى الطفل حرية التعليم وفق رغبته ويكون دور المعلم هو التوجيه فقط وهذا الاختلاف في المنهج راجع دون شك إلى اختلاف العصر الذي عاشوا فيه.

11- كانت الطبيعة وسيلة تعليمية هامة نادي بها المربون الغربيون أمثال روسو ومنتسوري وكان اهتمامها منصباً عليها في حين لم تحظ بهذا الاهتمام عند ابن سينا وابن خلدون.

وإن كانت التربية في الطبيعة هي أحد مميزات التربية العربية حتى قبل ظهور الإسلام فالطفل البدوي ابن الطبيعة يتركه أبواه لنفسه تحت تأثير عوامل الطبيعة في الصحراء معتمداً على نفسه قادراً على تحمل الآلام والمخاطر ويقول احد المربين: لقد رأيت جماعات من أولاد العرب يلعبون وقت الظهيرة على رمل محرق في منتصف الصيف الشديد الحرارة، ويجرون حتى يشعروا بالتعب وحينما يرجعون إلى خيام آبائهم يوبخون ويزجرون على عدم استمرارهم في اللعب والتمارين البدنية.

ومن الغريب ألا تأخذ الطبيعة مكاناً مميزاً بين مجموع آراء ابن سينا وابن خلدون التربوية والتعليمية وربما يرجع ذلك لتغير الزمن والظروف وأنشغال العرب بأشياء أخرى.

12- تركزت طرق التدريس عند مربى الغرب كثيراً على ذاتية التلميذ في التعلم واستخدام حواسه،

ومشاركة المعلم في إعداد المواقف، وتطبيقها مع المتعلم وملاحظة ظواهر الطبيعة واكتشاف الحقائق عملياً بينما تقر التربية الإسلامية على الجانب الإيجابي للمتعلم واستخدام الحواس والطرق العملية في التعلم، وتؤكد ضرورة استخدام طرق نقل المعلومات الأخرى؛ من إلقاء، ومحاورة، وقراءة وإقناع عقلي بالمناقشة بتدرج يناسب القدرات، وتوازن وتكامل تميزت به التربية الإسلامية عن تربية الغرب.

13- انحصرت وظيفة المعلم عند روسو ومنتسوري على التوجيه وحده بينما كانت له مكانته وأهميته البارزة عند ابن سينا وابن خلدون فهو المربي والمرشد والموجه بل أعباء العملية التعليمية كلها تقوم على عاتقه.

14- كان الطفل عند المربين الغربيين هو بؤرة الاهتمام في التربية، أما عند مربي الإسلام فقد اهتموا إلى جانب الطفل بالمادة التعليمية التي تقدم له وبالطرق والوسائل المتبعة في تعليمه.

15- إن التعليم لدى روسو ومنتسوري كان قائماً على المحاولة والخطأ فإذا أخطأ الطفل يترك ليعرف بنفسه خطأه ويصلحه، بينما يختلف الأمر في رأى ابن سينا وابن خلدون فإذا أخطأ الطفل يقوم المعلم بتصحيح هذا الخطأ.

16- كانت دراسة التاريخ من العلوم التي أكد عليها ابن خلدون وأوجب تعليمها وذلك لفائدته في الإطلاع على علوم وعادات الشعوب المختلفة ومعرفة أحوالها بينما رفض روسو تعلم التاريخ لأسبابه الخاصة التي وضحها لمربي التربية.

17- احتل جانب اللعب مكانة وأهمية خاصة عند كل واحد من هؤلاء المربين إلا أن المربين المسلمين اقتصروا على الجانب الترويحي منه بعد الفراغ من العمل في الوقت الذي كان اللعب فيه عند المربين الغربيين جزءاً لا يتجزأ من العمل التربوي وفي جعل العمل التربوي يتم عن طريق اللعب.

18- لم يكن الهدف من التعليم عند كل من جان جاك روسو وماريا منتسوري هو تعلم العلوم في حد ذاته، وإنما تنمية الرغبة لدى الطفل لتقبل هذه العلوم واكتسابها بما يملك من قدرات وقابلية لتعلمها، بينما اختلف الأمر عند ابن سينا وابن خلدون فتعلم العلوم عندهما يعد هدفاً هاماً من أهداف التربية والتعليم لأجل إكساب الطفل المعرفة اللازمة من هذه العلوم التي تمّ كنهه فيما بعد من إتقان مهنة معينة تساعده على كسب عيشه.

مدى تأثير الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية:

لعل النقاط السابقة هي من أهم النقاط الرئيسية التي اختلفت فيها النظرة التربوية للمربين المسلمين والغربيين، ولكن السؤال الذي يراود فكر كل من يهتم بالتربية بوجه عام ومفكرها بشكل خاص، هو

من أين جاء تشابه اغلب الآراء والافكار التي جمعت بين هؤلاء المربين؟ وما هو منبعه الاصلى؟ وهل بلغت درجة تأثرهم ببعضهم إلى درجة الاتفاق والتشابه على مسائل تناولوها ومواضيع نافشوها تخص التربية والتعليم؟

لقد اعترف المؤرخون بعظمة الإسلام من حيث هو دين حياة وحضارة وأفسحوا له مكاناً بارزاً في تاريخ الحضارات، وركزوا الأضواء على أثر الإسلام في العلم والثقافة واتفقوا على أن أعظم الاتجاهات في الإسلام هو الاتجاه نحو العلم والتقدير العميق للمعرفة من حيث هي، وما من مؤرخ أو كاتب تناول تاريخ الإسلام والمسلمين خاصة إلا وخصص جزءاً كبيراً من كتابته للتاريخ والعلوم والثقافات عند المسلمين، والاشادة بما حققه المسلمون من تفوق في العلوم سبقوا به جميع الأمم المعاصرة لهم، حتى لم يعد ثمة ميدان من ميادين الخبرة الإنسانية لم يضرب فيه الإسلام بسهم ولم يزد ثروة التقاليد الغربية فيها غنى.

وما كان للحضارة الغربية أن تولد لولا انفتاح الشرق على الغرب، وتنمية الغرب لكافة العلوم والحقائق التي توصل إليها العرب المسلمون، ولكن تشاء الأقدار أن يتقدم الغرب ويستغل كل ما حصل عليه من الحضارة الإسلامية وينميها لصالحه، لتزدهر بذلك حضارته ويرتفع شأنه على الشعوب كافة ناسياً بهذا التقدم من مهد له الطريق لذلك وأوصله إلى هذا التطور والازدهار العلمي الذي هو فيه اليوم.

إن التربية الإسلامية حملت مبادئ واتجاهات وقفت جنباً إلى جنب مع ما يسمى اليوم بالتربية الحديثة بمبادئها واتجاهاتها، تلك المبادئ والاتجاهات التربوية التي يعتقد الفلاسفة والمفكرون الغربيون أنهم وصلوا بها إلى قمة الكمال والإجادة في الفكر التربوي، ويظنون أنهم سبقوا العرب المسلمين، ولكن ثبت بالدراسة والبحث أن المفكرين والفلاسفة المسلمين قد سبقوا علماء الغرب ونادوا قبل الغربيين بقرون بكل المبادئ والاتجاهات التربوية الحديثة، التي لم تكن في واقع الأمر إلا مفاهيم ومبادئ جاء بها الإسلام، الذي كانت تعاليمه وتوجيهاته شاملة متكاملة لكل جوانب الفرد وحامية لحقوقه، وبفضل اجتهادات مفكري الإسلام وعلمائه واستنباطاتهم وتفسيراتهم لكل ما ورد في القرآن الكريم وما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، استطاعوا وضع أسس تربوية مبنية على أصول وركائز إسلامية.

ولتكون الباحثة أكثر وضوحاً ستبين أوجه التحوير والتقليد للمربين الغربيين بما اقتبسوه من المربين المسلمين على سبيل الاستشهاد لا الحصر.

فمثلاً اتفاق المربين المسلمين والمربين الغربيين وهم شخصيات الدراسة على أهمية التربية الخلقية في حياة الطفل، واعتبارها من المواضيع التي لها الأولوية في التربية فتتمية العادات الحسنة من

المسائل التي تناولها الإسلام وأعطاه الأهمية والعناية لأن التربية الخلقية السليمة تنمى الضمير الخلقى للطفل وتكسبه ما دعا إليه الدين الإسلامي من أخلاق نبيلة واتجاهات وعادات خلقية صالحة له في الدنيا والآخرة، كالصدق في القول والوفاء بالعهد والإخلاص في العمل... الخ وتجنبه ما يقابل هذه الأخلاق النبيلة من كذب ونفاق وخيانة، ودعا إلى كل من يقوم برعاية وتربية الطفل أن يوجهه إلى الطريق الصحيح بتقديم النصح والإرشاد وتوفير القدوة الصالحة في السلوك والفعل.

وقد شمل القرآن الكريم والسنة النبوية ما لا يحصى من النصوص والشواهد التي تؤكد حق الطفل في التهذيب الخلقى وإرشاده إلى الأخلاق الفاضلة ومن قوله صلى الله عليه وسلم (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) رواه ابن ماجه.

إن التربية في جوهرها عملية أخلاقية فمثلا الهدف منها عند الغزالي هو إخراج الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحسنة والصالحة، وكما يقول "جون ديوى" إن عملية التربية والعملية الأخلاقية شيئاً واحداً ما دامت الثانية لا تخرج عن أنها انتقال الخبرة باستمرار من أمر سيئ إلى أحسن منه (وأفضل)، كما جاء في تعاليم الدين الإسلامي طلب العلم وتمجيده والتحريض عليه ومن هذا المنطلق نلتمس حرص المربين المسلمين أمثال ابن سينا وابن خلدون على تعلم الطفل وإكسابه شتى أنواع العلوم وتحريضه للحصول على العلم أينما وجد، ومن هذا الاهتمام بالعلم انبثق اهتمام مربى الغرب به أيضا الذي يبدو واضحا في آرائهم ونظرياتهم التربوية التي سجلوها ودونها في تاريخ التربية.

إن تأكيد هؤلاء المربين المسلمين والغربيين على حد سواء على أهمية اللعب والترويح عن النفس لدى الطفل لم يكن بالأمر الجديد فقد كان الإسلام السباق إلى ذلك، واعتبره حقا لازماً من حقوق الطفل لا يجب إغفاله أو التغاضي عنه لما له من فوائد جمة، فاللعب يساعد الطفل في تنمية مواهبه وميوله ويحافظ على صحته النفسية والجسدية ويسهم في بناء شخصيته.

كما "حسب الإسلام لأصحاب الطفل حساباً خاصاً لما لهم من تأثير على سلوكه ومعاشه عن طريق القدوة والتقليد، فطالب باختيار الرفقاء الصالحين لرفقته وتجنب رفقاء السوء الذين تقود رفقتهم وصحبتهم إلى الضرر والانحراف" كما في قوله صلى الله عليه وسلم (إياك وقرين السوء فانك به تعرف). رواه ابن عساكر.

هنا ترى الباحثة مدى تأثير كل من ابن سينا وابن خلدون بأحد مبادئ التربية الإسلامية التي تحرص كل الحرص على صيانة نفس الطفل من الأذى وإبعاده عن كل ما قد يسيء لذاته وسلوكه، فكان رفاق الطفل أيضاً من ضمن اهتماماتها ولكي ينشأ الطفل نشأة صالحة عليه اختيار رفاق من ذوى الآداب والخلق، لأنه يقتدي بهم في سلوكهم. "وقد وضع ابن سينا رأيه في هذا الأمر بقوله: "أن

يكون مع الصبي صبية حسنة آدابهم مرضية عاداتهم لأن الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه أنس" 3 وقد دعا إلى مصاحبة الرفقة الحسنة أغلب المربين المسلمين ومنهم على سبيل المثال "الزرنوجي*الذي يقدم نصيحة للطالب بألا يصادق من زملائه إلا المجد الورع وصاحب الطبع المستقيم".

ومن هذا التحريض الذي اتسم به المربون المسلمون على اختيار الصبية الحسنة أخلاقهم، ارتفعت أصوات بعض مربى الغرب أمثال جان جاك روسو وماريا منتسوري لتعلن منادية هي الأخرى بما نادى به مربو الإسلام.

أما مطالبة كل من جان جاك روسو وماريا منتسوري بحرية الطفل في التربية فهو لم يكن من الأمور الغريبة وليس النداء بجديد في تربية الطفل، وإذا كان من جديد في هذا الرأي فهو تطبيق هذه الحرية بشكل عملي كما فعلت منتسوري في بيوت الأطفال ولو أن الحرية التي ينادى بها روسو ومنتسوري تختلف اختلافاً جذرياً مع الحرية التي ينادى بها الإسلام.

إن الحرية من الحقوق الأساسية التي أكد عليها الإسلام وأوجب احترامها وهذه الحرية تتمشى مع تعاليم ومبادئ وقيم الإسلام، فالطفل له الحرية في التعبير عن رأيه وأن يتصرف ويعمل ما يشاء، ولكن في حدود واحترام وبما لا يتنافى مع تعاليم الدين وقيم المجتمع فهي حرية معقولة ومنضبطة).

كما اهتم الإسلام بمراعاة الفروق الفردية بين الأطفال وبأن إمكانيات واستعدادات كل واحد منهم تختلف عن الآخر فاختلف الأطفال فيما بينهم من قدرات ومراعاة ذلك وتقديره هي من مسلمات التربية الإسلامية فبعض الأطفال أقدر من غيرهم في تعلم مجالات معينة من العلم كما أن منهم من لا يصلح تعليمه إلا لحد معين لا يتعداه، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم(كل ميسر لما خلق له)" رواه البخاري.

وقد اقتدى إلى جانب ابن سينا وابن خلدون في قول الرسول صلى الله عليه وسلم الأمام الغزالي الذي يشير بقوله:(أن يقتصر المعلم بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره)" 3 والتربية الحديثة تنادى هي الأخرى بما نادى به الرسول الكريم من مخاطبة المتعلمين على قدر عقولهم ومراعاة مستواهم العقلي ومستواهم العلمي، ليدركوا بهذا ما يدرسونه وما يقال لهم.

كما أكد الإسلام على حق الطالب في التوجيه المهني عندما يكون قادراً ومستعداً لذلك وتتضح ميوله واتجاهاته ليختار من الأعمال ما يناسبه ويوافق رغباته، فيسعى بذلك لطلب رزقه ومن النصوص الداعية للعمل وكسب الرزق.

لذا رأى المربون المسلمون ضرورة توجيه الطفل إلى ما يناسبه من تعليم وأن يترك ما لا يقدر عليه،

ومن بين هؤلاء المربين ابن جماعة الذي قال: (وإذا علم المَعْلَم أن تلميذا لا يصلح في فن أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يرجى فيه فلاحه). 1 ومن هنا فإن التربية الإسلامية لم تهمل أعداد الأفراد لكسب رزقهم بتدريبهم على المهن والصناعات المختلفة ويظهر هذا الغرض واضحاً

أيضاً عند ابن سينا بقوله: (إذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته ليتوجه إليها) 2 ومن ابن سينا تم تداول هذا الرأي عند باقي المربين الإسلاميين وبعض مربى الغرب الذين دعوا إلى توجيه الطالب نحو ما يحب من المهن والصناعات وحسب ميوله وقدراته.

أما فيما يخص الرحلة في طلب العلم والتي تناولها بعض المربين المسلمين واعتبرت من الأساليب التعليمية الهامة، التي تحمل في مضمونها الكثير من الفوائد لكل طالب علم، والتي تأثر بها رجال التربية في الغرب أمثال مونتاني وجان جاك روسو وغيرهما، وطالبا بالسعي والترحال في طلب العلم، وهذه الرحلة كانت ولا زالت ملحماً متميزاً للتربية الإسلامية منذ عصورها الأولى وكان طلاب العلم يتكبدون الصعاب في الارتحال والسفر، وقد اعتبر الإسلام السفر لأجل العلم جهاداً في سبيل الله، وفي ذلك يقول الرسول صلي الله عليه وسلم (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) رواه ابن ماجه.

كما أدرك علماء الإسلام والغرب عيوب طرق التدريس المتبعة في العصر الذي عاش فيه كل واحد منهم، لذا قاموا بوضع حلول جوهرية ومنطقية تقنع كل معلم و مربى أن يتخذها وسيلة فعالة لتلافي الوقوع في الخطأ ومنها على سبيل المثال: نقد ابن خلدون الواضح للمَعْلَم حينما يفرض على التلميذ استيعاب كل ما هو مكتوب في الكتب، ما يجعله عاجزاً عن الفهم وغير مدرك لما بين يديه من معرفة اللهم إلا في ترديد وحفظ ما يسمعه من غير معرفة حقيقية، لذلك العلم وهنا خالف ابن خلدون معاصريه في مسألة حشو ذهن المتعلم بتفاصيل معرفية لا جدوى من ورائها وذلك يتضح عند ابن خلدون في قوله: (اعلم أنه مما أضر الناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف، واختلاف الاصطلاحات في التعليم، ثم مطالبة المتعلم باستحضار ذلك كله).

وهنا تلاحظ الباحثة تأثر جان جاك روسو بهذا الرأي والذي يبينه بشكل مغاير قليلاً في مضمونه فيقول: (إنني لا أحب كثرة الشرح والتفسير في تلك الخطب الطويلة التي تقال للأطفال صغار لا ينتبهون إليها إلا قليلاً ولا يفهمون منها إلا يسيراً فعليكم بذوات الأشياء، وإنني ما زلت أكرر وأكرر بأننا نعلق أهمية كبيرة في التعليم على الألفاظ وكثرة الكلام والثرثرة).

إلى جانب ذلك فقد كان أسلوب المحاوره والمناقشة من الأساليب التي أكدها علماء الإسلام والغرب، لما لها من مردود إيجابي للمتعلم وهو أسلوب مقنع للتلاميذ يلجأ إليه المَعْلَم غالباً في توضيح أمور

قد لا يستطيع التلاميذ استيعابها وتقتصر عقولهم عن فهمها كالأمر الغيبية، فالمحاورة والمناقشة تحفز التلاميذ على التفكير ولو ان علماء الاسلام قد أكدوا على اسلوب المناقشة والمحاورة في التعليم العالي،(وقد كانت المناقشة والمجادلة ميزة هامة من مميزات التربية الإسلامية حيث عنى بها المسلمون عناية كبيرة لما لها من فوائد منها شحذ الذهن، وتقوية الحجة، والتمرن على سرعة التعبير، وتعويد الثقة بالنفس، وكان العلماء يشجعون طلبتهم على المناقشة والمحاورة، ويوجبون عليهم التمرن عليها وكان الطالب يخالف معلمه في الرأي أحياناً مع مراعاة التأدب والاحترام).

إن أسلوب الحوار والمناقشة والإقناع عن طريق العقل والمنطق من الأساليب التي تقوم عليها التربية الإسلامية. 4 ولأجل ذلك قدم ابن خلدون نصاً توضيحياً بين فيه أهمية المناقشة والمناظرة في التعليم قائلاً: "إن أسير طرق هذه الملكة "الفهم" هو فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها) ، وفي هذا يقول الإبراشي: (في واقع الأمر فإن المربين المسلمين قد اهتموا بأسلوب المناظرة والمحاورة في التدريس واعتبروه أسلوباً مفضلاً ومجدياً في التعليم، ويؤكد الزرنوحي هو أيضاً على ذلك بقوله: إن قضاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدي على المتعلم من قضاء شهر بأكمله في الحفظ والتكرار). 2 وقد أدرك مفكرو الغرب هذه الأهمية والفائدة لأسلوب المناقشة والمحاورة ليدعوا هم إليها أيضاً كما دعا مفكرو الإسلام.

ومن الأساليب التعليمية الهامة التي لاحظت فيها الباحثة اتفاق وجهات النظر بين المربين المسلمين مثل كل من ابن سينا وابن خلدون، وبين المربين الغربيين كجان جاك روسو وماريا منتسوري الذين هم جميعاً محور هذه الدراسة، هي ضرورة مشاركة المتعلمين أثناء عملية التعلم لما تحمله المشاركة من جوانب إيجابية للمتعلم تتمثل في زيادة حماس المتعلمين في معرفة العلوم، وأخذ وتلقى هذه العلوم بكل رغبة وقابلية كما تزداد روح المنافسة الشريفة بينهم ما يدفعهم إلى البحث لتحقيق العلم، ومن خلال هذه المشاركة أيضاً يحدث التفاعل بين المعلمين والمتعلمين من ناحية، وبين المتعلمين بعضهم ببعض من ناحية أخرى، وبذلك تتداخل العلاقات الإنسانية بينهم وتتشابك فيه عوامل التأثير والتأثر.

كما تلاحظ الباحثة أن هناك تشابهاً بين كل من ابن خلدون ومنتسوري في طريقة من طرق التدريس، التي تتمثل عند ابن خلدون في مبدأ التكرارات الثلاثة والتي تميز بها عن غيره. والتي قصد بها أن يكون التعلم في المرحلة الأولى إجمالياً، وفي المرحلة الثانية تفصيلياً، وبالتدرج مع مراعاة النمو العقلي للأطفال وقدرتهم لإستيعاب ما يلقي عليهم، أما في المرحلة الثالثة فتتناول عملية التعليم ما استكشف في العلم ووسائل الخلاف فيه. هذا التكرار الذي دعا إليه ابن خلدون لم يكن تكراراً مملأً وإنما مر بمراحل وكل مرحلة من هذه المراحل لها هدفها ولها 1- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد أهميتها وكل مرحلة تتناسب مع مستوى التلميذ العقلي. 1 بينما رأيت

منتسوري ضرورة تقسيم الدروس إلي خطوات ثلاثة وهي ربط المدرك الحسي باسم الشيء، معرفة الشيء إذا ما ذكر اسمه، استرجاع الاسم الخاص بالشيء.

وإنه لمن الغريب أن يتشابه هذا الأسلوب في التعليم ويتحدد عند كل واحد منهما في الوقت نفسه بمراحل ثلاث لا غير ولربما لعبت الصدفة دورها لتتضح أوجه الاتفاق في هذا التقسيم بين هؤلاء المفكرين، أو ربما هو من قبيل توارد الخواطر إن لم يكن من باب التأثير والتأثر.

"أما عن طبيعة الطفل فيرى المربين المسلمين أنها طبيعة محايدة وأنها لا تميل إلى الخير أو الشر بل إلى الجهة التي توجهه إليها التربية السائدة في مجتمعه ولقد اتخذ المربون المسلمون هذا الاتجاه منذ فجر الإسلام .

إن الأثر التي تتركه البيئة في الطفل لا يمكن الاستهانة به أو التقليل من شأنه فمن الأسرة يكتسب الطفل أخلاقه وسلوكه وعن طريقها يبدأ اتصاله بالعالم المحيط به، الذي بدوره يكون مكملاً للأسرة في تكوين العادات والخبرات ومن خلال هذه التنشئة الاجتماعية يتشرب الطفل الاتجاهات والمفاهيم، ولو ان هناك اتفاقاً في الشكل واختلافاً في المضمون عند هؤلاء المربين فبينما ركزا ابن سينا وابن خلدون على البيئة الاجتماعية للطفل ركزا روسو ومنتسوري على البيئة الطبيعية ومن هنا جاء اهتمام المربين المسلمين والغربيين بالبيئة المحيطة بالطفل لإدراكهم لمدى تأثيرها على شخصيته فكان اتفاقهم مبنياً على أن الطفل يولد في الأصل خيراً وإن أي شر يصدر منه، إنما يرجع إلى البيئة التي نشأ وتربى فيها وكان في قول الرسول صلى الله عليه وسلم تأييد على ذلك "كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". 4 (ويؤخذ من هذا إن الطفل يولد على الطبيعة قابلاً للخير والشر مستعداً للفضيلة والرذيلة، والبيئة هي التي توجهه إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو الإسلام، وإذا كانت البيئة طاهرة في البيت والمدرسة والمجتمع كان الطفل كذلك).

وهذا بالفعل ما أكد عليه ابن خلدون حين قال إن (الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس، فأفعال الخير تعود بأفعال الخير، وأفعال الشر تعود بذلك فتتمكن وترسخ)، وأيضاً جان جاك روسو الذي آمن ببراءة الطفل التامة قائلاً: (إن كل ما خرج من يدي خالق الأشياء حسن وكل شيء يفسد بين يدي الناس).

وقد سبق الغزالي إلى نفس المعنى حيث قال: (...)قابل لكل ما ينقش عليه وما يرشد إليه، ومائل إلى كل ما يقال فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه كل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له).

إن هذه النصوص تؤكد أن فطرة الطفل محايدة عند مولده وهي تتشكل فيما بعد تبعاً للون التربية

التي تتلقاها 5 بمعنى أن الطفل يكتسب جانب الخير أو الشر بالتطبع وهذا يبين أهمية المؤثرات التي تحيط بالطفل في تشكيل سلوكه، سواء أكانت هذه المؤثرات من الأسرة أو من المدرسة أو من المجتمع.

كما إن اهتمام المربون المسلمون والغربيون بالموسيقى فله دوافعه وأسبابه حيث أعطى الفلاسفة القدماء أهمية لها لما تحدثه من أثر تربوي وأخلاقي في النفس ومن هؤلاء مثلاً أفلاطون الذي يقول: يجب أن نعلق الأهمية القصوى على التربية الموسيقية، لأن الإيقاع والانسجام ينفذان إلى أعماق النفس ويستحوذان عليها بقوة وبهذا يصبح الرجل وقوراً إن صحت تنشئته أو العكس، ومن تصلح تنشئته تكون له عين نفاذه حادة النظر لنقائص الفن وأخطار الطبيعة. وهي عند أرسطو "مبدأ كل مباح الحياة" وقد اعتقد اليونان أن الموسيقى لها دور فعال في التأثير على الأخلاق وفي بناء المجتمع وجعلوها منهجاً أساسياً من مناهج التعليم ولربما أخذوا هذا عن المصريين القدماء.

وعلى أي حال فإن ابن سينا باعتباره متأثراً بالفلسفة اليونانية وهو لم يخف هذا التأثير، حيث اهتم بالموسيقى وتناولها في كتابيه (الشفاء والقانون) واعتبرها ضرورية للطفل لتقوية مزاجه وفي الوقت نفسه تؤمن له النوم المريح. وهكذا فإن الموسيقى عند ابن سينا لها دورها التربوي فضلاً عن أثرها في تعديل المزاج وإدخال الراحة إلى النفس، وكما يروى تلميذه الجرجاني أن ابن سينا نفسه قد أحب الغناء والموسيقى في حياته الخاصة وكان يلجأ إليها عند شعوره بالإنزعاج والإضطراب في المزاج.

أما فيما يخص أسلوب الثواب والعقاب الذي دعا فيه هؤلاء المربون إلى تجنب الشدة والقسوة في معاملة الطفل، فقد كانت تعاليم الإسلام هي الداعية إلى ذلك أولاً، فمبدأ الشفقة والعطف هو مبدأ أصيل في التربية الإسلامية فالمعاملة القاسية قد آلمت روسو كما أنتقدتها ابن خلدون حين بين ذلك سابقاً في قوله: "...من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها..". وإن في قول الرسول الكريم لعبرة لأولى الألباب (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء). لذا كان العقاب عند كل من ابن سينا وابن خلدون مبنياً على الترهيب والترغيب، ولم يكن أسلوب الضرب إلا آخر الأساليب التي يلجأ إليها المربي وإن كان المربون المسلمون قد أحاطوا بالعقاب بإطار من الشروط فإن اتجاهاتهم في تفضيل استبعاده كانت صريحة وواضحة، لأن التربية الإسلامية تدعو إلى عقاب الطفل ولو كان هذا العقاب بسيطاً ويتناسب مع عمر الطفل.

بينما كان عند جان جاك روسو وسيلة تقوم بها الطبيعة ذاتها فهي تصرف يقوم به الطفل هو الذي يتحمل نتائجها بنفسه دون تدخل من أحد، ومن هنا كان الجزاء الطبيعي هو أسلوب العقاب عند روسو في حين كان العزل هو وسيلة العقاب عند منتسوري ليدرك الطفل بنفسه أخطائه ويصححها

وشتان الفرق ما بين عقاب روسو وعقاب منتسوري.

من خلال مقارنة هذه الآراء فكما أشارت الباحثة سابقاً من أن ترجمة المؤلفات الإسلامية إلى اللغات الأوروبية كان له أثره الملحوظ على نهضة الغرب وتقدمه في التربية والعلوم، حيث أخذ مفكرو الغرب ما شاءوا من فكر وثقافة المربين المسلمين مدعيين للعالم أنهم السابقون إليها، ولم تكن أوجه التشابه بين آراء هؤلاء المربين إلا دليلاً واضحاً على أثر الفكر الإسلامي في الثقافة الأوروبية ومع ذلك ولكي نكون منصفين ومحايدين نقول انه ليس كل ما ابتدعه الغربيون هو نابع من المسلمين ولكن يجب ان نضع في الاعتبار تفاوت العصور وحتمية التطور وابداع الغربيين وخاصة في عصر التنوير.

تعقيب:

كانت هذه أغلبية الآراء التي اتفق وتميز فيها المربون المسلمون والمربون الغربيون، وإن ما جاء به الغربيون من آراء وأفكار تربوية لم تكن إلا انطلاقة من بداية أسس تربوية وضع قواعدها المربون المسلمون فكانوا السابقين إليها، ويرجع إليهم الفضل على الغرب والغربيين، لأن ما قدمه المربون المسلمون من علم وعلوم متنوعة وحضارة مزدهرة وتربية متقدمة كان لها الأثر الكبير في النهوض بحضارة الدول الغربية وتربيتها، حيث أفاق الغرب وكونوا حضارتهم بعد تأثرهم بالحضارة الإسلامية فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من تقدم علمي وازدهار حضاري بسبب اطلاعهم واستفادتهم من علوم ونظم تربوية ابتكرها وأبدعها هؤلاء العلماء المسلمون، الذين أسهموا إسهاماً إيجابياً في دعم الفكر التربوي.

إن التربية الإسلامية وما جاءت به من مبادئ وقيم كان لها الدور الفعال في النهوض بكل أنواع التربية، حيث نهج المربون المسلمون ما كانت تدعو إليه من مبادئ مثالية وقيم سامية في الدين والأخلاق، إلى جانب تربية الطفل تربية شاملة من جميع جوانبه، لتكون هذه المبادئ والمثل نقطة انطلاق لمرتكزات ونظريات تربوية وتعليمية أضافها العلماء المسلمون، من أمثال ابن سينا وابن خلدون إلى التربية واستفاد منها بعد ذلك العلماء الغربيون أمثال جان روسو ومنتسوري.

إن ما جاء به المربون الغربيون في التربية لم يكن بجديد بل هو تحوير وتقليد لما نادي به المربون المسلمون، الذين استنبطوا مبادئهم ونظريتهم التربوية من القرآن الكريم والسنة النبوية وما توصلوا إليه من توجيهات تربوية من خلال كتاباتهم وتجاربهم وملاحظاتهم المختلفة، وما دعت إليه التربية الإسلامية التي سبقت التربية الغربية بعدة مجالات تخص الطفل فعلى سبيل المثال: الاهتمام بأخلاق الطفل وغرس الصفات الحسنة فيه، والاهتمام بميوله ورغباته، ومراعاة فروقه الفردية وقدراته الطبيعية، وكذلك التدرج في تعليمه، إلى جانب الرفق في معاملته بعد أن تنبه العلماء المسلمون إلى

الضرر الذي يلحقه العقاب بالطفل، فدعوا إلى إتباع العطف والرحمة وغير ذلك من المسائل والقضايا التربوية التي استعرضتها الباحثة سابقاً والتي تخص الطفل بشكل خاص والتربية بشكل عام.

وعلى أية حال فإن من يطلع على ما جاء به المفكرون العرب من آراء وأفكار تربوية تخص التربية والتعليم، يدرك أن هؤلاء المفكرين قد عنوا بتربية الطفل تربية عقلية ووجدانية وخلقية وجسمية وتربية تحمل في مضامينها ومعانيها استقلال الطفل واعتماده على نفسه إلى جانب حريته.

وبذلك ترك المربون العرب بالفعل آثاراً واضحة في جميع نواحي الحياة العقلية والفكرية والاجتماعية، ومع ذلك فإن المربين الغربيين أيضاً تميزوا باهتمامهم بالطفل اهتماماً خاصاً أكثر من اهتمامهم بالمادة التي تقدم له وهذا راجع دونما شك إلى اختلاف الأزمنة التي تؤثر بدورها على اختلاف وتغير النظرة التربوية والتعليمية إلى كافة الأمور بحسب مجريات العصر.

ومع أن المربين الغربيين قد أخذوا من المربين المسلمين أغلبية الآراء التربوية والتعليمية التي سجلوها في تاريخ التربية، فإنه يظل لكل واحد منهم اجتهاده الخاص وميزاته، إلى جانب الآراء الأخرى التي نقلها عن غيره وغير فيها حسب نظرتة وطريقته التربوية.

نشاط

وضح كيف يمكنك الاستفادة من مزايا وإيجابيات آراء المفكرين المختلفة في تربية الأطفال



المراجع

- أنطوان الخورى (1964): أعلام التربية ، حياتهم ، آثارهم ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني.
- محمد صلاح الدين مجاور (1973): فى دليل الأطفال ، فلسفتها ، أسسها ، برامجها ، أساليب جميل أبو ميزر ، محمد عدس (1993): المرشد فى منهاج رياض الأطفال ، عمان ، دار مجدلاوى للنشر و التوزيع.
- خالد صلاح حنفي (2016): تطور تربية طفل ما قبل المدرسة بين الماضي والحاضر، كلية التربية، جامعة الإسكندرية.
- سالمين ابوبكر سليمان (2010): نظريات تربية الطفل في الإسلام وعند الغرب: دراسة تحليلية نقدية مقارنة لأراء كل من (ابن سينا - ابن خلدون - جان جاك روسو - ماريا منتهوري)، كلية الآداب، جامعة الفاتح.
- سعد مرسى وكوثر كوجيك (1979): تربية الطفل قبل المدرسة ، القاهرة ، عالم الكتب.
- عبد الله عبد الدايم (1966): التربية عبر التاريخ ، بيروت ، دار العلم للملايين .
- عبد المجيد عبد الرحيم (1985): قواعد التربية والتدريس فى الحضانة والرياض ، القاهرة ، عصام النمر وآخرون (1991): تخطيط برامج تربية الطفل وتطويرها ، طبعة ثانية ، عمان ، دار الفكر للنشر و التوزيع طبعة ثانية.
- عمر التومى الشيبانى (1971): تطور النظريات والأفكار التربوية ، بيروت ، دار الثقافة .
- عواطف إبراهيم (1983): تعليم الطفل فى دور الحضانة بين النظرية والتطبيق ، القاهرة .
- فتحية سليمان (1979): تربية الطفل بين الماضى والحاضر ، القاهرة ، دار الشروق .
- محمود شفشق (1980): الأصول الفلسفية للتربية ، الكويت ، دار البحوث العلمية، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية.